
توقع ألا تتوقع
رواية
إسلام عبد الله
ساحر الكتب





رواية

إسلام عبد اللَّه





جهينة
(توقع ألا تتوقع)

تأليف:

إسلام عبد الله

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم

الترقيم الدولي: 978-977-14-5547-9
رقم الإيداع: 16361 / 2017
طبعة: أغسطس 2017



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com



وما الدنيا إلا متسع عقلك.. وما العالم إلا ما تصنعه أنت

* * *

إذا عاد أحد أحبابك من الموت.. فهل ستكون سعيدًا؟

* * *

ما الذي يجعل البشر.. بشرًا؟

* * *



جهينة اسـم لقبيلة من قبائل العرب المعروفة قديمًا،
وفي المثل: وعندَ جهينةَ الخبرُ اليقينُ.



تحت جنح الليل وفي وسط ظلامه الدامس.. وقف شابان يتجادلان للحظات.. وفي وسط انهماكهما في الحديث وقف أحدهما وهو يشعر بالتوتر الشديد يجتاحه.. فأغلق عينيه للحظات ثم تنفس بقوة وفتح عينيه وأخرج من ملابسه سكينًا متوسط الحجم وتقدم به بسرعة شديدة، وبدون تردد غرسه بعنف في قلب غريمه.. الذي شعر بالطعنة تخترق قلبه لتمتص الحياة منه.. حاول أن يفهم ما حدث.. ولكن سرعة الموقف وغرابته جعلتاه يشعر بالبلاهة.. جسده هو الذي تحرك بمفرده.. يداه أطبقتا على يد زميله التي تحمل السكين تحاولان أن تمنعاه من النفاذ في جسده أكثر وأكثر.. وهو يصرخ غير مصدق.

«ماذا فعلت أيها اللعين؟!.. ماذا فعلت؟!».

ظل زميله يغرس السكين أكثر في قلبه وهو يحدثه بحنق: «إني أفعل ما أخبرتني به منذ قليل.. أقتل الشيطان لكي أخلص العالم من شروره».



صادق أم مجنون.. مجنون أم مسجون؟

في إحـدى الغـرف الكبـيرة الـواسـعة بالطابق الثالث بأحد أقسـام العاصمـة، جلس سراج توفيق على مقعده المريح وهو يتأرجح يسـارًا ويمينًا ببطء واستمتاع بفضل جسـده الممتلئ الـذي يجعله يتحكم في مقعـده بـكل أريحية وهو يضع قدمه اليمنى أعـلى قدمه اليسرى، وهو يداعب شـاربه الغليظ فوق فمه بإصبع السـبابة بيده اليسرى، ويحمل بيـده اليمنى هاتفه النقـال ذا الماركة الأمريكية الشـهيرة، وأخذ يحرك إصبعيه على شاشـته بسرعة وهـو يتابع أحد المنشـورات على مجموعة مغلقـة بموقـع التواصـل الاجتماعي الشـهير باسـم «زوجة الباشـا» المخصـص لتبادل وجهـات النظر الخاصـة بزوجات رجـال الشرطة كما المفترض، ولكنه تحول سريعًا كباقي الأنشـطة النسـائية إلى سـاحة من سـاحات التنافـس والتصارع فيما بينهن عـلى أفضل الوصفات أو أحـدث الموضات وأفضـل أنواع العطـور.. ظل يتابـع سراج باهتمام أحد تلك الموضوعات وهو يتعجب كيف تحول سريعًا منشور خاص بتقديـم إحدى وصفـات المكرونة بالبشـاميل الشـهيرة إلى وصلة من السـباب واللعـان بـين العضوات، وهـو يتوقع بين الحـين والآخر أن تطل عليه إحداهن من كاميرا حاسوبها الإلكتروني وهي تمسك بشعر إحدى غريماتها وهما تتصارعان بالأيدي والأرجل وعض الأسـنان..



فالرجال بطبعها تحب أن تشاهد صراع النساء لأي سبب، ويصفون هذا الصراع دائمًا كأنه صراع القطط.. ولكنه بالفعل أقرب إلى صراع القرود ما بين الأشجار وأعلى الأنهار.. أخذت تتعالى ضحكاته مع تعالي نبرة الصراخ والسباب بين العضوات فوق هذا المنشور الذي تعدت التعليقات عليه أكثر من 650 تعليقًا بين أربع عضوات فقط ليرى بعينيه قدرة جديدة من قدرات النساء التي ما زالت وستظل تتفوق على الرجال دائمًا.. هذا يحدث في كل شيء حتى في عدد ومفردات السباب واللعان التي يطلقنها فيما بينهن.. فجأة قطع حالة الانسجام والمرح الذي كان يشعر به سراج صوت هرج ومرج خارج باب مكتبه، فشعر بغصة في حلقه.. من هذا الذي يصدر هذا الضجيج في ذلك الوقت من اليوم؟ فألقى بهاتفه على مكتبه أمامه واعتدل في جلسته وهو يصغي باهتمام لتلك الأصوات والجلبة القادمة من الخارج، وتنامى إلى أذنه عدة أصوات منها صوت مألوف لديه.. إنه صوت الضابط الذي يترأسه، المقدم «أحمد إبراهيم»، وصوت آخر مألوف لديه ولكنه لا يتذكر صاحبه، يصرخ بقوة: «اتركوني.. أنا لست مجنونًا.. أنا لست مجنونًا».

وصوت الضابط أحمد يصرخ عليه: «بل أنت مجنون.. وأي شخص سيصدق هذا الهراء سوف يكون مجنونًا هو الآخر».

أثار هذا الحديث فضول سراج فضغط على زر استدعاء أحد الجنود الذي يجلس خارج مكتبه بيده اليمنى وهو يقوم بتلمس اللوحة



المعدنية التي فوق مكتبه.. بأطراف أصابعه اليسرى ليعيدها إلى الخلف قليلًا.. ومكتوب عليها العقيد سراج توفيق رئيس المباحث».

سرعان ما دلف الجندي إلى مكتبه وهو يطرق الأرض بقوة وهو يؤدي التحية العسكرية أمام سراج ويطلق صرخة سريعة ممتلئة بالحماس.. «تحت أمرك يا باشا».

سأله سراج بفضول.. «لماذا كل هذه الجلبة بالخارج؟».

أجابه الجندي سريعًا: «إنه الباشا أحمد يا باشا.. كان هناك أحد المبلغين يريد مقابلتك بشدة والباشا أحمد لا يريده أن يقابلك».. علت ملامح الاندهاش وجه سراج.. «لا يريده أن يقابلني.. لماذا؟! فلتخرج الآن وتخبر أحمد أني أرغب في مقابلته الآن» أدى الجندي التحية العسكرية مرةً أخرى وانصرف في الحال وهو يغلق الباب خلفه بقوة.. مرت عدة ثوانٍ ثم سمع طرقًا على الباب ومن ثم دلف منه الضابط أحمد وهو يرتدي ملابسه غير الرسمية وهو يتأفف ووجهه تصبغه حمرة الغضب فابتسم له سراج وحدثه بفضول.. «ماذا هنالك يا أحمد؟ لماذا هذه الجلبة التي حدثت منذ قليل؟».

أجابه أحمد سريعًا: «إنه رجل مصاب بالجنون يا باشا.. يثرثر بكلام غير عقلاني بالمرة.. وكان يريد أن يقابلك ولكني منعته وطلبت من الجنود أن يلقوه خارج القسم».

سأله سراج بفضول القط.. «كان يريد أن يقابلني.. هل قال لك من هو؟».



«نعم يا سيدي.. أخبرني بأنه صحفي يدعى رامي إمام وأنه على علاقة بك من قبل».

داعب سراج أسفل شاربه بإبهامه وسبابته وهو يحدث نفسه.. «رامي إمام.. وصحفي.. اممم.. لقد سمعت هذا الاسم من قبل ولكني لا أتذكره.. فلنرَ ماذا لديه».. ثم ضغط على زر أمامه مرةً أخرى.. فدلف الجندي سريعًا إلى المكتب وهو يؤدي التحية العسكرية.. فأشار إليه سراج.. «اذهب وأحضر لي هذا الرجل الذي كان مع أحمد باشا منذ قليل.. وأخبره بأن العقيد سراج يريد أن يقابله».

أومأ الجندي برأسه وانصرف إلى الخارج مسرعًا.. فسأله أحمد مستنكرًا.. «لماذا سوف تقابله.. لا تضيع وقتك مع هذا الرجل يا باشا.. إنه مجنون ويتحدث بحديث المجانين» فأومأ سراج برأسه إلى أحمد.. «سوف نرى.. سوف نرى.. وأنت يجب ألا تفتعل مشاكل مع الصحفيين.. نحن في غنى عن أي صراعات حاليًّا بيننا وبينهم».

أحمد غاضبًا.. «مستحيل يا باشا أن يكون مختل مثل هذا صحفيًّا.. إنه بالتأكيد مدعٍ.. وما أكثرهم تلك الأيام».

«سنرى.. سنرى.. وإذا لم يكن صحفيًّا مثل ما يدعي فسوف أسجنه بنفسي.. لا تشغل بالك».

مرت عدة دقائق ثم دلف الجندي من باب المكتب ومعه «رامي إمام» وهو شاب في أواخر الثلاثينيات، شعره أسود ناعم وجسده متوسط الحجم والطول ويرتدي ملابس شبابية ويبدو على وجهه الغضب..



نظـر أمامه عند دخوله المكتب فوجد أحمد يجلس على مقعد بأريحية أمام سراج الذي كان يجلس على مكتبه وهو ينظر إليه بفضول.. فتقدم رامي جهتـه سريعًـا وهو يمد يـده ليصافحـه.. فبادلـه سراج المصافحة وهو مبتسم ويدقق في ملامح رامي يحاول أن يتذكره.

«كيف حالك يا سراج باشا.. أنا رامي إمام الصحفي بجريدة اليوم السادس».

ظـل سراج يدقق في ملامحه.. «أهلًا بك.. أنت قلت إنك تعرفني.. هل تقابلنا من قبل؟».

فابتسـم له رامي «يبدو أنك نسيتني.. أنا أعلم بأنك مشغول للغاية كان الله في عونك بالتأكيد.. على العموم.. أنا الصحفي الذي تعاونت معه في قضية سرقة الكابلات من قبل.. هل تذكرتني؟».

ابتسـم سراج في الحال وهو يتلمس شـاربه بيده «.. نعم.. نعم لقد تذكـرت.. رامي إمام.. كيـف حالك.. لقد طلبت منـك أن تبرزني في الجريـدة وتظهـر كيـف قـدت التحقيقـات في القضيـة.. وأنـت قمت بتخصيـص جزء كبير من تلك المقالات عني.. وأرسـلت لي 50 عددًا بـدلًا من الأعداد العشرة التي طلبتها منـك.. بالطبع تذكرتك.. كيف حالك؟ تفضل بالجلوس».

فجلـس رامي على المقعد الفـارغ أمام أحمد وهو يبتسـم وينظر إليه بسـخرية.. وأحمد على وجهه العبـوس وهو يضع يده اليسرى على فمه بضيـق.. لاحظ سراج ما يحـدث فحدث رامي سريعًـا: «.. ماذا هناك



يا رامي.. إنك بالفعل رجلنا ويعتمد عليك.. فلماذا جعلت أحمد باشا يغضب منك».

فحدثه رامي مدافعًا: «لم أُغضب أحدًا يا باشا.. كل ما فعلته أني قد قمت بالحضور إلى هنا لتقديم بلاغ بجريمة وطلبت مقابلتك، أحمد باشا رفض ذلك وطلب مني أن أخبره بمضمون بلاغي.. فأخبرته.. وبدلًا من أن يقوم بوظيفته ويحقق في البلاغ.. اتهمني بالجنون والسفه».

فصرخ به أحمد غاضبًا.. «نعم بالطبع فما تفوهت به هو حديث مجانين ومجاذيب ومختلين.. ومن يقتنع بحديثك هذا ليس له مكان إلا مستشفى الأمراض العقلية».

فصاح به رامي غاضبًا.. «أرأيت يا سراج باشا.. هل هذا هو عمل رجل الشرطة.. إلقاء التهم جزافًا على المواطنين.. آتي لكي أبلغ عن جريمة فأتهم بالجنون؟».

حاول أحمد أن يتحدث فقاطعه سراج بيده.. «انتظر يا أحمد.. لقد تعاملت مع رامي من قبل.. ولقد تلمست منه ذكاءً شديدًا وتفانيًا في العمل.. ودقة في البحث والمعلومات.. يبدو أن هناك شيئًا التبس عليك.. أن هناك خطأ ما.. فلتخبرني يا رامي.. ما هو بلاغك؟».

ضحك أحمد بسخرية شديدة وهو يشير إلى رامي بيديه.. «حسنًا أيها العبقري.. فلتخبر سراج باشا بما قلته لي».



نظـر رامي إلى سراج مـترددًا.. وسراج يتابعه متحفزًا.. فأخذ رامي نفسًـا عميقًـا ثم تحدث إليـه «أريد أن أبلغك عن وجود جثة لشـخص مقتول مجهول».

لم يعقب عليه سراج وتابع نظراته إليه وهو يهز رأسـه لكي يكمل.. فانفجـر أحمـد ضاحـكًا وهو يحـدث رامي.. «حسـنًا فلتكمـل.. أخبر سراج باشا من هو القتيل».

ظـل رامي ينظـر إلى سراج مـترددًا وحدثه بصوت خافـت بعد أن ابتلع ريقه.. «حسنًا.. أنا هو القتيل».

علـت وجـه سراج نظـرة مسـتنكرة.. وضحـك أحمـد بشـدة وهو متشفٍّ ويشير جهة رامي.. «أرأيت يا سراج باشا.. هو القتيل.. القتيل عاد إلى الحياة مرةً أخرى وأتى لكي يبلغ عن قتله.. هل هذا بالله عليك يوصف بأي شيء آخر سوى أنه حديث مجانين».

قاطعـه رامي بغضب.. «أنا أعلم أن حديثي غريب للغاية.. ويعتبر حديـث أحـد المجانين بالفعـل.. ولكنني أقسـم لك أنـه الحقيقة.. لقد رأيت جثتي منذ عدة سـاعات وهي مقتولة برصاصة في الظهر وملقاة على الطريق».

ظل أحمد يضحك بشـدة وهو يسـتمع إلى رامي.. بينما اكتفى سراج بأن تابع كلامه وهو مبتسـم.. فشـعر رامي بالإحراج الشديد المختلط بالغضـب ولكنـه اكتفـى بالصمـت.. مرت عـدة لحظات بـدأ خلالها سراج بالتحـدث إلى رامي بجديـة.. «أخبرني يا رامي.. هل كنت تحلم



مثلًا بما شاهدته؟ هل كنت تحلم مثلًا بأنك سوف تقتل في المستقبل بهذه الطريقة مثلًا؟ أو أنك تشعر بأن هناك من سوف يقتلك وكان هذا تحذير لنفسك في هيئة صورة حلم؟».

أومأ رامي برأسه نافيًا.. «لا.. لا.. لم يكن حلمًا قط.. أقسم لك بأن ما رأيته كان حقيقيًّا.. لقد شاهدت جثتي منذ قليل وهي ملقاة على الطريق وفي ظهرها طلق ناري.. أنا متأكد.. هذا لم يكن حلمًا أبدًا».

حدثه سراج ممتعضًا.. «صدقني يا رامي.. أن أصف حديثك هذا بأنه حلم.. فهذا أقصى درجات التهذب لوصف حديثك.. لأنه لا يمكن وصف هذا الحديث بأي شيء آخر إلا أنه حديث مجانين بالفعل».

وقف رامي غاضبًا في مكانه «حسنًا.. أنا أعلم بأن كلامي هذا صعب التصديق.. ولو أخبرني أحد بهذا الأمر فسوف أخبره أنه مجنون بالفعل.. ولكن أنا أستطيع أن أثبت كلامي هذا الآن».

نظر إليه سراج مستنكرًا.. «ماذا سوف تفعل؟».

فحدثه بحماسة: «سوف آخذكم الآن أنت وأحمد باشا ومعكم قوة من الجنود في سيارة الشرطة ونذهب معًا إلى المكان الذي توجد به جثتي الآن.. لتروها بعيونكم أنتم والجنود معكم وإذا كنت كاذبًا ولم تكن جثتي هناك.. فسوف أدعكم تفعلون ما تريدون معي.. اسجنوني بتهمة البلاغ الكاذب.. أودعوني مستشفى الأمراض العقلية.. بل أعدموني إذا كنت أكذب.. ولكن إذا كان حديثي صادقًا.. فلا أحد منكم أبدًا.. أبدًا.. يقول إني كاذب أو مجنون مرةً أخرى إلى الأبد».



حدق سراج في عيون رامي متفحصًا فوجدها مليئة بالإصرار الشديد.. فتبادل النظرات مع أحمد قليلًا ثم نظر إلى رامي وهو يفكر ثم ضرب مكتبه فجأة وهو يحدثهم.. «حسنًا فلنذهب معًا لكي نرى ما مدى صدق كلامك يا رامي».

ووقف في مكانه وهو يضع مفاتيح سيارته في جيبه وأمسك بهاتفه في يده وهو يستعد للرحيل.. حدثه أحمد مستنكرًا.. «ماذا ستفعل يا باشا.. لا تقل لي إنك تصدق حديث هذا الشخص بأي شكل من الأشكال.. أنا أثق بأن هذا الرجل إما مجنون وإما أن يكون قد أعد مزحة سخيفة ليسخر منًّا».

اقترب سراج من باب المكتب وفتحه ثم نظر خلفه إلى أحمد «..حسنًا سوف نرى الآن ما إذا كان السيد رامي مجنونًا أو يمزح وصدقني.. أيًّا ما يكون الوضع فهو أفضل من متابعة وصفة المكرونة بالبشاميل.. وإذا وجدنا السيد رامي يكذب.. فسوف نجد أنا وأنت وقتًا ممتعًا للغاية لكي نفرغ طاقتنا به قليلًا».

ثم قبّل قبضته وهم بالخروج من باب المكتب.. ابتسم رامي بتشفٍّ إلى أحمد وهو يتبع سراج إلى الخارج.. نظر إليهم أحمد غاضبًا وهو يراقبهم منصرفين للحظات ثم ضرب المكتب بيديه بغضب وهو يصرخ.. «اللعنة».. وهب من مكانه وخرج خلفهم مسرعًا.

* * *



انطلقت سيارة سراج اليابانية البيضاء على الطريق وهي تحمل سراج الذي يقودها وبجواره رامي وخلفهم يجلس أحمد متأففًا وتتبعهم سيارتان للشرطة محملتان بعدد من الجنود وتتبعانهم كظلهم.. تحدث سراج إلى رامي متسائلًا.. «هل اقتربنا يا رامي؟».

- «نعم.. نعم.. إنه بالقرب من هنا.. عشر دقائق بالكثير ونصل».

فصرخ به أحمد من الخلف.. «منذ عشرين دقيقة مضت وأنت تردد هذا الكلام أيضًا».

لم يعقب رامي عليه وظل يتابع النظر إلى الطريق أمامه وقد اقتربوا من طريق غير ممهد ومحاط بعدة أشجار كبيرة فصاح رامي فجأة.. «هنا.. إنها هنا.. جثتي هنا».

ضحك سراج رغمًا عنه وضحك أحمد أيضًا على كلامه.. نظر إليهما رامي بضيق وهو يجز على أسنانه بغضب من رد فعلهما.. قام سراج بإيقاف السيارة على جانب الطريق وترجل منها هو ورامي وبعض الجنود يشهرون أسلحتهم.. فتقدم رامي الطريق وهو ينظر حوله بتمعن واهتمام شديد، ثم نظر إلى يمينه فجأة وأشار إلى موقع أحد الأشجار الضخمة.. «إنها هنا.. هنا.. بأسفل الطريق وراء هذه الأشجار» وتقدم سريعًا وأخذ يتبعه سراج وخلفه أحمد محاطًا بباقي الجنود وهم ينظرون حولهم بتحفز.. اقترب رامي من مكان مغطى بالأتربة وبه بعض الشجيرات والحشائش الصغيرة وهناك لاحظوا وجود قدم لأحد الأشخاص مرتديًا حذاءً رياضيًّا.. فاقترب سراج بسرعة هو وأحمد والجنود وتتبعوا رامي الذي وقف بجوار جسد ممدد



على الأرض.. ويبدو من الوهلة الأولى أن هذا الجسد لشاب يرتدي بنطال جينز أزرق وقميصًا مخططًا بخطوط صغيرة خضراء وبيضاء، ينتعل في قدميه حذاء رياضيًّا قيمًا، وهناك آثار لطلق ناري في ظهره.

فاقترب سراج باهتمام من الجسد الذي أمامه واكتست ملامحه بالجدية بينما اقترب أحمد من الجسد الممدد على الأرض وظل ينظر له من عدة جهات.. فصاح بهما رامي في الحال: «اقلبوه على ظهره لكي تروا وجهه».

فقام سراج في الحال بوضع يده في جيبه وأخرج قفازًا مطاطيًّا ارتداه ثم قام بقلب الجثة بروية شديدة لكي يرى وجهه.. ولكم كانت الصدمة شديدة عندما شاهد هذا الوجه.. إنه وجه رامي بالفعل.. وبدون أي مقدمات وبكل تلقائية نظر سراج إلى وجه رامي الذي كان يقف خلفه لكي يتأكد من ملامحه لعدة ثوانٍ ثم نظر إلى وجه القتيل أمامه ليجده نفس الوجه.. نفس القسمات.. نفس النمش والبقع السوداء الكبيرة التي تحت عينيه.. وقف أحمد يحدق في الجثة الملقاة أمامه وهو مستعجب هو والجنود خلفه جميعهم.. ينظرون إلى القتيل ثم ينظرون إلى رامي الذي يقف أمامهم مبتسمًا وعلى وجهه علامات النصر والظفر.. تحرك أحمد إلى الجثة وجثا على ركبتيه أمامها وحاول سحب الجلد من على وجه الجثة عسى أن يكون قناعًا متقن الصنع وضعه رامي على الجثة، ولكنه فوجئ بأنه وجه القتيل بالفعل، فشعر بالاضطراب في تفكيره وهو يحاول بكل قوة ألا يطاوع المنطق ويصدق ويؤمن بما قاله رامي من قبل وبأنه حقيقي.. فنظر إلى رامي خلفه



متشككًا «بالتأكيد هذا هو توءمك وإنك قمت بهذه المسرحية بأكملها لكي تغطي على جريمة ارتكبتها في حق أخيك التوءم».

ابتسم له رامي ساخرًا.. «أنا وحيد.. والدي ووالدتي ماتا منذ زمن بعيد ولم يكن لي إخوة قط.. فما بالك بتوءم لم أسمع عنه من قبل.. ولكني مثلك تشككت بأن يكون هذا أخي ولم أكن أعلم عنه أي شيء، أو على أقل تقدير يكون شخصًا يشبهني للغاية.. ولهذا أردت أن أقطع الشك باليقين ففعلت أمرًا تأكدت من خلاله بأنه ليس أخي أو أحدًا يشبهني.. ثم رفع رامي قميصه وملابسه الداخلية العلوية ليكشف عن بطنه وأشار بيده إلى أثر جرح كبير بالقرب من جانبه وأخذ يتحدث لهم عن هذا الجرح «أترون هذا الأثر.. هو أثر جرح قد حدث لي عندما كنت في الصف الثالث الإعدادي.. لقد تعثرت عندما لعبت كرة القدم مع قرنائي في الشارع وسقطت فوق قطعة زجاج كبيرة اخترقت جسدي وتحطم بعض أجزائها بداخلي واضطررت إلى أن أخرج تلك الشظايا عن طريق عملية جراحية، وهذا هو الأثر الناتج عن جرح قطع الزجاج تلك مع آثار الجراحة.. فلترفع ملابس الجسد الملقى أمامك».

فرفع في الحال أحمد الملابس عن الجسد أمامه ونظر إلى مكان الجرح الذي أشار إليه رامي فوجده موجودًا بالضبط في المكان نفسه عند رامي.. ابتسم رامي وهو يهذب ملابسه وحدثهم بثقة.. «كما ترون جميعًا.. آثار الجرح على جسدي هي نفس آثار الجرح على الجثة.. وهذا ينفي بالتأكيد أن يكون هذا القتيل أخي أو شخصًا يشبهني.. بل تلك الجثة التي أمامك هي جثتي أنا بالفعل.



وهأنا أقف أمامك حيًّا.. وجسدي ملقى أمامك ميتًا».

ظل أحمد يحدق في الجسد أمامه غير مصدق وهو يتلمس موضع الجرح البارز على جسد القتيل أمامهم.. بينما سراج أخذ يتراجع للخلف وهو مصدوم غير مصدق.. وقف مذهولًا خلف الجميع مبتعدًا عنهم.. ثم وضع يده المرتعشة في جيبه وأخذ يبحث عن شيء ما في جيبه.. أخذ رامي يراقبه وهو يعتقد بأن سراج يبحث عن سجائره لينفث بعض التبغ ليخرج قلقه وتوتره.. ولكن ما أخرجه سراج من جيبه جعله يشعر بالحيرة.. فلقد أخرج سراج من جيبه فرشاة أسنان حمراء صغيرة ثم وضع يده في جيبه الآخر وأخرج أنبوبًا لمعجون أسنان صغير الحجم أيضًا ثم وضع بعضًا منه على الفرشاة وأخذ يفرش أسنانه بكل قوة وعنف وهو يشاهد أحمد يقلب في جسد القتيل أمامه غير مصدق.. راقب رامي بهدوء المشهد الذي يحدث أمامه.. الجنود يتحدثون إلى بعضهم خائفين وهم يتلون بعض آيات القرآن وأحمد أخذ يقلب في ملابس القتيل بكل دقة وسراج ظل واقفًا بالخلف يفرش أسنانه بعنف لعدة دقائق.. ثم اتجه بعد ذلك إلى سيارته مسرعًا وأخذ منها زجاجة مياه معدنية صغيرة وتناول بعض الماء منها ثم بصقها سريعًا لعدة مرات ثم ألقى بالزجاجة بعيدًا وتوجه بثقة إلى الجثة مرةً أخرى وهو يحدث أحمد بلهجة آمرة.. «فلتصنع كردونًا أمنيًّا حول الجثة الآن.. لا تدع أي مخلوق يقترب منها مرةً أخرى حتى أنت.. وقم بالاتصال بالطب الشرعي وخبراء المعمل الجنائي ليعاينوا مسرح الجريمة».



أطرق أحمد برأسه موافقًا وأمر الجنود بالتحرك والقيام بشكل معين.. اقترب رامي من سراج وحدثه بثقة: «هل تأكدتما الآن أن ما قلته لم يكن جنونًا.. وأن تلك الجثة هي لي بالفعل؟».

ارتسمت نظرة غاضبة على وجه سراج.. «لست أنت من يحدد هذا.. لن أسلم بهذا الهراء الذي تتحدث به.. سوف نرفع البصمات ونأخذ الحمض النووي للجثة ونقارنها ببصماتك وحمضك النووي.. وهنا سوف نعلم الحقيقة بأكملها وحتي ذلك الوقت.. أنت المشتبه به الرئيسي في قضية القتل هذه» ثم صرخ في أحد الجنود خلفه.. «أيها الجندي.. فلتضع القيود في يد هذا الرجل الآن وضعه في سيارة الشرطة تحت الحراسة المشددة ولتتبعني إلى القسم الآن» ثم انصرف إلى سيارته وجلس بداخلها وهو يراقب الجنود وهم يضعون القيود بيد رامي دون أن يقاوم.. بل ابتسم وهو يتحدث إلى سراج بسيارته: «لقد تحولت من مجنون إلى مسجون.. أنا أظن أن هذا تطور إيجابي في وضعي» ثم وضعه الجنود في سيارة الشرطة وهم يحرسونه.

* * *

بعد مرور ثلاثة أيام

دلف أحمد إلى مكتب سراج توفيق وهو يحمل ملفًا كبيرًا في يده وأعطاه لسراج.. الذي أخذه متلهفًا ومزقه سريعًا وأخرج منه بعض الأوراق وأخذ يتفحصها بعناية شديدة.. ثم ألقاها على المكتب أمامه في ضيق.. ثم ضغط على زر أمامه فدلف الجندي سريعًا إلى مكتبه وهو



يـدب الأرض بقدمـه مؤديًـا التحية العسـكرية فحدثـه سراج مسرعًا «أحـضر لي رامي إمام من الحجز، ولتحضر لي فنجانًا من القهوة سـكر زيادة».

انـصرف الجنـدي في الحال وأغلـق خلفه الباب فتحـدث إليه أحمد «هل ما زالت التقارير هي ذاتها؟».

أطرق سراج رأسـه بالإيجـاب «نعم هذه هي المرة الثالثة بالفعل.. أريـد أن أتأكـد مائـة بالمائـة.. وأن أقطع الشـك باليقـين.. لا تعلم كم يؤرقني هذا الأمر ويجافيني النوم بسببه».

«لسـت وحدك يا باشا.. أنا أيضًا كذلك.. لا نرى مثل هذا الحدث كل يوم ولكني شبه متأكد بأنها خدعة متقنة».

«سنرى.. سنرى».. قطع حديثهما الجندي وهو يطرق الباب سريعًا ثـم دلـف إلى المكتب ومعه رامي وهو مقيد بالقيـود ولكن تعلو وجهه ابتسـامة كبيرة.. طلـب سراج من الجنـدي بأن يزيل القيـود من رامي فامتثل إلى أمره في الحال.. وأخذ رامي يمسح على يديه فوق أثر القيود وهـو يشـعر بالارتيـاح وتوجـه إلى سراج بالسـؤال في الحـال «لماذا تم احتجازي يا باشـا؟ أنا لم أفعل شـيئًا لكل ذلك.. كل ما فعلته أني قمت بالإبـلاغ عـن جريمة حدثـت، أهكـذا تكافئون من يحاول أن يسـاعد الشرطة ويساعد المجتمع؟!

فصـاح بـه أحمـد: «أنت تعلـم جيدًا يا هـذا أن هذه القضية ليسـت عاديـة.. ولهذا لا تتوقـع أن نتعامل معـك بطريقة عاديـة أيضًا» أجابه

بهدوء: «أنا أعلم ذلك جيدًا.. ولهذا أنا على أتم الاستعداد لمساعدتكما بأي شيء لكشف الغموض عن هذا الأمر.. لأني أريد أن أعلم ما الذي حدث بالضبط مثلكما.. لأن هذا الأمر يخصني أكثر من أي شخص آخر.. لست أنت من وجدت جثتك بل أنا».

حدثه سراج بتأنٍّ: «جيد يا رامي.. فلتساعدنا مثلما تقول.. اشرح لنا منذ البداية ما حدث.. وكيف عثرت على هذه الجثة».. ابتسم رامي له.. «أتقصد كيف وجدت جثتي؟».

أجابه بعبوس: «حسنًا كما تقول.. كيف وجدتها؟».

«على الرغم من أني قد قمت بسرد ما حدث معي عدة مرات لكما من قبل.. ولكني سوف أسرد لكما ما حدث مرةً أخرى.. ولكن هل تمانع أن أجلس هذه المرة؟».

أشار إليه سراج بالجلوس.. فجلس في الحال وأخذ يتكئ على مقعده ببطء.. «جزيل الشكر لك سيدي.. أنا كما أخبرتكما من قبل أمتلك شقتين.. شقة جديدة كبيرة في المهندسين قد بدأت العيش بها منذ ثلاث سنوات.. ولدي شقة أخرى في مكان بعيد وهادئ كنت أسكن بها أيام الشقاء.. ولقد قمت بتحويلها إلى مخزن أضع به الأثاث والأعداد القديمة من الجرائد وأي شيء لا أحتاج إليه بعد انتقالي منها.. وكنت أعمل في بحث لعملي فمكثت بتلك الشقة لمدة أربعة أيام متتالية.. ثم توجهت من الشقة إلى جهة عملي في صباح ذلك اليوم.. وفي طريقي إلى الجريدة.. صنعت كوبًا من القهوة لأتناوله في السيارة لكي أشعر بالاستيقاظ.. وفي أثناء تناولي كوب القهوة وأنا أقود سيارتي



سـقط بعض منها على ملابسي وعلى مقعد السـيارة.. فشعرت بالآلام وأثنـاء ذلك اختل مقود السـيارة تحـت يدي.. وتملكنـي القلق من أن أصطدم بسـيارة أخرى أو أحد الأشخاص في تلك اللحظة.. فتوقفت على جانب الطريق لتنظيف ملابسي ومقاعد السـيارة.. وهنا ارتمى إلى أذني أصوات اسـتغاثة.. صوت لشخص مألوف لدى.. ظللت أبحث حـولي وأنـا بداخل السـيارة عن مصدر هـذا الصوت فلم أجـد أحدًا حـولي وعلى الرغم من أننـا في الصباح والرؤية جيـدة حولي.. فإنني لم أرَ أحـدًا.. ولكـن صوت الاسـتغاثة ازداد قوة.. «النجـدة.. النجدة» صوت شـخص مألوف لدى يصرخ.. هنا دفعنـي الفضول لمعرفة من صاحب هذا الصوت المألوف ومسـاعدته إذا كان يحتاج إلى مساعدة.. فترجلت من سيارتي في الحال وأخذت أتتبع بأذني مصدر هذا الصوت وأنا أصرخ.. مَن أنت؟ أين أنت؟ أنا هنا وسوف أساعدك.. فجاوبني الصوت أنا هنا.. بالأسـفل بجوار الطريق أنقذني.. فنظرت إلى جانب الطريـق فوجـدت الأراضي الترابيـة والأشـجار الصغـيرة منتـشرة بالأسـفل.. فتقدمت إلى أسـفل الطريق وأنا أهـم بخطواتي أبحث عن مصـدر هذا الصـوت حتى اقتربـت من إحدى الأشـجار المتوسـطة، وهنا رأيت جسد شخص يتألم وهو يطلب النجدة.. فاقتربت في الحال وهنا لمحته.. فقمت بإخراج هاتفي لطلب الإسـعاف لنجدته. ولكني شـعرت بالصدمـة عندما رأيتـه.. فلقـد كان يحمل وجهـي.. أنا أعلم هـذا الشـعور.. عندما أنظر إلى وجهـي فجأة في المرآة أشـعر بالصدمة لعـدة لحظـات.. حتى أتأكـد من أن انعـكاس هذا الوجـه في المرآة هو لي.. ولكن تخيل دهشـتي عندما أرى وجهي فوق جسـد آخر.. ظللت



أحدق به عدة لحظات وأنا أحاول أن أستوعب ما يحدث.. ولم أشعر بمرور الوقت إلا عندما أمسك بنطالي بيده وهو يتألم.. فعدت إلى رشدي في الحال وجثوت على ركبتي وأنا أقترب منه وليس على لساني غير سؤال واحد فقط.. مَن أنت؟ ومَن فعل بك هذا؟ لم يجبني إلا بشيء واحد فقط.. الضابط سراج.. هو.. من.. يعلم.. «ثم سقطت يده بجواره على الأرض.. وهنا علمت بأنه قد مات.. لا أخفيك سرًّا.. لقد شعرت بالخوف الشديد والصدمة الكبيرة فجلست على الأرض بجواره وأنا أحدق به لفترة من الزمن.. لا أدري كم مر من الوقت ولكن ليس أقل من خمس عشرة دقيقة.. أحاول أن أقلب جميع ما حدث في رأسي.. من هذا الشخص؟ ولماذا يحمل تقاسيم وجهي؟ ومَن الذي قتله؟ هل هو أخي؟ أم أحد يشبهني؟ ومن هو الضابط سراج هذا؟».. ونظر رامي إلى سراج أمامه.. «بالطبع في ظل تلك الصدمة لم أتذكر حضرتك بالتأكيد».

أطرق سراج برأسه له متفهمًا وأخبره بأن يكمل.. فتابع رامي حديثه: «وهنا سمعت صوت سيارة تمر بسرعة على الطريق بالأعلى.. فشعرت بالذعر والخوف.. ماذا سيحدث إذا رآني أحد الآن وبجواري هذه الجثة.. بالتأكيد سوف يعتقد بأني مَن قتله.. وقررت هنا أن أتناسى كل شيء رأيته.. وأن أهرب في الحال.. وأدع تلك المشكلة لكي يحملها أحد آخر بدلًا مني.. وهممت بالانصراف في الحال ولكن لاحت مني نظرة أخيرة إلى وجهه.. أو بمعنى أدق إلى وجهي.. تملكني الفضول.. من هذا؟ من هذا؟ وبدون شعور مني وجدت نفسي أقلب

في ملابسه.. أبحث عن أوراق تحقيق الشخصية أو أي شيء يدلني عن هويته.. فلم أجد شيئًا.. وأثناء عبثي في ملابسه - لا أعلم لماذا - شعرت بأني يجب أن أبحث عن أثر الجرح في جسدي على جسده.. وبدون أن أشعر تمامًا كشفت عن ملابسه لأجد أثر الجرح مطابقًا لما لديَّ.. لم أصدق ما رأيته.. تلمست الجرح بيدي ثم بسرعة تحسست الجرح في جسدي.. إنه بالفعل متطابق.. هنا شعرت بشعور غريب للغاية.. شعور لا أستطيع أن أصفه ببضع كلمات.. شعور الروح وهي تنظر إلى جسد الميت.. أو الميت ينظر إلى روحه.. لا أعلم هل أنا مت أم أنا حي؟ هل أنا من قتلت وروحي هي التي تنظر إلى جسدي.. أم أنا حي ولم أمت؟ ولكني أمر بحالة الخروج من الجسد التي كنت دائمًا أسمع عنها ولكن الجسد الذي أمامي الآن هو جسد مقتول.. مضروب بطلقتين في الظهر والدماء أسفل منه.

فجأة سمعت صوت سيارة تمر بسرعة على الطريق مرةً أخرى.. فأطلقت لقدمي العنان وركضت أدرك الهرب.. أعدو كالظليم.. لم أشعر بنفسي إلا وأنا أقود سيارتي وأقف بها أمام الجريدة التي أعمل بها.. وظللت جليس مقعدي لمدة ساعتين.. أقلب في رأسي ما حدث معي منذ قليل ولم أجد أي تفسير لما رأيت.. هداني عقلي في تلك اللحظة إلى البحث عن الاسم الذي حدثتني به نفسي المقتولة وهو الضابط سراج.. وأخذت أبحث في رأسي عن صاحب هذا الاسم حتى تذكرتك هنا يا سيدي.. وبعد تردد كبير قررت أن أذهب إليك وأشاركك هذا الحدث الغريب أنت أيضًا لكي تحاول أن تعطي لي

تفسيرًا لما حدث.. وهأنا أمامك هنا الآن.. هل لديك تفسير لما حدث يا سراج باشا؟».

حدثه سراج متعجبًا.. «وكيف تتوقع مني أن أكون على علم بأي شيء من هذه الأمور التي تتحدث بها؟ إن كلامك هذا مع هذه التقارير التي أمامي هو ضرب من المستحيل».

نظر رامي إلى الأوراق التي على المكتب باهتمام شديد وسأل عنها بفضول كبير.. «ما هذه التقارير؟ هل قمتم بتحليل بصمات الأصابع والحمض النووي؟ ها.. ماذا وجدتم؟ هل هذه التقارير إيجابية أم لا؟ أخبروني بسرعة».

أطرق سراج برأسه مجيبًا.. «نعم.. إنها إيجابية.. فحص البصمات وتحليل الحمض النووي للجثة يشير إلى أنها لك بنسبة 99٪ .. ولقد قمت بإعادة الفحص لثلاث مرات متتالية وجميعها تظهر نفس النتيجة».

ابتسم رامي بفرح شديد ونظر إلى أحمد خلفه.. «إذًا أنا لم أكن مجنونًا.. إنها جثتي بالفعل.. ها».

ثم اتجه إلى أحمد ووقف أمامه متشفيًا.. «أرأيت.. أرأيت.. أنا لست مجنونًا».

فصاح به أحمد غاضبًا: «لا تختبر صبري يا هذا.. أنا أعلم بأن هناك خدعة في هذا الأمر.. وسوف أكتشفها بكل تأكيد وسوف أقوم بوضعك خلف القضبان بيدي هذه بعد أن أثبت كذبك للجميع».

نظر إليه رامي متحديًا.. «هل ما زلت تنكر بعد أن تأكدتم من صدق كلامي بأيديكم وتفحصتم الأدلة بأنفسكم؟ يبدو أن الشرطة ما زال لديها بعض الحمقى في صفوفها».

فصاح به أحمد وهو يدفعه في صدره بقوة.. «ماذا تقول يا بن اللعينة.. أتسخر مني».

شعر رامي بالغضب فدفعه بقوة هو الآخر واشتبك الاثنان بالأيدي.. فضرب سراج بقبضة يده على مكتبه غاضبًا وهو يصرخ بهما «ما هذا.. أتتصارعان أمامي.. هل أنا في روضة أطفال».

توقف رامي وأحمد عن الشجار في الحال وهما يشعران بالسخط.. توجه سراج إلى رامي بحديثه.. «أنت يا هذا.. سوف أتركك الآن لكي تذهب إلى حال سبيلك وسوف تكون تحت مراقبتنا المستمرة حتى انتهاء تلك القضية ومعرفة كل الملابسات التي نحن بصددها.. لا أريدك أن تكتب حرفًا واحدًا في أي جريدة أو أي موقع على الإنترنت أو أن تبوح بما حدث لأي شخص آخر إلى حين الانتهاء من هذه القضية برمتها».

أومأ رامي برأسه بالموافقة.. «حسنًا سوف أفعل ذلك ولكن بشرط واحد أن تجعلني على اطلاع دائم بجميع الأحداث والتحقيقات التي توصلت إليها.. إن هذه القضية تمسني.. وفي الوقت نفسه هي التي سوف تصنع مستقبلي وتاريخي الصحفي القادم.. أريد أن أكون ضلعًا مهمًّا فيما يحدث من الآن فصاعدًا».

فصاح عليه أحمد غاضبًا: «هل تملي علينا شروطك.. هل تشترط على الشرطة أيها الأحمق.. إني أستطيع أن أحتجزك هنا كمشتبه به كما يحلو لي ولا تستطيع أن تفلت من يدي أبدًا».

نظر له رامي مبتسمًا: «نعم تستطيع أن تفعل ذلك.. تستطيع أن تحتجزني كيفما شئت بالتأكيد.. ولكن كن على يقين بأن تلك القضية سوف تكون محط أنظار الإعلام وقنوات التلفاز في نفس ذلك اليوم.. وبالطبع تلك القضية بأحداثها الغريبة سوف تكون محط أنظار الناس من مختلف الفئات وسوف يتابعون مجرياتها لحظة بلحظة.. وسوف يصنع الإعلام والمشاهدون ضغطًا كبيرًا على الشرطة لكي يكشفوا عن هذا الغموض في هذه القضية.. وأنا سوف أتابع عملكم هنا من محبسي وأشاهدكم تنسحقون تحت هذا الضغط الشديد».

اقترب أحمد منه وأمسكه من ملابسه بعنف: «يبدو أنك لا تعلم مقامك جيدًا أيها الوغد.. يجب أن أحطم رأسك هنا لكي تعلم مع من تتحدث هكذا».

قام رامي بتخليص ملابسه منه وهو يحدثه بحنق: «أريد أن أراك تفعل هذا.. وقسمًا بالله سوف ترى مني ما لم تتخيله في حياتك».

خبط سراج على مكتبه بغضب وبقوة مرةً أخرى وتحدث إلى أحمد: «اصمت يا أحمد.. لا أريد أن أسمع صوتك تتحدث بعد الآن».

نظر إليه أحمد غاضبًا.. «ولكن يا سراج باشا».

أشار له سراج بيده أن يصمت.. فامتثل أحمد له في الحال وطأطأ رأسه في خنوع.. فتحرك سراج من مكتبه وتوجه إلى رامي وتحدث إليه بهدوء.. «سوف نتعاون معًا في هذه القضية يا رامي كما تريد ونكشف غموضها معًا.. أنا أعلم جيدًا أن هذه القضية سبق صحفي لا يعوض في حياتك المهنية.. ولكني أعلم أنك عاقل وتعلم جيدًا أن تلك القضية لا تحتمل أن تتسرب إلى الإعلام الآن بأي شكل من الأشكال حتى الانتهاء تمامًا من التحقيقات.. وأعدك أنك سوف يكون لك الحق الحصري في الاطلاع على سير التحقيقات وجميع الأدلة التي سوف تظهر.. حسنًا.. اتفقنا».

ابتسم رامي وهو يمد يده ليصافحه.. «اتفقنا يا سراج باشا.. اتفقنا.. أنا سوف ألتزم بما وعدتك ولن أنشر أي شيء.. وأي أمر تريده مني سوف أنفذه في الحال».

صافحه سراج ثم أشار إليه بيده اليسرى وهو يحدثه.. «حسنًا انصرف الآن إلى منزلك ولتأخذ حمامًا دافئًا.. فرائحتك القذرة تملأ المكان».

ضحك رامي بشدة وهَمَّ بالانصراف وهو يرمق أحمد خلفه بنظرات متشفية ساخرة حتى غاب عن أعينهم.. فتحدث أحمد بسخط: «لماذا تركته يذهب يا سراج باشا.. إني أثق تمام الثقة بأن هذا الصحفي يتلاعب بنا بالتأكيد.. إنه يخفي أمرًا علينا.. أنا لا أثق به».

تنهد سراج بقوة ثم تحدث إليه: «.. أنا أيضًا لا أثق به.. ولا أثق بحدسك ولا أثق بحدسي.. أنا أثق فقط في الأدلة».



ثم أمسك بالأوراق التي أمامه على المكتب.. «وهذه الأدلة التي أمامي تخبرني بأن القتيل هو رامي.. أعلم أن هذا غير منطقي.. لم أر أو أسمع في حياتي عن شخص ينقسم إلى اثنين.. شخص ميت وشخص حي.. ولكن لكل شيء بداية مهما كان الأمر غريبًا أو غير منطقي.. يجب أن نفكر فيه بطريقة منطقية.. نحن سوف نتجاهل تمامًا أن هذا القتيل يحمل وجه الصحفي رامي ذاك.. فلنفترض أنه جثة مجهولة ومشوهة الملامح ولم نستدل على صاحبها.. وسوف نقوم بتحقيقاتنا بطريقة اعتيادية للغاية.. مثل أي قضية أخرى وبالتأكيد سوف نصل إلى حل منطقي في النهاية.. صدقني لا يوجد شيء في عالم البشر ليس له تفسير.. كل ما هنالك أننا لم نعلم تفسيره فقط.. وأنا لن أتراجع أو أتوانى عن كشف وتفسير هذا الأمر وسوف أعاقب أي شخص يقف خلفه سواء كان رامي أو أي شخص آخر غيره.. مهمتك الآن هي الآتي.. سوف تعين عدة مخبرين سريين لمراقبة رامي في كل الأوقات.. هو الآن المشتبه به الأول في القضية.. وأريد ذلك كله دون أن يشعر.. هل فهمت.. دون أن يشعر».

أطرق أحمد برأسه بالإيجاب ثم حدثه مسرعًا.. «ألن تخبر سيادة اللواء مأمون عن هذا الأمر».

ابتسم سراج وهو يضغط على أرقام هاتفه.. «أتقصد والد زوجتي.. سوف أخبره بالتأكيد، أريد أن أرى ردة فعله وهو يتناول العشاء في منزلي اليوم.. سوف يصاب بأزمة قلبية في الحال.. فهو من النوع الذي يخاف ويتطير بسهولة».. لحظات قليلة ثم تحدث سراج بالهاتف «ألو.. سيادة

اللـواء.. كيف حالك يا سيدي.. أنـت مدعو على العشـاء في منزلي هذا اليـوم سـوف تحضر ابنتـك وليمة من أجلـك تلك الليلـة.. لا.. لا.. لن أقبل بأي أعذار.. فإني الآن أحقق في قضية تسـاوي مليون جنيه.. سوف تجعلـك تزهـد في النوم لليـالٍ كثيرة مثـلي.. لا.. لن أخبرك الآن سـوف أخـبرك بـكلِّ شيء على العشـاء كـما أخبرتـك.. في انتظـارك.. في انتظار معاليـك.. إلى اللقـاء.. إلى اللقـاء.. «أغلـق الهاتف ووضعـه أمامه على المكتب فحدثه أحمد ملاحقًا: «هل ستخبر اللواء مأمون بالوضع كله».

«بالطبع أيها الأحمق.. هل نسيت أنه يعمل في جهاز الأمن الوطني.. يجـب أن أحمي ظهري من أي شيء يجد.. وإلا لمـاذا تزوجت ابنته إذًا.. مـن أجـل أن يحمي ظهري بالطبـع.. كما أنا أحمي ظهرك يـا ابن خالتي العزيـزة.. هيـا اذهـب إلى مكتبـك وبـاشر تلـك القضية كـما أخبرتك بنفسـك وبلغني بـأي جديد بها.. أريد أن تنتهي تلـك القضية بأكملها خلال عشرة أيام فقط».

حدثه أحمد ساخرًا.. «نعم.. نعم.. سوف أذهب إلى مكتبي وأضغط على زر أمامي.. وهوب.. هوب.. سوف تحل القضية بأكملها».

أشـاح له سراج بيـده مازحًا: «هذا هو ما تفلح بـه فقط.. هيا.. هيا اذهب يا روح أمك».

ابتسـم أحمد لسراج وهو يغادر مكتبه «هكذا.. سوف أخبر خالتك بـما تقوله» فقام سراج بإلقاء قلم موضوع أمامه جهة أحمد الذي ركض مبتعدًا وهو يضحك .

* * *



في مساء ذلك اليوم جلس سراج على أريكته في غرفة الضيوف وجلس أمامه والد زوجته اللواء مأمون كامل وزوجته تجلس إلى جواره وأمامهم بعض أطباق الحلوى الشرقية مرصوصة بكميات كبيرة على طاولة أمامهم وينظر مأمون إلى أطباق الحلوى بعيون ممتلئة بالنهم الشديد ويحاول أن يمد يده أمامه على الطاولة ليتناول إحدى قطع الحلوى ولكنه يتراجع عندما يرى زوجته تنظر إليه نظرات مترقبة ومتوعدة.. تدخل ابنتهما سعاد زوجة سراج وهي تحمل طبقًا كبيرًا به بعض الفاكهة المنتقاة بعناية وتضعها أمامهم على الطاولة فتحدثها أمها بقلق: «لماذا كل ذلك يا ابنتي.. أنا وأبوك لن نستطيع أن نتناول شيئًا من كل هذه المأكولات».. استغل مأمون انشغال زوجته بالحديث مع ابنتهما والتقط بيده قطعة حلوى ووضعها في فمه وأخذ يلوكها بسرعة وهو يشعر بالسعادة والنشوة من امتزاج طعم الحلوى وعصيرها الممتلئ بالسكر وهي تذوب في فمه.. هو يعلم الآن كيف يشعر مدمنو المخدرات وهم يتعاطون الجرعة تلو الجرعة ليسبحوا بعيدًا عن هذا العالم وهمومه.. وهو أيضًا كذلك سبح بعيدًا عن العالم معهم وأفرز مخه هرمون الأندروفين أو ما يطلق عليه هرمون السعادة.. ألحت عليه نفسه بأن يتذوق فمه قطعة أخرى من تلك الحلوى.

فنظر إلى زوجته المنهمكة في إعطاء ابنتها نصائحها التي تقولها لها مائة مرة في كل زيارة.. وشعر بالخوف من أن تلحظ ما يفعله.. ولكن هرمون الأندروفين وما سببه له من سعادة جعله لا يعبأ بها.. جعله يصرخ في داخله اللعنة عليك . فليذهب العالم إلى الجحيم.. فأنا لن



أعبأ بشيء بعد الآن وهجم بسرعة على طبق الحلوى أمامه - كالطفل الصغير وهو يسرق بخلسة أصابع البطاطس المحمرة التي تعدها أمه على الغداء - وأخذ يملأ يديه بقطع الحلوى وهو يلوكها بسرعة بفمه ثم يلقم غيرها لتتجدد عصارة الحلوى بفمه مجددًا.. رأت زوجته ما يفعله فصرخت عليه غاضبة.. «ماذا تفعل يا رجل.. هل جننت تأكل كل هذه الحلوى؟!».

وأخذت تصرخ وتصرخ ولكن هيهات.. كان مأمون في عالم آخر.. طعم السكر المختلف في كل قضمة يأخذها من البسبوسة أو الكنافة أو لقمة القاضي وغيرها من الحلوى الشهية الندية.. أخذ عقله وذهب بتلابيبه ولم يعد يُعنى بأي شيء.. لن يتوقف لأي شيء.. ولكنه أفاق على واقعه الأليم سريعًا عندما سحبت زوجته طبق الحلوى من أمامه وضمته إلى جسدها مبتعدة عنه وهي تصرخ به: «إنك بالتأكيد أصبت بالجنون.. أتأكل كل هذه الحلوى وأنت مصاب بالسكري؟».

شعر مأمون بالامتعاض من كلمات زوجته التي أعادته إلى رشده وجعلته يشعر بالذنب.. هذا الذنب الذي نشعر به دائمًا بعد انتهائنا من قضاء شهواتنا ثم محاولة مواجهة عواقب هذه اللحظات المحرمة اللذيذة التي حدثت.. لماذا يكون طعم المحرم لذيذًا والممنوع مرغوبًا دائمًا؟ لا نعلم لماذا.. ولكن فيما يبدو أنها سمة الكون وفطرته ولا أحد بإمكانه التفلت منها.. فالكل يبغض محبيه ويعشق جلاديه.. وبالنهاية لم يمنع شعور مأمون بالذنب من أن يكمل باقي قطع الحلوى التي بيده وهو يترقب ضحكات سراج عليه.. واشتباك زوجته مع ابنته التي



ظلت تدافع عنه.. «لماذا يا أمي لا تتركينه يأكل كما يشاء؟ بعض قطع الحلوى لن تصيبه بضرر كبير».

أعطتها أمها طبق الحلوى بعصبية شديدة.. «لن تصيبه بالضرر.. نعم من يده بالماء الفاتر ليس كمن يده بالنيران.. أنت لست من يسهر على خدمته وهو يصرخ طوال الليل متألمًا من آثار قطع الحلوى تلك وارتفاع السكر بدمائه.. ويصرخ طوال الليل.. الحقيني يا أمينة.. أنقذيني يا أمينة.. كل ذلك بسبب طفاسته اللعينة».

ظل سراج يراقب حديثهم وهو يضحك بملء فمه.. فنظر له مأمون مبتسمًا وهو يشعل سيجارته.. «فلتضحك.. فلتضحك يبدو أنك قد دعوتنا إلى هنا لكي تضحك علينا ونسليك».

ابتسم سراج له كيف ذلك يا مأمون باشا.. أنا لا أقدر أن أفعل ذلك أبدًا.. حاشا وماشا يا باشا».

أخذ نفسًا عميقًا من سيجارته ثم نفث دخانها بسرعة.. «أخبرني سريعًا هيا.. ما تلك القضية التي سوف ستثير اهتمامي علمًا بأني الآن بعد أربعين عامًا في الخدمة لم يعد يثير اهتمامي أي شيء.. وجميع ما تظنه غريبًا قد مررت بأغرب منه في الأمن الوطني».

«لا يا سيادة اللواء.. لم ولن ترى مثل هذه القضية التي سوف أحكي لك عنها الآن».

تحدثت إليهم زوجة مأمون بفضول: «..ما تلك القضية التي تتحدثون عنها.. هل هي مثيرة للاهتمام؟!».



فصرخ بها مأمون: «مرةً أخرى أيتها العجوز تتدخلين في شئون غيرك.. فلتقومي من هنا الآن.. اذهبي أنتِ وابنتك وشاهدي أحد المسلسلات الهندية التي تتابعينها.. هيا.. هيا.. واتركوا حديث الرجال للرجال».

نظرت سعاد إلى أبيها غاضبة ثم ضربت سراج زوجها في كتفه بغيظ وهي تحدث أمها.. «هيا بنا يا أمي يا حبيبتي.. هيا لنذهب لنجلس في الخارج وندعهم بمفردهم مثل ما يريدون».

شعر سراج بالألم وأخذ يتحسس كتفه وهو يضحك.. «لماذا تضربني أنا؟ أرأيت ابنتك يا سيادة اللواء؟ أشاهدت ماذا تفعل؟».

اصطحبت سعاد والدتها وخرجت من الغرفة وصفعت الباب بقوة وهي غاضبة.. فتحدث سراج بقلق إلى مأمون وهو يبتسم: «أرأيت ابنتك يا باشا؟ لقد أصبحت غاضبة بسببك.. سوف تخرج غضبها هذا عليَّ بعد أن تنصرفوا».

أخذ مأمون ينفث دخان سيجارته.. «أعلم.. أعلم.. إنها مثل أمها تعشق النكد وتقدسه.. دعك من هذا الهراء وأخبرني بالقضية التي كنت تتحدث عنها.. لقد أثرت شهيتي لمعرفة ما حدث».

اقترب سراج بجسده على الأريكة قليلًا وتحدث بجدية: «حسنًا الأمر بدأ عندما كنت في مكتبي أباشر عملي كالمعتاد وحينها سمعت جلبة بالخارج».. وأخذ سراج يقص ما حدث معه بالتفصيل الممل إلى مأمون الذي بدا عليه الاهتمام الشديد لدرجه أن أنساه أن يأخذ أنفاسًا



من سيجارته التي انتهت تقريبًا مع انتهاء سرد سراج لحديثه.. التزم مأمون الصمت وأخذ يبحث عن علبة سجائره بعصبية شديدة ثم سحب منها سيجارة وأشعلها في الحال وأخذ منها نفسًا عميقًا ونفثه بعنف شديد.. شعر سراج بأن هناك شيئًا غريبًا في ملامح وجه مأمون التي تغيرت فجأة.. هو يعلم أنه من النوع الذي يخاف دائمًا ولكن لم يتصور لوهلة أن يكون خائفًا هكذا.. فتحدث إليه بقلق: «ما بك يا باشا.. هل هناك شيء يؤرقك؟ هل قلت لك شيئًا خطأً في حديثي؟».

صرخ به مأمون: «نعم.. كل شيء فعلته خطأ.. كل شيء خطأ يا سراج.. لماذا.. لماذا لم تخبرني عن هذا الأمر من قبل.. لماذا؟»

شعر سراج بالتوتر يجتاح جسده فلم يتوقع أن يكون رد فعل مأمون هكذا فسأله مرتبكًا: «ها أنا أخبرك الآن يا سيدي». صرخ به مأمون وهو يلقي سيجارته على الأرض أمامه: «الآن.. أتقول الآن.. بعد أن مر على الأمر خمسة أيام».

شعر سراج بالخوف والغضب في وقت واحد فلم يعتد على أن يصرخ فيه أحد منذ وقت طويل.. وهو قلق أن يكون فعل أمرًا خطأ بالفعل جعل مأمون يغضب لهذه الدرجة التي لم يرها من قبل.. ماذا فعل؟ وفيم أخطأ؟ ظل يفكر كثيرًا وهو يراقب ملامح مأمون عن كثب.. إلى أن تحدث إليه أخيرًا: «.. هل أعطيت تلك القضية إلى أحد زملائك؟ هل يعلم أي شخص عن هذا الأمر؟».

أطرق سراج برأسه نافيًا.. «.. لا.. لا.. لم يعلم أحد بهذه القضية إلا أنا وبعض رجالي ومن يباشرون التحقيق في هذه القضية.. ولكن

لماذا كل هذا القلق؟ إنها قضية مثل أي قضية أخرى.. حتى ولو كانت أحداثها غامضة وغريبة».

أشعل مأمون سيجارة أخرى ولقمها في فمه في الحال وهو يحدثه بحنق: «لا.. ليست قضية عادية أبدًا يا سراج.. أنت لا تعلم شيئًا. لا تعلم شيئًا.. إنه يحدث كما حدث في الماضي». أثارت تلك الكلمات المقتضبة حفيظته.. ماذا يعني بأنه لا يعلم شيئًا.. هل مأمون يعلم ما حدث؟ ماذا يقصد كما حدث في الماضي؟ هل حدث شيء في الماضي شبيه بما حدث في تلك القضية؟ هل حقق في قضية من قبل وجد بها شخص جثته؟ لم يفكر سراج كثيرًا وسأل مأمون في الحال: «هل تعلم شيئًا عن هذه القضية ولا أعلمه يا مأمون باشا؟ هل شاهدت حادثًا مماثلًا من قبل؟».

اكتفى مأمون بأن نظر له طويلًا دون أن يتحدث ثم وقف في مكانه في الحال وتحدث إليه: «سراج.. انسَ هذه القضية من الآن.. فلتنس أي شيء رأيته أو سمعته.. انسَ هذا الصحفي.. لا توجد جثة.. لا يوجد قتيل.. لا توجد قضية.. انس الأمر كله وأنا سوف أتولى التخلص من الأوراق والتقارير وأي شيء آخر يخص ذلك الأمر».

وقف سراج مندهشًا: «ماذا تعني بحديثك؟ هل ستتركني هكذا وتنصرف دون أن تخبرني بأي شيء.. بل تطلب مني أن أتغاضى عما شاهدته بعيوني؟ هل أتغاضى عن أغرب شيء رأيته في حياتي؟ هل تريد مني أن أتغاضى عن وجود قتيل؟ أيًّا كان رامي أو غيره.. هل أدع مجرمًا حرًّا طليقًا من أجل أنك شعرت بالخوف؟».

صرخ به مأمون غاضبًا.. «أنا لست خائفًا.. أنا أفعل ذلك لمصلحتك أنت.. أنت لا تعلم شيئًا.. إني أنقذك من نفسك أيها الأحمق».

حدثه سراج بهدوء.. «مأمون باشا.. هناك الآن خيار من اثنين ليس لهما ثالث.. إما أن تخبرني بكل ما تعلمه وأجهله أنا عن هذه القضية.. وإما أن تنسى جميع ما تحدثت به معك الآن وكأنك لم تسمع مني شيئًا وأنا سوف أتابع هذه القضية سواء أخبرتني أو لا».

ألقى مأمون بسيجارته مرةً أخرى بغضب وهو يصرخ في سراج: «أنت عنيد وأحمق ولا تفقه شيئًا» ..ثم تركه وانصرف إلى خارج الغرفة وصرخ في زوجته: «هيا بنا يا أمينة.. هيا بنا» .. ثم سحب زوجته من يدها بعنف وهمَّ خارجًا إلى خارج المنزل وأمينة تنظر إلى ابنتها سعاد مندهشة من رد فعل زوجها.. فنظرت سعاد إلى سراج وحدثته بصوت خافت: «ماذا حدث؟» واكتفى سراج بأن نظر إليها ثم تركها وانصرف إلى داخل غرفة نومه وهو يصفعه بشدة وجلس على السرير ينظر إلى المرآة الكبيرة المقابلة له وينظر إلى انعكاس صورته وهو يفكر بعمق.. ماذا حدث؟ ولماذا رد الفعل الغريب الذي أبداه مأمون له منذ قليل؟ هل يخفي عنه شيئًا.. ولكن مأمون لم يُخفِ عن سراج أي شيء من قبل.. فهو يعامله مثل ابنه وليس مثل زوج ابنته فقط.. ويخبره بكل شيء دائمًا حتى أدق أسرار الدولة السرية التي كان يعلمها مأمون بطبيعة عمله كان يخبر سراج بها.. هل هناك شيء أكثر سرية من أسرار الدولة نفسها؟ بالطبع لا.. إذًا فلماذا لم يخبره مأمون بهذا الأمر وطلب



منه أن ينساه؟ هذا الأمر جعل سراج أكثر فضولًا.. لمحاولة كشف الغموض المصاحب لهذه القضية.

❋ ❋ ❋

مرت ثلاث ليالٍ على التوالي دون أن يتحدث مأمون إلى سراج ودون أن يحدث أي جديد أو أي تطور في ملابسات القضية حتى جاء مساء يوم الأحد في الواحدة بعد منتصف الليل.. وكان سراج يغط في النوم بجوار زوجته سعاد ويسبح عائمًا في عالم الأحلام.. حتى استيقظ بعنف على صوت هاتفه وهو يدوي في الظلام.. اعتدل في الحال على سريره وقام يتحسس المنضدة بجواره بحثًا عن الهاتف حتى وجده وسحبه إليه ونظر في شاشته على مضض ولكن لم ير الاسم جيدًا بسبب عدم استيقاظه الكامل، أخذ يمسح عينيه في ضيق ونظر مرةً أخرى فوجد اسم اللواء مأمون على الشاشة فأخذ يسب ويلعن غاضبًا، فاستيقظت زوجته على صوته وسألته بفضول: «من الذي يتصل بك في هذا الوقت؟». فأجاب بضيق: «إنه أبوكي.. لا أعلم لماذا يتصل بي في هذا الوقت».. اعتدلت زوجته في جلستها بقلق.. «فلتجب بسرعة . أخشى أن يكون حدث لهم مكروه.. رد سريعًا».

تنهد سراج للحظات ثم رفع الهاتف على أذنه.. «ألو.. كيف حالك يا سيادة اللواء.. لماذا تتصل الآن؟ لقد أيقظتني من نومي؟».

فسمع صوت مأمون يحدثه غاضبًا: «هل لك عين لتنام أيها الأحمق.. بالطبع، فأنت لا تعلم حجم الكارثة التي أدخلت نفسك بها».. شعر



سراج بالقلق من حديثه.. «كارثة.. كارثة لماذا.. ماذا حدث لكل هذا؟!».

شعرت سعاد بالاضطراب والخوف الشديد، وجلست تراقب حديث سراج باهتمام.. بينما سراج يستمع إلى صوت مأمون الذي حدثه بتهكم: «القضية التي صرخت عليَّ بها واتهمتني بأني خائف منها يا سيادة العقيد.. القضية الخاصة بالصحفي الذي وجد جثته».

القلق اجتاح سراج فتحدث سريعًا: «نعم.. نعم ماذا حدث بها؟».

«الذي حدث أن الجثة سرقت من المشرحة الآن.. هل سمعتني.. الجثة سرقت وأنت نائم على أذنك».

شعر سراج بالصدمة.. «ماذا.. سرقت.. سرقت كيف.. كيف هذا؟».

صرخ به مأمون: «هل ما زلت تسأل.. هيا ارتد ملابسك واتجه إلى المشرحة حالًا».

أغلق سراج الهاتف وهو مضطرب ولم يشعر بنفسه إلا وهو يقف بسيارته أمام مشرحة زينهم ووجد بها لفيفًا من ضباط الشرطة في انتظاره وأخذ يعدو داخل طرقات المشرحة ويعدو خلفه رجاله في منتصف الليل ووسط حشد من جموع الجثث المجهولة والرائحة النتنة الصادرة عن تحلل الجثث وبعض المواد الكيميائية ليجد الحارس المكلف بحراسة الغرفة التي كانت بها جثة رامي المجهولة.. وعندما رأى الحارس سراج ارتعدت مفاصله ووقف أمامه خائفًا مترقبًا



فصرخ به سراج في الحال: «ماذا حدث؟ أخبرني كيف اختفت الجثة؟ مَن سرقها؟ انطق سريعًا».

فتحدث الحارس بخوف شديد.. «لا أعلم والله لا أعلم يا باشا.. كل ما هنالك أني كنت أحرس المكان كالعادة ثم سمعت صوت مواء قطة وجلبة بالداخل فذهبت إلى الغرفة لكي أرى ماذا يحدث لأجد إحدى الثلاجات مفتوحة والجثة التي بداخلها غير موجودة.. وعندما بلغت عن اختفائها.. انقلبت الدنيا رأسًا على عقب، وأتت الشرطة وأنت حضرتك، وأنا لا أعلم حتى جثة من هذا أو من أخذها».

فصاح به سراج غاضبًا: «ماذا تعني بكلامك؟ هل اختفت الجثة بمفردها دون أن يدخل أو يخرج أحد؟ هل تركت مكانك وذهبت إلى أي مكان آخر؟».

«أقسم لك يا باشا هذا ما حدث.. والله العظيم لم أتحرك من مكاني هذا أو حتى ذهبت إلى الحمام طوالورديتي تلك.. ولم أتحرك من مقعدي إلا بعد أن سمعت مواء القطة، والجلبة بداخل الغرفة فقط».

ظل سراج ينظر إلى الحارس بعيون متفحصة واستشف من ملامحه أنه خائف ولا يعلم ما حدث بالفعل.. فدفع سراج كتف الحارس بغضب وتركه وانصرف وأمر رجاله في الحال بالبحث في كل مكان ومراقبة أي كاميرات مراقبة بالجوار والتحدث مع كل الشهود والعاملين في هذه الليلة.. وأخذ يجلس في سيارته يتابع رجاله وهم يدبون في أرجاء المكان وأصبحت مشرحة زينهم كتلة من النشاط بعد أن كانت مقبرة من المقابر المفتوحة للصور التذكارية من قبل الصبية



وبعض الباحثين عن الإثارة.. فجأة رن هاتف سراج فالتقطه سريعًا وتحدث به ليسمع صوت مأمون يحدثه: «ماذا فعلت يا سراج؟».

فأخذ سراج يشرح له بتمعنٍ بأنه سوف يبحث عن الجثة في كل مكان، ولن يهدأ له بال حتى يعثر على من فعل ذلك لكي يطمئن مأمون الذي حدثه بهدوء: «لا يا سراج.. لا تحدث جلبة بعد الآن.. إن اختفاء الجثة هذا في صالحنا».

شعر سراج بالاضطراب.. «ماذا تعني يا باشا؟».

«أعني أن تدع الأمر يمضي كما قلت لك من قبل.. لم يكن هناك قتيل.. لم يكن هناك صحفي وجد جثته.. لم تكن هناك جثة اختفت من المشرحة.. لم يحدث أي شيء من ذلك بتاتًا».

ابتلع سراج ريقه في قلق «أنسى الأمر؟ كيف أنساه؟!».

«اسمعني جيدًا يا سراج.. إن هذه القضية كما أخبرتك هي صندوق بندورا.. سوف تجلب الشرور والمآسي علينا جميعًا.. إذا لم تصدقني ولم تقتنع بخبرتي ومكانتي التي امتدت لأربعين عامًا، فهذا شأنك، ولكن يجب أن تتذكر أنك تحقق في قضية لشخص بلَّغ عن وجود جثة مقتولة له وهو حي.. وبعد عدة أيام اختفت تلك الجثة بدون أي أثر ولا يوجد أي دليل مادي على صدق حديثك إلا بضعة تقارير وأقوال الشهود ممن كانوا معك.. لا يوجد دليل مادي على هذه القضية أو صحة هذا البلاغ سواء وجدت الجثة أو لم تجدها.. عندما تصل هذه



القضية إلى الإعلام سوف تضع حبل المشنقة حول رقبتك وسوف تمسك هذا الحبل بيدك وتضغط بشدة على عنقك ببطء».

ابتلع سراج ريقه ببطء وهو يتحسس رقبته.. وبدأ كلام مأمون يؤثر به فتحدث إليه برجاء.. «ماذا أفعل يا سيادة اللواء.. اقترح عليَّ».

أجابه مأمون سريعًا: «كما أخبرتك.. اصرف رجالك الآن.. احفظ التحقيقات في هذه القضية.. لم تكن هناك جثة اختفت.. لم تكن هناك جثة من الأصل.. وأنا سوف أقوم بإعداد هذه الأمور كلها وسوف أجعل القضية كأن لم تكن.. ولكن المشكلة الوحيدة المتبقية هو هذا الصحفي رامي إمام.. يجب أن تقنعه بأن يصمت.. هل تستطيع فعل ذلك أم أتصرف أنا معه بطريقتي».

«لا.. لا.. اتركه لي سوف أقنعه بنفسي». ثم أغلق الهاتف وهو يكاد يكون متأكدًا أن مأمون هو الذي قام بسرقة هذه الجثة.. شعر بالاضطراب يجتاح جوارحه.. هل وصل الأمر إلى أن يقوم مأمون بإخفاء الجثة لكي يجعله يترك هذه القضية؟ هل الأمر بهذه الأهمية؟ حدس سراج أخبره بأن يذعن للأمر ويترك هذه القضية وشأنها.. وهو قلق كل القلق من رد فعل رامي.. هنا انطلق بسيارته وهو يقصد رامي في الحال.

* * *

ظل سراج يطرق باب منزل رامي بقوة شديدة ولفترة طويلة.. فذهب رامي لفتح الباب وهو فَزِعٌ وعلامات النوم ما زالت على



وجهه وارتسمت دهشة على ملامحه عندما وجد سراج أمامه في الرابعة فجرًا.. لم ينبس سراج ببنت شفة ولكن دفع رامي برفق وتقدم إلى داخل الشقة وجلس على أقرب أريكة أمامه بينما وقف رامي ينظر له مندهشًا فأغلق الباب برفق ووقف أمام سراج الذي جلس بكل أريحية على الأريكة وحدثه بلهجة آمرة: «اغسل وجهك ورأسك بالماء الفاتر في الحال واصنع لنا كوبين من القهوة».

شعر رامي بالاندهاش مما يفعله سراج ولكنه نفذ أوامره في الحال.. ذهب وغسل رأسه وصنع كوبين من القهوة ووضعهما أمام سراج على المنضدة المواجهة للأريكة، فسحب سراج أحد الكوبين في الحال وأخذ يرتشف منه وهو يصنع صوتًا مزعجًا للغاية ثم تحدث إليه: «أين كنت في هذا اليوم بالضبط يا رامي.. اشرح لي ما فعلته طوال هذا اليوم وبالتفصيل الممل» أخذ رامي ينظر إلى سراج متعجبًا ثم مطَّ شفتيه وهو يبتسم بسخرية.. «هل أيقظتني في الرابعة فجرًا لكي تسألني ماذا فعلت اليوم يا سراج باشا.. أنا لم أتزوج لكي لا يسألني أحد هذا السؤال».

نظر إليه سراج بحدة.. «أجب عن أسئلتي دون أي نقاش يا رامي.. أنت في منزلك معزز مكرم الآن.. لا تجعلني أسحبك إلى القسم لكي تجيبني».

ابتسم رامي في قلق.. «لا يا باشا سوف أجيب عن كل ما تريد إنه أمر بسيط للغاية.. لقد ذهبت إلى عملي كالمعتاد وفي السابعة انصرفت وجلست على مقهى بالقرب من المنزل مع أحد أصدقائي حتى الساعة



10 مساء ثم عدت إلى منزلي وتصفحت الإنترنت قليلًا ثم توجهت إلى النوم في الساعة 11 تقريبًا.. لكن لماذا كل ذلك؟!.. ما الذي جعلك تأتي إليَّ في الرابعة فجرًا لكي تسألني تلك الأسئلة؟!».

التزم سراج الصمت وهو يراجع ما قاله رامي مع أقوال المخبرين الذين كانوا يراقبونه في الأيام السابقة ووجدها متطابقة تقريبًا.. فارتشف رشفة من كوب القهوة ثم سأله سريعًا: «هل كنت في أي مكان بالقرب من السيدة زينب اليوم؟!.. هل كنت بالقرب من مشرحة زينهم أو زرتها اليوم؟!».

نظر له رامي متعجبًا.. «ماذا؟ مشرحة زينهم؟! ولماذا أذهب إلى هناك؟! لم أذهب إلى هناك قَطُّ.. وتستطيع أن تتأكد من صدق حديثي إذا قمت بعمل تحريات عني اليوم.. أنا لم أبتعد عن مكان عملي أو المنزل.. هذا كل ما فعلته اليوم.. ولكن لماذا تسأل عن وجودي بمشرحة زينهم.. هل هناك شيء حدث يا سراج باشا؟!».

أومأ سراج برأسه بالإيجاب.. «نعم هناك شيء حدث يا رامي.. لقد سرقت الجثة التي وجدناها من قبل».

شعر رامي بالدهشة.. «ماذا؟! سرقت الجثة؟! هل تقصد جثتي.. هل سُرقت جثتي؟!»..

نظر له سراج بلا مبالاة: «على الرغم من أنني أشعر بأني أتحدث بحديث المجانين ولكن نعم لقد سرقوا جثتك».



«ولكـن مَـن الـذي قـام بذلـك يـا سراج باشـا.. هل علمـت مَن سرقها؟».

«لا.. وكنـت أتمنـى أن تخبرني أنت بذلـك». أجابه رامـي سريعًا: «وكيف سـأعلم من سرقها.. أنا كما أخبرتـك لم أبتعد عن مكان عملي أو منزلي طوال هذا اليوم.. ولم أكن أعلم من الأصل بأن الجثة هناك في مشرحة زينهم من الأساس».

اعتـدل سراج في جلسـته وقطـع كلام رامـي فجـأة وهـو يتحـدث بهـدوء.. «رامـي.. اسـتمع إلى كلامـي هـذا جيـدًا.. مع اختفـاء الجثة الآن.. أصبحت القضية قائمة على مجرد بلاغك فقط ولا يوجد ما يثبت أقوالـك.. ولا توجـد أدلة على أنك وجدت جثـة مقتولة لك». نظر له رامـي مسـتنكرًا.. «ولكنك رأيتها يا سراج باشـا.. أنت والضابط أحمد والأطبـاء الذيـن قاموا بالفحوصـات والتحاليل لإثبـات أن هذه الجثة هـي جثتي.. كلكم شـهود على ذلـك.. رأيتموها بأعينكم ولمسـتموها بأيديكم».

ظـل سراج يداعـب شـاربه بإصبعـه للحظـات ثم تحـدث سريعًا: «رامـي، بدون وجود الجثة لن يخاطر أحد بالشـهادة معك.. لأنه بكل بسـاطة سوف يقال عنه مجنون مثلك.. لأنك إذا أصررت على كلامك بعد الآن.. فسـوف تكون كذلـك بالتأكيد.. هل فهمـت كلامي.. لن يضحي أي شخص بنفسه ومكانته من أجلك».

«ماذا تعني بكلامك يا سراج باشا.. ماذا تريد أن تقول؟».

أخذ سراج نفسًا عميقًا ثم أخرجه ببطء من فمه وأخذ يشير إلى رامي بيده.. «رامي.. أنت لم تجد جثتك.. لا يوجد قتيل.. لا توجد تحقيقات.. هذه القضية كأن لم تكن.. هل فهمتني».

«أتقصد أن أنسى جميع ما حدث لي وكل تلك الأمور الغامضة التي أحاطتني ورأيناها معًا بأعيننا؟».

شعر سراج بأن رامي سوف يرفض هذا الأمر وسوف يتحول الأمر إلى صراع معه ولهذا سوف يقوم بإظهار العين الحمراء له إن لزم الأمر.. فقرر أن يستخدم معه لغة التهديد والوعيد.. «رامي يجب أن تعلم أنه إذا لم تستجب لحديثي هذا فسوف».

قاطعه رامي بسرعة «أنا موافق».

نظر له سراج مستغربًا «موافق.. موافق على ماذا؟».

«موافق على ما طلبته مني.. أنا لم أجد جثتي مقتولة.. لم أذهب إليك لأبلغ عنها.. لم يحدث خلاف بيني وبين الضابط أحمد.. لم أسجن لمدة 3 أيام.. لم ولم ولم.. لم يحدث شيء ولن أنشر شيئًا.. أوليس هذا ما ترغب به يا سراج باشا؟».

موافقة رامي السريعة تلك جعلت سراج يشعر بالحيرة.. فلم يكن يظن أن يوافق رامي على هذا الأمر.. فابتسم بسرعة وهو يشدد على موافقة رامي مرةً أخرى لعله يكون سمع خطأً.. «إذًا.. أنت موافق على ما قلته.. سوف نحفظ القضية وكل ما يخصها.. وأنت لن تنشر حرفًا واحدًا عما حدث».



أومأ رامي برأسه بالإيجاب.. «نعم موافق.. لن أنشر شيئًا أو أخبر أحدًا عن تلك القضية.. سوف أنساها تمامًا كأن لم تكن.. ولكن ماذا سأستفيد من هذا الأمر؟».

هنا تابع سراج حديث رامي بترقب.

فأكمل رامي: «فأنت كما تعلم إذا لم تكن هناك قضية وتغاضيت عن كل ما حدث - كما طلبت - فهكذا أكون سجنت لفترة من الزمن دون أي ذنب.. وأنتم قمتم بالتحري عني في العمل وأصبح زملائي ينظرون إليَّ بريبة لماذا تحقق الشرطة حول رامي؟ فأنا بالطبع لم أخبر أحدًا عما حدث كما اتفقنا.. فما الذي سوف أربحه من هذا كله؟ فأنت لن تكشف الغموض الذي يحيط بهذه الجريمة.. ولن أستفيد بأي سبق صحفي من وراء هذه القضية.. أخبرني لماذا يجب أن أوافق على كل تلك الأمور المجحفة؟».

استشعر سراج المنطق في حديث رامي.. فسأله سريعًا.. «حسنًا.. ماذا تريد؟».

«أريد أن أختار قضية أرى أنها سوف تحقق النجاح الصحفي لي.. لن تفرضها أنت عليَّ.. ولكني سوف أختارها بنفسي.. وسوف تعطيني صلاحيات أن أتابع جمع التحريات والتحقيقات الخاصة بها لحظة بلحظة بشكل حصري لي فقط.. حتى وإن لم تكن أنت القائم على تلك القضية فسوف تقوم باتصالاتك لتجعلني أشارك في تحقيقاتها.. هل اتفقنا؟».



هنا أخذ سراج يراجع شروط رامي في رأسه ليراها هل سوف تتسبب في أي مشاكل له في المستقبل؟ ولكنه وجدها في قدراته ويستطيع أن يصنعها بسهولة.. فأومأ برأسه في الحال بالإيجاب.. «حسنًا.. اتفقنا.. سوف أجعل لك حقًّا حصريًّا للوصول لأي تحقيقات في أي قضية تراها مناسبة لك.. ولكن بشرط واحد ألا تنشر أي شيء سوف يكون له تأثير على خط سير التحقيقات إلا بعد انتهاء القضية تمامًا.. اتفقنا».

هنا مد رامي يده ليصافح سراج وهو يبتسم.. «اتفقنا».

فصافحه سراج وهو يبتسم بسرور لمرور الأمر بطريقة أسهل مما كان يتوقع، وأخذ يرتشف القهوة بسرعة، وأخذ رامي يشرب القهوة هو أيضًا.. وهنا أخذ سراج يتطلع إليه وهو يسأل نفسه.. لماذا وافق رامي على التخلي عن هذه القضية سريعًا هكذا.. هناك بالتأكيد شيء خطأ في موقفه.. فسأله في الحال.. «لماذا وافقت يا رامي على التخلي عن استكمال التحقيقات في القضية.. كنت أعتقد أنك سوف تريد كشف الغموض حولها.. ومعرفة ملابسة وجود جثة لك مقتولة؟».

نظر له رامي مبتسمًا.. «يا سراج باشا أنت بنفسك أخبرتني منذ قليل أن تلك القضية غريبة بالفعل ومع اختفاء الجثة المفاجئ أصبح إثبات صحة كلامي ضربًا من المستحيل.. وعلى ما يبدو من كلامك أنك لن تشهد معي ولن يشهد أي شخص آخر كان معك على صحة كلامي.. وسوف أكون في مشاكل وخصومة معك.. إذا أصررت على استكمال هذا الأمر.. لماذا أفعل كل ذلك وأمر بكل تلك الصعاب في حين أني أستطيع أن أحقق السبق الصحفي الذي أرجوه دون أن أكون



في عداوة معك.. بل إنك سوف تساعدني وتذلل الصعاب أمامي.. أنا بالطبع كدت أصاب بالجنون عندما وجدت قتيلًا يحمل جسدي ولكني لم أشعر جهته بأي شيء، فهو بالنسبه لي غريب كليًّا.. أنا ما زلت أحمل جسدي كما هو لم يزدد شيئًا أو يقلَّ شيئًا.. كل ما هنالك أني شعرت بأنه سبق صحفي ساقه القدر لي.. ولكن إذا كان هذا الأمر سيدخلني في مشكلات أخرى.. فأنا فى غنًى عنه بكل تأكيد لأحصل على سبق صحفي أسهل».

هز سراج كتفيه متعجبًا.. «أمرك غريب للغاية.. من أجل أن تحقق طموحك هذا.. يبدو أنك ستتحالف مع الشيطان ذاته».. ابتسم رامي وهو يستند بظهره على الأريكة خلفه.. «لقد سلكت طريق التعب والجهد لسنوات.. وسلكت طريق الواسطة والعلاقات لمدة عام واحد فقط، فوصلت بسرعة إلى مكانتي الحالية.. أسرع من سنوات الكفاح كلها التي كنت أجتهد بها.. عالمنا هذا يا سيد سراج عالم علاقات.. وليس عالمًا للشعارات».

أخذ سراج يقهقه وهو يرتشف كوب القهوة أمامه للحظات.. ثم حدث نفسه بأن طموح رامي ليس ما جعله يوافق على التغاضي عن هذه القضية بكل تأكيد.. ولكن هناك شيئًا آخر يخفيه رامي عنه ولا يبوح به.

مرت عشرة أيام بعد ذلك تم خلالها حفظ القضية واختفاء أي أوراق تخصها ولم يتم نشر أي شيء عنها من جهة رامي.

❋ ❋ ❋



لغز آخر

في عصر أحد الأيام وفوق كوبري عباس الشهير كانت تسير سيارة كورية اقتصادية على سرعة متوسطة، وكانت تحمل أسرة مكونة من زوج يقود السيارة وزوجته بجواره تحمل طفلها ذا الأعوام الثلاثة وهو ينظر من نافذة السيارة والهواء يداعب وجهه وشعره، وهو يبتسم ويضحك في سرور وهو يشير إلى كل ما يشاهده بيده ويخبر والديه عنه.. فأشار إلى السماء بيده الصغيرة وهو يتحدث بنبرة طفولية مضحكة محببة لدى الكبار.. «أبي.. أبي.. انظر.. الشمس.. إنها صفراء.. إنها ساطعة للغاية».. ابتسم والده وهو ينظر إلى الطريق أمامه باهتمام «نعم.. إنها صفراء وكبيرة».

أشار الطفل على أحد الرجال وهو يرتدي جلبابًا ويمشي فوق الكوبري «انظر أبي.. هذا الرجل.. إنه يرتدي فستانًا أبيض مثل أمي بالمنزل».

فضحكت والدته.. وضحك والده بشدة وأخذ يحدثه وهو يقود.. «إنه ليس فستانًا يا وحيد.. إنه يسمى جلبابًا يرتديه الرجال».

فتمتم وحيد في حيرة: «جلباب.. إذًا الرجال يرتدون فستانًا يسمى جلبابًا». ضحك والداه ولم يعقبا عليه.. وأخذ وحيد يشير إلى كل



ما يراه أمامه على الكوبري ووالده يردد ما قاله ويضحك.. «أبي انظر.. المياه زرقاء.. أبي انظر.. سيارة حمراء.. أبي، انظر.. الهواء يبعثر شعري.. أبي انظر.. رجل يركض ومعه كلب.. انظر.. إن الكلب يخرج لسانه.. أبي انظر.. سيارة في السماء.. إنها تطير عاليًا».. ابتسم والده ولم يرد عليه وانهمك في طريقه حتى اقتربت السيارة من منتصف الكوبري.. وهنا انتابت وحيد نوبة حماسة كبيرة وأخذ يصرخ وهو يشير بأصبعه بقوة.. «انظر أبي.. انظر.. إنه عووو.. إنه عووو.. أبي انظر.. شعر والده بالاندهاش من حديث ابنه ولكنه لم يلتفت إلا بسبب صرخة قوية أطلقتها زوجته بجواره وهي تحتضن ابنها بقوة.. فتفلتت منه نظرة سريعة إلى يمينه ليرى ما جعل زوجته تصرخ هكذا.. ويا لهول ما شاهده.. لم يستطع الرجل أن يعلم ماذا حدث إلا عندما اصطدم بسيارة أمامه توقفت فجأة.. ثم اصطدمت السيارة التي خلفه به.. ثم حدثت سلسلة من الاصطدامات.. أكثر من سبع سيارات اصطدمت ببعضها.. تعالت من خلالها أصوات احتكاك الفرامل بالإطارات والأرض الأسفلتية أسفله وتلامس الحديد والصاج.. واختلطت تلك الأصوات بالصريخ والهرج والمرج من السائقين ولكن ليس بفعل الاصطدام ولكن بسبب ما شاهدوه وجعلهم يصطدمون ببعضهم من البداية.. فلقد كان يقف على يمين الكوبري كائن مخيف على هيئة جمجمة بشرية كبيرة مجوفة العينين، ويداه عبارة عن عظام طويلة تستندان إلى السور الحديدي للكوبري وإحدى يديه تحمل منجلًا كبيرًا وباقي جسده مخفًى بواسطة عباءة سوداء كبيرة خلفه، ويبدو عليه أنه يطفو في الهواء ويحرك رأسه وهو ينظر إلى البشر أمامه مرة لليمين ومرة لليسار



وحجمه كبير يتعدى المترين.. مشهد مخيف وصادم لكل من رآه.. الطفل وحيد ظل يشير إليه من نافذة السيارة التي تحطمت مقدمتها وأمه تحتضنه بقوة وهي تصرخ والطفل ينادي «عووو.. عووو». شعر الجميع بالاضطراب؛ مَن كانوا بسياراتهم ومَن كانوا يترجلون على الكوبري.. نظر والد وحيد إلى زوجته وابنه فوجدهما بخير ونظر إلى يديه فوجد أن دماءً تتساقط من رأسه إثر اصطدامه بالمقود أمامه ولكنه لم يعبأ وظل ينظر بخوف إلى الكائن الذي أمامهم الذي لم يفعل شيئًا سوى أن ظل يحدق بهم وهو يحرك رأسه لليمين ولليسار.. تجمعت حوله الجموع ووقفوا على مسافة كبيرة منه خوفًا ولم يفكر أحد منهم في الاقتراب منه سوى والد وحيد الذي قاده الفضول إلى أن يترجل من سيارته فجأة، وظلت زوجته تصرخ عليه بأن يعود إلى داخل السيارة ولا يتركها.. فطمأنها ببضع كلمات ثم أخذ هاتفه المحمول من جيبه وأخذ يقوم بتصوير الكائن بالكاميرا التي بهاتفه.. وفي لحظات انتبه الجميع إلى ما يفعله فأخرج بعضهم هواتفهم وأخذوا يلتقطون للكائن بعض الصور والفيديوهات له والكائن يكتفي بأن ينظر إليهم فقط.. شعر والد وحيد بأن حاجز الخوف بدأ يتلاشى لدى الجميع حوله.. فأخذ يشجع نفسه ويقترب رويدًا رويدًا جهة الكائن.. والكائن لا يعيره أي اهتمام.. وظل يقترب أكثر فأكثر وسط صرخات زوجته وبعض المحذرين له خلفه.. ولكن ضاعت صرخات التحذيرات تلك في وسط صيحات التشجيع التي أطلقها بعض الجمع حوله ليشجعوه على التقدم جهة الكائن ليكون حقل تجارب بدلًا منهم.. وأخذ الرجل يقترب أكثر فأكثر متأثرًا بجرعات التشجيع الانتحارية التي سمعها



من الجميع حوله.. وظل يقترب وهو يصور الكائن بهاتفه أكثر وأكثر حتى أصبح بعيدًا عن الكائن بمسافة لا تزيد على 30 سم، وظل يحدق في الكائن الذي أمامه ليجد هذا الكائن يبدو مألوفًا أو رآه من قبل.. إن هيئته بالضبط كحاصد الأرواح الذي كان يرى مثله كثيرًا في الأفلام الأجنبية.. هل هذا هو حاصد الأرواح فعلًا.. أو أن الأمر مجرد دعابة أو دعاية لأحد الأفلام القادمة فتشجع أكثر وقام بالاقتراب جهة الكائن أو حاصد الأرواح بمعنى أدق، وأخذ يحاول أن يتلمسه بيده.. فجأة هنا نظر له الكائن بكل شراسة وعيونه المجوفة تكاد تخرج النيران.. نظراته تلك أشعلت الخوف في قلب والد وحيد فتراجع على الفور مبتعدًا خائفًا.. ومع ركضه هذا ركض الجميع وصرخت النساء والمارة وأخذ الخوف يداهم الجميع.. فأطلق الجميع سيقانهم للريح خائفين مبتعدين جميعًا عن مكان وجود هذا الكائن وسادت الفوضى على الكوبري وتكدست السيارات عليه في كلا الاتجاهين.. وفجأة اختفى الكائن من أمام الجميع وكأنه لم يكن.

مرت خمس عشرة دقيقة، وما زالت الفوضى تسود المكان.. عربات الشرطة وسيارات الإسعاف والأوناش كانت تعمل بكد شديد.. .. الشرطة تحاول تنظيم الأمور وأخذت إفادات وشهادات معظم الحضور عما حدث والإسعاف كانت تقوم بنقل المصابين وإسعافهم.. والأوناش ترفع السيارات المعطلة من على الطريق لتعود حركه المرور كالسابق.. وامتلأ الكوبري بالفضوليين والباحثين عن الإثارة بعد انتشار خبر ظهور هذا الكائن وكان من بينهم رامي إمام الذي قام



بإخراج هاتفه وأخذ يتجول وسط الحشود، يسأل هذا ويستمع إلى ذاك ويسجل أحاديثهم بهاتفه.. اقترب من أحد المجندين الذي كان يقف حراسة وحدثه مبتسمًا: «أهلًا بك أيها المجند الشجاع.. أنا الصحفي رامي إمام.. هل تخبرني بالضبط ماذا حدث هنا؟».

فأجابه المجند بلهجة صعيدية.. «أهلًا يا باشا.. أنا لا أعلم ماذا حدث.. كل ما هنالك أن بعض الأشخاص ظلوا يرددون أنهم وجدوا وحشًا أو عفريتًا.. اللهم احفظنا».

فحدثه رامي سريعًا.. «إذًا أنت لم تشاهد أي شيء بعينك؟!».

أومأ الجندي برأسه نافيًا.. «لا لم أر شيئًا.. الحمد للّه».

سأله رامي سريعًا.. «حسنًا.. هل رأيت شخصًا يدَّعي أنه رأى هذا الوحش المزعوم؟».

فأشار المجند إلى والد الطفل وحيد وهو يقف بجوار سيارة إسعاف تضمد رأسه وبجواره تقف زوجته وهي تحمل طفلها «وحيد».. ربت رامي على كتف المجند شاكرًا، ثم تركه واتجه في الحال إلى والد وحيد وحدثه بفضول.. «هل رأيت بالفعل وحشًا يا سيدي.. أنا صحفي.. أريدك أن تخبرني بكل شيء رأيته.. وفي مقابل معلوماتك سوف أقوم بمساعدتك لتخليص أي شيء في أي جهة حكومية تريدها».

هزت زوجته كتفه في الحال وهي تخبره بصوت خافت.. «أخبره.. أخبره عن بطاقة التموين.. اجعله يساعدنا لاستخراجها».. فأومأ لها زوجها برأسه في الحال.. وتحدث إلى رامي: «حسنًا سوف أخبرك



ولكن أريدك أن تساعدني في استخراج بطاقة التموين.. لقد قمت بجميع الإجراءات ولكن..».

قاطعه رامي في الحال وهو يخرج بطاقة صغيرة من جيبه وأعطاها له.. «اذهب بهذه البطاقة إلى وزارة التموين بالغد.. واسأل عن الأستاذ مسعود أبو زيد وأعطه البطاقة الخاصة بي وسوف يقوم بإنهاء كل شيء لك.. أخبرني الآن بما حدث».

أخذ والد وحيد البطاقة من يد رامي سريعًا وهو يبتسم لزوجته وهي تربت على رأس طفلها وحيد الذي غط في النوم بعد وجبة الإثارة التي شاهدها في عمره الصغير ذلك.. وأخذ الشاب يقص على رامي جميع ما حدث ورامي يقوم بتسجيل حديثه على هاتفه.. التف بعض رجال الشرطة وبعض الفضوليين حولهم يستمعون إلى حديث الشاب وزوجته تؤمن على ما يقوله زوجها.. فاستمع رامي إلى كل شيء منه ولكنه قاطعه بسؤال.. «هل تستطيع أن تصف لي هذا الكائن الذي شاهدته».

فأجاب الشاب في الحال.. «إنه أشبه بصائد الأرواح الذي نراه في الأفلام الأجنبية وهو يحمل منجله في يده».

«هل تقصد حاصد الأرواح ؟».

«نعم هذا هو.. حاصد الأرواح كان يبدو مثلهم ويحمل منجلًا في يده أيضًا ولكن كان حجمه أكبر وشكله مخيفًا للغاية».. تدخل أحد



المستمعين لهم في الحديث.. «ما هذا الهراء؟ لماذا تستمعون إلى هذا الكذب؟».

فصاح به شخص بجواره.. «لا.. إنه لا يكذب.. لقد رأيته أيضًا مثله.. وكان مثل ما يقول بالضبط».

فسخر منه شخص آخر.. «يبدو أنكم تشاهدون أفلام الكارتون كثيرًا.. حاصد أرواح! ما الذي سيظهر في مصر؟ هل تعتقد أننا سنصدق حديث الأطفال هذا؟».

فصاح عليه شخص آخر.. «نحن لا نكذب.. أنا قمت بتصويره.. سوف أريكم إياه لتشاهدوه بأنفسكم»..فأخرج الشاب هاتفه من جيبه.. فنظر الجميع وبينهم رامي إلى شاشة الهاتف بفضول وهو يستعرض الصور التي التقطها بهاتفه.. فوجدوا عدة صور غير واضحة ولا يظهر بها إلا بعض الخيالات غير المفهومة.. فدافع الشاب عن نفسه وهو يشعر بالحرج.. «ماذا تريدني أن أفعل.. لقد كنت أقوم بالتصوير وأنا أركض خائفًا».

فأخرج والد وحيد هاتفه بيده وحدثهم بفخر.. «أنا قمت بتصويره عدة دقائق فيديو سوف نراه بوضوح عندي».

قام رامي بإمساك الهاتف من يد والد وحيد وأخذ ينظر إليه بفضول وعيون المشككين قبل المصدقين ثبتت على شاشته وهي تلمع من الإثارة في انتظار أن يشاهدوه وهو يشغل المقطع الذي قام بتصويره.. قام بتشغيل المقطع فظل يفتح لعدة ثوانٍ مرت كالدهر عليهم وأخيرًا

بـدأ المقطـع ويظهر في الكامـيرا التي في يد والد وحيد صورة مرتعشـة تتجـه إلى مكان ما على سـور الكوبـري ويقترب منه رويـدًا.. رويدًا.. من السـور ولكـن لم يكن هناك أي شيء سـوى الفـراغ.. المكان الذي كان يجب أن يكون الكائن به عبارة عن فراغ وتستطيع بسهولة أن ترى النيل والعمارات الخلفية في الفيديو . الذي لم يكن به شيء غريب سوى صرخـات التحذيـر المختلطـة بالتشـجيع التـي كانت تظهـر في خلفية الفيديـو».. ظل والـد وحيد ينظر إلى الفيديو غـير مصدق وهو يصيح مندهشًـا.. «لقد صورته.. والله العظيم لقد صورته.. وجميع من حولي قـد رأوه معي.. اسـألوا زوجتي.. اسـألوا جميع مـن كان معنا في ذلك الوقت».

هنـا بـدأ جميع مـن كانـوا موجودين وشـاهدوا هـذا الكائـن وقام بتصويـره بإخـراج هواتفهم وأخذوا يقلبون في الصـور والفيديوهات التي التقطوها لذلك الكائـن ويا للعجب.. لقد كانت جميعها فارغة.. لا يظهر بها شيء سوى والد وحيد وهو يقترب من جهة سور الكوبري وهـو يصـور الفـراغ بهاتفه.. وبـدأت تعلـو صيحات غـير المصدقين والمشككين، بينما خفتت أصوات الذين شاهدوا وعاينوا هذا الحادث.. إلا شـابًّا واحدًا.. أخرج هاتفه وأراه للجميع وهو يصرخ فرحًا «.. ها هـو.. ها هو.. لقد صورته».. فتجمع الجميـع حوله في الحال ونظروا إلى شاشة هاتفه فوجدوا صورة لكائن أسود ضخم ويحمل وجهًا يشبه الجمجمة.. هنا انقسـم الجميع مرةً أخرى فبعض المشـككين اقتنعوا.. وبعضهـم زاد اقتناعًـا بأن هذا كله كان محض هـراء.. أخذ رامي يتنقل



بين الشهود والمارة يسألهم واحدًا تلو الآخر عما حدث ويتفقد صورهم وفيديوهاتهم التي التقطوها.. بدأت بعض سيارات وكالات الأنباء وبعض المراسلين في الظهور وظهرت الكاميرات وسادت الفوضى على الكوبري.. هنا توقف رامي عن أخذ الإفادات وهو يحدث نفسه.. «لقد سألت أكثر من 70 شخصًا كانوا موجودين في هذا الوقت.. أثناء الحادث.. 40 لم يروا أي شيء غير الحادثة.. وثلاثون رأوا هذا الكائن و12 شخصًا قاموا بتصويره ولكن لم يظهر إلا في صورة واحدة فقط».. أخذ ينظر إلى وكالات الأنباء وهي تنقض على الشهود ورجال الشرطة وتأخذ إفاداتهم.. والطريق بدأ يعود إلى مساره مرةً أخرى.. ودبت الحياة على الكوبري مرةً أخرى بعد أن كانت قد توقفت.. أخذ ينظر إلى شاشة هاتفه وإلى الملفات الصوتية التي سجلها للشهود وهو يحدث نفسه بصوت مسموع.. «.. فشل.. إنه فشل».

* * *



جهينة

هي مدينة تقع في جنوب القاهرة على بعد 38 كم من العاصمة.. في أحد الأيام داخل تلك المدينة كان يجلس شابان مراهقان أسفل عمود الإنارة في المساء يحملان بين أيديهما هواتفهما الذكية يتصفحان صفحات الإنترنت من خلالها باستمتاع وهما يدخنان سجائر ممتلئة بالنباتات المخدرة وهما يشعران بنشوة لحظية ويضحكان بشدة على أتفه شيء يجدانه أمامهما في صفحات التواصل الاجتماعي.. أخذ أحدهما يقرأ لزميله في سرعه أحد المنشورات على هاتفه.. «انظر إلى هذا المنشور.. إنه يتحدث عن شاهد من الذين كانوا عند كوبري عباس حينما رأوا الوحش الغريب أعلى الكوبري».

فضحك صديقه في الحال.. «هههه.. هل تصدق مثل هذا الهراء أنت أيضًا؟ وحش ماذا يا صديقي؟ هل نلعب لعبة على البلايستيشن أو الكمبيوتر؟ أنا لا أصدق هذا الهراء بالطبع».. سبه صديقه بسرعة في الحال.. «يا بن الـ.. لماذا لا تصدق؟! ألم تكن مهووسًا بمثل هذه الأشياء على المواقع الأجنبية المختلفة؟ لماذا تصدق بوجودها بالخارج وعدم وجودها بمصر؟ ألم تشاهد حلقة إلهام عبيد بالأمس.. لقد

تحدثت مع الشهود الذين رأوه.. وعرضت بعض الصور التي تظهر هذا الوحش.. سوف أريك هذه الصور لقد حفظتها على هاتفي».

سبه صديقه هو الآخر.. «لا تتعب نفسك يا بن الـ.. إني أعلم أن كل ذلك هراء.. خصوصًا عندما يعرض في برنامج إلهام عبيد هذه.. أنا لا أصدق تلك العجوز الشمطاء بتاتًا».

نظر صديقه إليه قليلًا ثم نفث نفسًا كبيرًا من سيجارته المحشية بما خس وخاب.. «أنت ابن.. إني مخطئ أن أحاور طفلًا مثلك يشاهد الكارتون حتى الآن».

أخذ زميله يسحب نفسًا عميقًا هو الآخر.. «يا بن الـ.. لقد أخبرتك ألف مرة بأنه ليس كارتونًا.. إنه يدعى أنمي.. أنمي.. حتى متى سأظل أردد لك هذا؟ أخبرني صحيح.. هل أحضرت ملزمة الفيزياء كما أخبرتك؟ إني لم أقم بفتح أي كتاب بها حتى الآن».

أخذ صديقه يضحك وهو يواصل سبه بالألفاظ النابية.. «ههههه.. هل سوف تذاكر يا بن الـ.. منذ متى أصبحت تهتم بالمذاكرة؟ هل سوف تنحرف وتصبح من المتفوقين أم ماذا؟».

نفى صديقه تلك التهمة عنه بالحال.. «متفوق ماذا يا صديقي.. أنا أريد أن أتخلص من وجع الرأس الذي تضعني به أمي كل يوم حينما تراني.. ذاكر لكي تنجح.. ذاكر من أجل مستقبلك.. ذاكر حتى لا ترسب.. وإذا لم ترني أذاكر فسوف تخبر أبي وسوف يمنعني عن الإنترنت وممكن أن يتطور الأمر ويمنعاني من الجلوس إلى الكمبيوتر



أيضًا ويسحبا مني هاتفي المحمول».. «لا يا رجل.. لا تقلق.. لا يوجد أهل بمثل تلك القسوة التي تتخيلها.. كل ما سوف يفعلونه هو أنهم سوف يقومون بـ».. فجأة قطع حديثهما صوت الكهرباء وهي تصدر أزيزًا ضخمًا من عمود الإنارة خلفهما وأصبحت إضاءة العمود تتراقص أعلاهما.. فابتعدا مسرعين من أسفل العمود خوفًا من الكهرباء وصوتها الشديد فصرخ أحدهما خائفًا: «ماذا يحدث؟».. ازدادت أصوات الأزيز بقوة فتراجعا أكثر إلى الخلف وهما مرتعبان.. اشتعلت إضاءة مصباح عمود الإضاءة بقوة وأصدر صوتًا شديدًا.. جعل الشابين ينتفضان للخلف هاربين ثم انقطعت إضاءة المصباح وانقطعت أضواء المدينة كلها في تلك اللحظة وأحاط الظلام بالشابين فأخذ أحدهما يصرخ في فزع «ماذا فعلت أيها الوغد؟!».

صرخ به صديقه مدافعًا: «أنا لم أفعل شيئًا يا بن الـ... هل تريد أن تلقي عليَّ هذه المصيبة؟ أنا لم ألمس عمود الإنارة ذلك من قريب أو من بعيد.. وأيضًا يبدو أن الإضاءة انطفأت في المدينة بأكملها.. يبدو أنه عيب في شركة الكهرباء».

«إذًا هيا بنا نذهب إلى منازلنا.. أشعل مصباح هاتفك وهيا بنا نعد».

«حسنًا.. حسنًا انتظر قليلًا سوف أفتحه.. ».

فجأة صدر صوت ارتطام ضخم بجوارهما.. صوت من قوته قد هز الأرض من تحت أقدامهما.. فصرخ أحدهما خائفًا: «اللعنة.. ما هذا؟ ما الذي سقط وهز الأرض هكذا؟».



أضاء صديقه مصباح هاتفه وهو يشعر بالخوف الشديد وحدثه بارتباك.. «لا أعلم.. لا أعلم.. لقد فتحت المصباح الآن وسنرى».

فجأة سمعا في وسط الظلام خلفهما أصواتًا لبعض الرجال يتحدثون بصوت غليظ وبكلمات غريبة.. فوقف الشابان وأخذا يبحثان خلفهما وهما يحملان مصابيح هواتفهما بارتعاش يبحثان عن مصدر هذه الأصوات.. ثم فجأة سمعا أحد الرجال يصرخ «بيدوور.. بيدوور».

ثم صمتت أصوات الرجال جميعها.. أخذ الشابان يدوران حول أنفسهما وهما خائفان بشدة.. «اللعنة.. لمن هذه الأصوات؟ من هؤلاء؟». فصرخ صديقه: «لا أعلم.. لا أعلم.. هيا بنا نذهب من هنا».

فجأة ترامى إلى أسماعهما شيء يمر إلى جوارهما بسرعة شديدة ثم اصطدم بشيء وأصدر صوتًا قويًّا.. أخذا يلتفان حول أنفسهما بمصباحيهما ليريا ماذا حدث.. ولكن مر بجانبهما شيء سريع آخر مرةً أخرى ثم صوت آخر.. ثم صوت آخر.. ثم فجأة سمعا أصواتًا كثيرة تمر بسرعة إلى جوارهما.. فجأة سمعا أحد هذه الأشياء وهي تصطدم بعمود الإنارة بالقرب منهما.. فاقتربا منه بهواتفهما سريعًا ليشاهداه.. فوجداه أمامهما مثبتًا بالعمود شيئًا خشبيًّا طويلًا ويبدو كالعصا الرفيعة وله ريش ملون من خلفه.. تلمسه أحدهما بفضول ثم قام بنزعه بقوة من العمود وأخذ يتمعن في سنه الكبيرة الغليظة ليكتشفا أنه سهم.. نظر أحدهما إلى الآخر بخوف وهما يمسكان السهم بأيديهما ليسمعا بعد ذلك عدة أصوات لأسهم تنطلق ناحيتهما، فركضا مسرعين



هاربـين يتخبطان في الظلام ليجد أحدهما نفسـه يصطدم بشيء صلب أسـقطه على الأرض بقوة، توقف صديقه ووضـع المصباح جهته وهو يحدثه بقلق.. «لماذا توقفت أيها الأحمق؟ إنهم يطلقون الأسـهم علينا.. سوف يقتلوننا».

لكنـه لم يتلق إجابة مـن صديقه الذي ظل ملقـى على الأرض وهو ينظـر إلى شيء أمامه في الظلام.. سـلط صديقه ضوء هاتفه على ما يراه فوجـده ينظر إلى شـخص ضخم وبدين له لحية حمـراء وملامحه غليظة ويرتـدي زي المحاربين ويحمل بيده درعًا ضخمـة في يده اليمنى ويده اليسرى يحمل بها سيفًا وفوق رأسه يضع خوذة كبيرة تغطي شعر رأسه الكث الخشـن الذي اصطبـغ بالحمرة، والخوذة لها قرنـان كبيران وهو يقـف أمامهما ويصرخ بشـدة وهو يرفع سـيفه «.. بيـكال.. لامود» ثم أطاح بسيفه بسرعة جهة الشابين.

* * *

بعد مرور 36 ساعة

اقترب رامي بسـيارته من مدينة جهينة ولكنه فوجئ بزحام شـديد أمام مدخل المدينة والسـيارات مرصوصة على الصفين من كل اتجاه.. عـاد بسـيارته وركنهـا في مـكان بعيد.. يبعد عـن مدخل المدينـة قليلًا وترجل على قدميه واتجه إلى داخل المدينة الذي وجده مغلقًا بالأسلاك الشـائكة وحوله كردون كبير من قوات الأمن المركزي وحوهم الكثير



من الصحفيين والمصورين لبعض القنوات الفضائية.. لم يكن رامي يتصور أن المدينة محاصرة بهذا الشكل.. فجميع مداخل ومخارج المدينة الثلاثة مغلقة بسياج، وقوات الأمن المركزي تمنع دخول أو خروج أي شخص إلا بعد أن يتأكدوا أنه من أهل المدينة أو سمح له بدخولها من قبل الشرطة.. وقف رامي يشاهد هذا المشهد حائرًا.. يتساءل لماذا يحدث كل هذا.. هو سمع عما حدث في مدينة جهينة.. يقال إن المدينة هوجمت من قبل غرباء.. لكن كانت الأقاويل والشائعات كثيرة.. ولهذا قدم ليعاين ما حدث بنفسه في تلك المدينة الصغيرة.. لقد توقع أن تقوم قوات الشرطة بمحاصرة مكان الحادث ومنع الدخول إليه.. ولكن لم يتصور أن تمنع قوات الشرطة من دخول المدينة بأكملها هذا شيء غريب للغاية! هنا فكر قليلًا.. هل يستغل دينه مع العقيد سراج لكي يسهل له الدخول إلى المدينة ليعلم ما حدث بها.. ولكن تردد للحظات.. هل سيستغل هذا الكارت ويكون الأمر بالنهاية تافهًا.. أو لا يكون ما ينشده رامي.. فرأى أن يتريث قليلًا ليرى أولًا ما إذا كان الأمر يستحق أن يضحي من أجله أم لا.. ظل رامي واقفًا واجمًا يتابع المشهد أمامه بتركيز لمدة عشر دقائق تقريبًا يراقب من يدخل أو يخرج من المدينة وعيناه وأذناه تعملان كالرادار، تدقق في كافة الوجوه وتحقق في كافة الأصوات التي تصل إليه.. ليجمع أي معلومات قدر المستطاع.. هنا ترامى إلى أذنه حديث بعض الصحفيين المنافسين له وهم يخبرون بعضهم بأنه سوف ينضم إلى الشرطة العالم الشاب عصام ناجي لمساعدتهم للتحقيق في أحداث هذه المدينة.. استشعر رامي بأهمية تلك المعلومة فقام على الفور بإخراج هاتفه الذكي وبحث على الإنترنت عن



اسم هذا العالم عصام ناجي.. ليكتشف سريعًا أنه العالم المشهور عالميًا عصام ناجي خبير علم طبقات الأرض أو ما يسمَّى بالجيولوجيا؛ وقد ولد ودرس بمصر وحصل على العديد من الجوائز العالمية في أبحاثه وهو يشغل منصب أستاذ علوم الفضاء بجامعة باريس وعضو في هيئة تدريس جامعة Caltech بولاية كاليفورنيا وعمل في عام 2003 في وكالة الفضاء الأمريكية ناسا وهو يحمل لقب المستشار العلمي للرئيس منذ عامين.. انتهى رامي من القراءة وهو يفكر بعمق ما الذي سوف يأتي بعالم مثل هذا في مكان مثل جهينة؟ يبدو أن هناك شيئًا هامًّا للغاية حدث في هذه المدينة يكمل سلسلة الأمور الغريبة التي حدثت في هذه الآونة الأخيرة.. مرت عدة دقائق ثم دلف موكب سيارات مكون من سبع سيارات إلى جهة مدينة جهينة.. والتف حول الموكب في الحال بعض قيادات من الشرطة وقوات الأمن المركزي لتحمي راكبي تلك السيارات من هجوم الصحفيين الشرس الذي بدأ عندما هموا بالنزول من سياراتهم.. لمح رامي بطرف عينيه هبوط العالم عصام ناجي من السيارة فتعرف عليه في الحال لأنه قد شاهد صورته منذ قليل.. تحرك عصام ومعه لفيف من رجال الشرطة يحمونه من الصحفيين ويتجهون جميعًا إلى داخل مدينة جهينة.. هنا قرر رامي في الحال أن يستخدم ورقته الرابحة مع سراج لكي يسهل له بنفوذه أن يكون طرفًا في تلك القضية.. حدسه أخبره بأن هذا هو هدفه الذي كان يبحث عنه كثيرًا.. رفع الهاتف إلى أذنه بعد أن ضغط على رقم سراج وهو ينتظر سماع صوته سريعًا وعيناه لا تزالان تتبعان عصام ومرافقيه وهو يدخل جهة مدخل المدينة.. هنا شعر رامي بأنه كاد أن يجن عندما سمع صوتًا إلى

جانبه يخبره بأن الهاتف الذي يتصل به غير متاح الآن، ويجب أن يعاود الاتصال في وقت لاحق.. هنا وضع هاتفه في جيبه غاضبًا وبخيبة أمل كبيرة وهو يتذكر أنه يجب أن يقطع كل ذلك الطريق إلى القاهرة مرةً أخرى لكي يرى سراج وجهًا لوجه ويخبره بشأن هذه القضية.. ولكن هنا حدث شيء لم يكن يتوقعه رامي على الإطلاق.. فقد وجد سراج يستقبل عصام بنفسه أمام مدخل المدينة.. شعر رامي بالفرح الشديد.. إنه كان يريد أن يتوسط له سراج في هذه القضية ليشترك بها.. ولكن لحظه السعيد يبدو أن سراج نفسه هو من يحقق في تلك القضية.. ركض رامي في الحال وسط أمواج البشر التي كونتها أجساد الصحفيين والفضوليين الذين وقفوا أمامه في استماتة ليبعدوه عن مبتغاه.. وهو الوصول إلى مدخل المدينة ولكن ظل رامي يقاومهم لفترة من الزمن ليصل أخيرًا إلى الجنود الذين يسدون المدخل.. حاول اختراقهم للحظات ولكنهم منعوه بقوة.. ووجدهم على أهبة الاستعداد للموت في تنفيذ أوامر قيادتهم.. فصرخ بأعلى صوته.. «سراج باشا.. سراج باشا».

لم يصل صوته إلى سراج الذي كان يسلم بحرارة على عصام ومرافقيه ثم اصطحبهم إلى داخل المدينة ولكن استوقفه صوت شخص يناديه.. نظر سراج إلى الخلف سريعًا.. فوجد رامي يقف وسط الجنود وهم يدفعونه بقوة وهو يصرخ عليه فرحًا حينما رآه.. اندهش سراج بشدة عندما رأى رامي أمامه فالتفت إلى طريقه وتجاهله.. شعر رامي بالصدمة الشديدة من تجاهل سراج له ثم تحول شعوره إلى الغضب..



فصرخ بأعلى صوته.. «سراج باشـا.. أنت وعدتني يا باشـا.. لا تنسَ وعـدك لي.. سراج باشـا».. سـمع سراج صراخ رامـي وتذكـيره لـه بوعـده.. فشـعر بتأنيب الضمير فترك عصام يسـبقه قليـلًا والتفت إلى أحد الجنود خلفه وهو ينفخ في الهواء متأففًا.. «أحضر هذا الشخص.. أدخلوه.. إنه معي».

رأى رامـي الجندي وهو يأخذ أوامره مـن سراج ثم ركض باتجاهه وتحـدث إلى زملائـه بـأن يتركـوا رامي يدخـل.. هنا شـعر بالسـعادة الشـديدة وهـو يشـعر بالتميـز والتفـرد لأنه الشـخص الوحيـد الذي استطاع الدخول إلى المدينة من وسط كل هؤلاء الحضور.. تفلت رامي من وسط الجنود أخيرًا وأخذ يرتب ملابسه التي تبعثرت وبدأ يصفف شـعره وينمقه ثم ركض سريعًا جهة سراج الذي بادره بسـؤاله «.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

فابتسـم له رامي في الحال.. «هذا هو سـؤالي لك يا سراج باشا.. ما الـذي أتـى برتبة كبيرة مثلـك إلى هذا المكان المجهـول.. يبدو أن هناك حدثًا جليلًا قد حدث هنا».

رفـع سراج كتفيه: «أنا لا أعلم أيضًا.. لقـد وصلت هنا منذ قليل، وهـذا تكليـف لي شـخصيًّا مـن القيـادات العليـا.. اسـتمع إليَّ جيـدًا يا رامي.. سـوف أسمح لك بأن تكون بجواري أنا فقط أثناء التحقيق في هـذه القضيـة كما وعدتك من قبل، ولكن.. قاطعه رامي في الحال.. «أعلم.. أعلم..لن أنـشر أي شيء ولن أتحدث إلى أي شـخص حتى

انتهاء القضية.. وعندما تسمح لي بذلك.. أخبرني لماذا لا أرى أحمد باشا معك؟».

«لماذا تسأل عن أحمد.. أتريد أن تتشاجرا هنا أيضًا؟.. لحسن حظك لم يكلف هنا سواي أنا فقط».

ابتسم رامي فرحًا.. «فعلًا هذا من حسن حظي بالفعل أنك من تحقق في تلك القضية».

نظر إليه سراج قليلًا ثم حدثه ببعض الكلمات المقتضبة.. «لا تتحدث إلى أي شخص.. ولا تبتعد عني نهائيًّا.. هيا اتبعني».. تحرك رامي وهو مبتسم بجوار سراج وهو فرح.. لم يعلم حينها بأن هذه سوف تكون بداية رحلته الغريبة العجيبة في مدينة جهينة.

انضم سراج سريعًا ومعه رامي إلى الوفد الذي كان يسبقه عصام وبعض رجال الشرطة المصاحبين له.. رامي تحرك في الحال واتجه إلى عصام وقام بمصافحته هو ومرافقيه وبادله الجميع المصافحة وهم لا يعلمون من هو ولماذا يرافق سراج معهم، وتقدم الجمع مرتجلين إلى داخل المدينة التي كان يتوسطها طريق أسفلتي كبير بحجم 25 مترًا وعلى جانبيه كانت تقبع عدة بنايات متوسطة الحجم من ثلاثة إلى أربعة أدوار، وكل بناية بها شقتان ومدخل منفصل، وأمام كل منزل حديقة بها أشجار فاكهة وأشجار زينة وكانت المدينة نظيفة والبنايات ملونة بألوان مختلفة جديدة ومتناسقة، ويبدو على أهل تلك المدينة أنهم يهتمون بمدينتهم ومكان معيشتهم جيدًا.. فكانت المدينة هادئة وطبيعية للغاية، ولكن الذي كان مختلفًا بها أن معظم السكان كانوا

يطلون من نوافذ وشرفات منازلهم ويتابعون سراج ومرافقيه باهتمام شديد.. اقترب الحشد الصغير من ميدان كبير يضم الطرق إلى جهات المدينة الأربع وكان في انتظارهم في وسط الميدان رجل في أوائل الخمسينات، شعره مصطبغ بالسواد ويرتدي ملابس شبابية، ومعه رجلان في مثل سنه تقريبًا يقفان خلفه، فتقدم الرجل إلى سراج وقدم نفسه لهم بثقة «أهلًا.. أهلًا بكم في مدينة جهينة.. أعرفكم بنفسي أنا أدعى مازن الحلبي عمدة هذه المدينة». فصافحه سراج سريعًا.. فتابع مازن حديثه «أنا عمدة شرفي بالطبع ولست رسميًّا بالتأكيد.. فأنا من اختارني غالبية سكان هذه المدينة لكي أرعى شئونهم وأدير لهم مصالحهم، وطبعًا أتحدث باسمهم، وهذان مساعداي السيد متولي والسيد بيومي». وأشار إلى رجلين خلفه فصافح الرجلان الجميع سريعًا.. ثم تحدث مازن العمدة إليهم مرةً أخرى.. «أعلم بالطبع أنكم في عجلة من أمركم ولا يوجد وقت لكي أقوم بضيافتكم.. ولكن اعذروني فيجب أن أضيفكم لا محالة.. فلقد قمت بتخصيص مبنى كامل لكم.. لكي تمكثوا به الفترة التي تريدونها في المدينة».

أومأ سراج له برأسه وهو يقاطعه.. «جيد.. جيد يا أستاذ مازن.. لكن نرجو أن نرى الشهود ونستمع إليهم الآن.. فلنذهب إلى مكان الحادث سريعًا».

ابتسم مازن في الحال «حسنًا.. فلتتبعوني سوف أريكم مكان الحادث حالًا».



تقدم مازن مرافقيه إلى الجهة اليمنى من الميدان وأخذ يحدثهم مبتسمًا.. «أرجو أن ترفعوا الغموض عن هذا الحادث.. لأنه لا يوجد وصف أقرب من أن أقول إنه حدث مستحيل.. تفضلوا.. تفضلوا معي».

تحرك الجميع خلف مازن الذي كان يقودهم بثقة وخلفهم كان رامي يتبعهم وهو يفكر بفضول.. «يا ترى ما هذا الحادث المستحيل؟!».

اقترب الجميع من أحد الأماكن المحاطة بعدد صغير من الجنود، وبعض أهل المدينة ملتفون حول شيء خشبي كبير غير واضح ويصورونه.. اقترب مازن والجميع أكثر ليظهر أمامهم هذا الشيء الخشبي الكبير.. وقفوا حوله وأخذوا ينظرون إليه غير مصدقين.. ما هذا الشيء!.. إنهم يعلمونه بالتأكيد.. الجميع يعلم ماهيته.. إنه ظاهر وبكل وضوح.. إنها مقدمة سفينة.. نعم سفينة خشبية كالتي نراها في العصور الوسطى القديمة.. تلك السفن الضخمة الخشبية ذات الأشرعة الكبيرة.. الجميع كانوا يشاهدون ذلك وهم غير مصدقين.. كيف تأتي هذه السفينة في مدينة مثل جهينة؟! ولماذا هناك مقدمة السفينة فقط؟! أين باقي جسد السفينة؟ أسئلة كثيرة دارت في خلد الجميع.. تحدث سراج إلى مازن في الحال «هل أنتم من جاء بهذه السفينة إلى هنا؟ هل هذا فعل أحد سكان المدينة؟».. نفى مازن في الحال: «لا يا سيدي.. لم يقم أحد بفعل هذا الشيء من أهل المدينة.. أنا متأكد من ذلك».

فحدثه سراج في الحال.. «وما الذي جعلك متأكدًا هكذا؟».



حدثه مازن بثقة.. «لأني أعلم هذه المدينة وأهلها جيدًا.. فلقد تبوأت عمدة لهذه المدينة منذ إنشائها منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وما يميز جهينة عن باقي مدن العالم أن أهلها صادقون.. ولم يحدث هنا أي جرم منذ أكثر من 25 عامًا».

صرخ أحد الواقفين خلفهم.. «ماذا عن سرور بكري؟».

نظر مازن بحدة إلى أهل المدينة خلفه.. وكادت أن تصدر عيناه شررًا من الغضب الذي كاد يحرق الجميع خلفه.. التقط سراج تلك اللحظة بعيونه الخبيرة ثم تحدث إلى مازن في الحال «من أول من شاهد تلك السفينة في المدينة؟ أريد أن آخذ شهادته». فأشار مازن إلى الشابين اللذين كانا يقفان تحت عمود الإنارة منذ أول أمس ونادى عليهما.. «أمير.. مسعود.. تعاليا إلى هنا».

اقترب الشابان من سراج، ومازن وعصام ورامي بجوارهم.. فوضع سراج يديه على كتفي الشابين وسحبهما بعيدًا عن الجميع ليحدثهما منفردًا.. فلاحظ الجميع رغبة سراج فابتعدوا عنهم قليلًا.. وأخذ عصام يذهب جهة السفينة ليتفحصها مندهشًا وتتبعه رامي بعيونه وهو يشاهده كيف يتحسس مقدمة السفينة بيده ويتفحصها بعناية.. ثم قام بالتقاط عدة صور لعصام ولسراج ولبعض أهل المدينة المتفرجين.. لاحظه سراج وأخذ ينظر إليه مترددًا.. ثم تركه وأخذ يكمل تحقيقه مع الشابين.. «إذًا أنتم حسب حديثكم كنتم تدرسون عندما رأيتم مقدمة هذه السفينة هنا.. أمم.. ولكن هل هناك شخص عاقل يدرس بالشارع.. لماذا لم تدرسوا بالمنزل.. هذا هراء بالتأكيد..



استمعوا إلى نصيحتي جيدًا.. أنا عملت بالشرطة ما يقارب من ثلاثين عامًا.. سمعت من خلالها جميع أنواع الكذب الذي تتخيلونه في هذه الدنيا.. لن تستطيعوا مهما فعلتم أن تكذبوا عليَّ.. نصيحتي لكم هي.. أن تشرحوا لي كل شيء حدث بالتفصيل ولا تخشوا شيئًا.. أخبروني بجميع ما حدث ولا تقلقوا.. لن يمسكم أي شخص بسوء.. حتى والديكما.. لا تقلقا».

فتحدث إليه مسعود وهو خائف للغاية.. «سوف أحكي لك كل شيء.. ولكن أرجوك لا تقبض علينا».

نهره أمير في الحال.. «ماذا تفعل أيها الأحمق.. سوف يقبضون علينا ويخبرون والدينا».

ربت سراج على كتفه مطمئنًا.. «لا تقلقا.. لن يقبض عليكما أحد.. ولن أخبر والديكم بشيء.. أي شيء ستحكيانه لي سيكون سريًّا ولكن بشرط واحد أن تكونا صريحين معي وتخبراني بكل شيء بالتفصيل الممل».

أومأ الشابان برأسيهما بالموافقة وبدأ مسعود في قص ما حدث معهما.. وأنهما كانا يتحدثان عن أمورهما الاعتيادية ولكنهما كانا يدخنان الحشيش.. وأقسم له بأن ما حدث لهم حقيقي.. وبدأ يشرح له أنه بعد أن سمعا ارتطام شيء ضخم للغاية بعد انقطاع الأنوار عن مدينة.. سمعا أصوات أشياء تطير في الهواء ثم اكتشفا أنها أسهم كانت تطلق عليهما، وعندما حاولا الهرب.. ظهر شخص ضخم أمامهما يبدو أنه من العصور الوسطى.. يحمل سيفًا ودرعًا ويرتدي خوذة ضخمة بها



قرون، وشعره لونه أحمر وله لحية كبيرة وظل يصرخ بنا وكاد أن يفتك بنا.. ولكننا هربنا سريعًا من أمامه لنفاجأ بوجود عدة أشخاص مثله أخذوا يصرخون بعضهم على بعض، وأنهم هبطوا من سفينة كبيرة ضخمة ودارت معركة بينهم وكان الصراخ والأسهم تطلق من كل مكان.. لقد اختبأت أنا وأمير منهم في أحد مداخل البنايات.. وظللنا نشاهدهم من بعيد ونحن نتمنى ألا يلاحظونا فندخل طرفًا في ذلك الصراع فيقتلونا.. ومرت عدة دقائق وهم يتصارعون ويصرخون «إلى فالاهلا.. فالاهلا» وكلام كثير لم أفهمه.. ولكن كانوا يكررون (فالاهلا) تلك كثيرًا فحفظتها.. ثم فجأة عادت الأنوار إلى المدينة فصرخ المقاتلون وهم يشاهدون الأنوار وهي تضيء حولهم ثم اختفوا هم والسفينة فجأة ولم يتبق أي شيء من وجودهم إلا بعض السيوف والدروع والأسهم المتناثرة في كل مكان ومقدمة السفينة تلك هي التي تبقت من آثارهم.. وأقسم لك يا سيدي إن هذا هو كل ما حدث بالضبط».

التفت سراج فجأة بجواره فوجد رامي يقف مستمعًا إلى حديثهما باهتمام شديد.. رمقه سراج بنظرات حادة.. ثم تجاهله وتحدث إلى أمير ومسعود سريعًا.. «حسنًا يا شباب سوف نستمع إلى شهادتكم تلك مرةً أخرى لكي نسجلها.. ولا تقلقا فلن أخبر أحدًا من والديكما أنكما كنتما تشربان المخدرات.. ولكن بشرط واحد أن تخبراني من أين كنتما تبتاعان تلك المخدرات؟».. فصرخ أمير خائفًا: «من مدبولي السائس الذي يقف عند موقف السيارات التي تنقلنا من المدينة.. ولكن



أرجـوك.. لا تخبر والدي.. أعدك أني لن أشرب المخدرات مرةً أخرى في حياتي».

ابتسـم سراج لـه في الحـال «مـن الأفضـل لـك؛ لأني إن وجدتـك تشربها مرةً أخرى.. فإني أعدك بأنك ستسـجن بكل تأكيد». شعر أمير ومسـعود بالخوف من ابتسـامة سراج تلك وكادا يبكيـان وهما يلعنان حظهـما العاثـر وتواجدهمـا في هذا المكان في تلك اللحظـة.. انصرف سراج عنهـما وتبعه رامي وأخذ يحدثه ملاحقًا «ما رأيك في قصة هذين الشابين يا سراج باشا؟».

ابتسـم سراج وهـو يتابع طريقه «أخبرني أنت يـا رامي: ما رأيك في حديثهما؟».

ارتسـمت على وجه رامي الجدية وهو يحلل نظريته «لقد كنت أميل إلى تصديقهـما في البدايـة.. ولكـن عندما قـالا إن كل شيء اختفى عند ظهـور الكهربـاء مرةً أخرى.. ولم تختفِ الأسـلحة.. ومقدمة السـفينة فقط هي ما تَبقَّى - شـعرت بأن هذا الأمر غير منطقي.. وأن هناك من قام بهذه الخدعة وأوهم هذين الشابين وهما تحت تأثير المخدرات بكل هذه الأشياء».

أومأ سراج برأسه.. «وأنا أيضًا أميل إلى ذلك».

ثم توجه سراج في الحال إلى جهة عصام عند مقدمة السـفينة فبادره عصام في الحال: «هل توصلت إلى أية معلومات جديدة يافندم؟».



ابتسم له سراج «هذا ما يجب أن أسألك أنت عنه يا عصام باشا.. أنت العالم هنا».

فتحدث إليه عصام بما يجول في خاطره «أنا أعتقد بأن هذا الأمر هو خدعة قام بها شخص هنا من المدينة.. واستطاع أن يقنع أهل المدينة بوجود هذا الأمر وأنه شيء غامض؟ ليصنع جلبة مشابهة للجلبة التي حدثت في الأيام السابقة عند كوبري عباس.. فأنا أثق بأن هذا الأمر كان خدعة أيضًا، ولكن لكي ندحض أي شكوك فسوف نقوم بقياس عمر هذه السفينة والأسهم والمخلفات هذه بالكاربون لكي نحدد عمرها بالضبط مع أني واثق تمام الثقة أنه غير حقيقي.. ولكن السؤال هنا.. هو: لماذا فعل أهل المدينة هذا وتكبدوا كل هذا العناء؟».

اقترب منهم مازن غاضبًا.. «أنا أخبرتكم أن أهل هذه المدينة لا يكذبون.. ولا أسمح بهذه الإهانة.. إذا كنتم تشككون في هذا الأمر.. فسوف أريكم شيئًا آخر يجعلكم لا تتهمون أهل جهينة بالكذب مرة أخرى.. اتبعوني الآن».

ثم تقدمهم في الحال.. ابتسم عصام إلى سراج بسخرية من موقف مازن وأخذا يتبعانه وانطلق الجميع مترجلين في طريق آخر مختلف عن الذي أتوا منه من قبل.

وهنا فوجئوا بشيء ضخم لامع كبير له بريق أعمى أبصارهم من قوة انعكاسه لأشعة الشمس ويلتف حوله عدد كبير من جنود الأمن المركزي ما يقارب 20 جنديًا تقريبًا وعدد كبير من أهل المدينة ملتفين حولهم وعيونهم مثبتة على هذا الشيء الضخم.. نظر مازن خلفه عند



اقترابه من ذلك المكان وهو يبتسم بشدة وهو يتوقع نظرة الصدمة التي اعتاد أن يراها على كل من يقترب من هذا المكان.. تقدم مازن قليلًا.. فمنعه الجنود في الحال من التقدم أكثر من ذلك بطريقة عنيفة.. فانتظر اقتراب سراج ومرافقيه جهة الجنود الذين ما إن رأوه في الحال حتى أفسحوا له المجال ليقترب أكثر من جهة هذا الجسم الضخم الذي أصبح واضحًا للعيان بشكل لا يقبل الشك، ولكن لم يقدر أحد أن ينطق اسمه على لسانه نظرًا لغرابة وجوده في مثل هذا المكان.. اقترب رامي وأخذته الجرأة ليلمس هذا الشيء اللامع أمامه وهو يحدثهم مصدومًا.. «أيعقل أن هذه القطعة الضخمة ذ...؟!» أجابه عصام في الحال وهو يتلمسه بيده.. «ذهب.. إن هذه الصخرة الضخمة أمامنا من الذهب.. أو هكذا تبدو».. تعلقت عيون الجميع مرةً أخرى وهي يملؤها الاندهاش والجشع... هل يمكن حدوث هذا؟! إنهم يقفون أمام قطعة ذهب كبيرة على شكل أقرب إلى البيضاوي غير المستوي.. ارتفاعها يقارب أربعة أمتار وعرضها يتجاوز مترين ونصف المتر تقريبًا.. تخيل وجود قطعة ذهب أمامك بهذا الحجم الكبير ماذا ستفعل؟

بالضبط هذا ما كان يدور في خلد جميع الحاضرين هذه اللحظة.. لم تفرق طبيعتهم البشرية بين تعليمهم أو جنسهم أو وضعهم الاجتماعي.. الجميع في تلك اللحظة كان في عقله ماذا لو كان هذا الذهب ملكي.. سوف أفعل كذا.. وكذا.. هذا ما قد ارتسم في مخيلة جميع من شاهد قطعة الذهب الضخمة تلك في هذا الوقت.. الطمع



والجشـع تراه منعكسًـا في جميع مـن ينظرون إليهـا.. حتـى جنود الأمن المركـزي المغلوبون على أمرهم كانوا ينظرون إلى قطعة الذهب خلفهم كل لحظـة بـدون وعي منهم.. حتى في ظل وجـود قيادتهم الأعلى رتبة بينهـم والذين يخشـونهم بشـدة كما لم يخشـوا أحدًا من قبـل.. ولكن لا يمكـن لأحـد مهما كان خوفـه أو جهله أن يتخلى عن جـزء من طبيعته الشـخصية وهـي حـب التملـك.. كنـت تسـتطيع أن تـرى انعكاس أحلامهـم على وجوههم ولـو للحظات.. إذا ما قـدر لي أن آخذ قطعة صغيرة من تلك الصخرة الذهبية.. فسوف أتزوج وأبني منزلًا لعائلتي وأقيـم مشروعي الخـاص.. أو أقتني قطعـة أرض لزراعتها.. يرغبون في تحقيـق جزء صغير من حقوقهم الطبيعية التي أصبحت بالنسبة لهم أحلامًـا يرغبـون في تحقيقهـا.. نعم فأقصى أحلام أي شـاب هذا اليوم هـو أن يتـزوج ويعمـل، وغالبًا ما يحقـق ذلك عندما يقترب من سـن الأربعـين.. قطعـة صغـيرة في حجم عقلـة الإصبع من تلـك الصخرة الكبـيرة تسـتطيع أن تحقق ذلـك في منتهـى السـهولة.. ولذلك كانت عيون الجميع مسـلطة على بعضهم بأمـر قيادتهم من الشرطة.. فوجود الذهب جعل رفيق السلاح عدوًّا متاحًا.

ظل رامي وعصام يتحسسان كتلة الذهب الضخمة تلك فتحدث رامي إلى سراج وهو مندهش «أيعقل أن يكون كل هذا من الذهب الخالص؟!».

لم يكمـل رامي حديثـه عندما وجد التوتر يمـلأ سراج وأخذ يخرج فرشـاة أسـنانه ويضع المعجـون ويفرش أسـنانه بعنف وهـو ينظر إلى قطعـة الذهب أمامه بارتبـاك.. فاندهش رامي للمـرة الثانية التي رأى



فيها سراج يفعل هذا الأمر الغريب يفرش أسنانه هكذا أمام الملأ.. فتجاهل سراج وهو في تلك الحالة وتوجه إلى عصام بسؤاله «هل هذه قطعة ذهب حقيقية يا دكتور عصام؟».

نظر له عصام متحيرًا.. «يبدو من الوهلة الأولى أنها بالفعل قطعة من الذهب الخالص ومن العيار 24.. وهذا شيء مستحيل».. وأخذ يلتف حول قطعة الذهب وهو يتحسسها وينظر لها بعيونه الخبيرة.. بينما الجنود حوله والمتابعون من أهل جهينة يرقبونهم بعيون متحفزة جاهزة للانقضاض عليه إذا حاول أن يحصل على شيء من هذا الذهب لنفسه.. تطلع رامي إلى سراج فوجده لا يزال يفرش أسنانه بعنف وهو ينظر إلى كتلة الذهب أمامه ويقف خلفه مازن عمدة المدينة يبتسم في سخرية عليهم جميعًا.. ترك رامي سراج في الحال وتتبع عصام وهو يسأل بشغف كبير «أخبرني يا دكتور.. ماذا تقصد بالمستحيل.. هل وجود قطعة الذهب هذه خارق للطبيعة».

ضحك عصام ساخرًا من سؤاله.. «أتمزح معي.. بالطبع هذا شيء مستحيل.. إن الذهب يوجد دائمًا على هيئة حبيبات داخل الصخور أو في قيعان الأنهار.. أو على شكل عروق في باطن الأرض.. ولا يوجد هكذا أبدًا في العراء.. وكذلك لا يوجد أبدًا بهذا الحجم.. لا توجد قطعة ذهب في العالم تقارب هذا الحجم.. أكبر قطعة ذهب اكتشفت على مر التاريخ كانت في أستراليا عام 1896، وكان حجمها تقريبًا 72 كجم.. وهي محفوظة في المتحف هناك.. ولكن لا توجد أية قطعة من الذهب بهذا الحجم في أي مكان آخر من العالم.. إن كتلة الذهب تلك



تقارب..».. أخذ يقوم ببعض الحسابات برأسه للحظات.. ثم حدثه مصدومًا.. «على حسب حساباتي الأولية تزن تلك الكتلة 9 أطنان تقريبًا.. تخيل.. 9 أطنان من الذهب.. هذا شيء مستحيل».

حدثه رامي مبتسمًا وبثقة: «لا.. هناك قطعة ذهب أكبر من هذه في سلطنة بروناي.. أغنى دولة في العالم.. تلك الدولة التي يحب سلطانها الذهب ويجعله في ملابسه وسيارته وحتى طعامه».

ضحك عصام ساخرًا منه للمرة الثانية: «هذه معلومة خاطئة للغاية.. أنا قرأت عن هذه المغالطات كثيرًا على الإنترنت بالفعل.. إن ما تتحدث عنه هو golden rock pagoda، وهذه صخرة ذهبية مشهورة بالفعل ولكنها ليست في بروناي.. إنها في دولة بورما.. وتلك الصخرة من أهم المعالم السياحية في مدينة بورما وتعد أيضا من أهم المعابد هناك.. وفي الحقيقة هي ليست صخرة ذهبية.. هي صخرة عادية للغاية.. ولكنها مطلية بالذهب لأن في اعتقاد المحليين هناك.. أنه عند شرائهم رقاقات من الذهب وإلصاقها بالصخرة فإنها تجلب الحظ والفأل السعيد لهم.. ولذلك يزداد سمك الذهب في هذه الصخرة بمعدل ملم واحد سنويًّا.. ولكنها في النهاية صخرة مطلية بالذهب وليست ذهبًا كاملًا.. أمَّا ما أمامنا الآن فشيء آخر.. إني عالم جيولوجي ورأيت عمليات استخراج ذهب كثيرة.. وما أراه الآن أمامي هو ما يقارب 9 أطنان من الذهب الخالص وعيار 24 أيضًا وهذا شيء مستحيل وجوده طبيعيًّا.. وأيضًا صناعيًّا.. من يستطيع أن يحصل على 9 أطنان من الذهب الخالص؟ أتعلم كم المجهود المبذول



لاستخراج جرام ذهب واحد؟ إن قيمة الذهب المستخرج من طن الصخور يقدر بأقل من 0.001٪.. واحد من الألف في المائة.. إن الذهب من أندر المعادن الموجودة على وجه الأرض.. ولهذا سعره مرتفع للغاية.. أخبرني من لديه الثروة والقدرة على التنقيب عن ذهب بمثل تلك الكمية؟ وما مقدار الجهد المبذول في ذلك ثم تصنيعه على هذا الشكل ثم إحضاره إلى مدينة مجهولة مثل جهينة؟ علمت لماذا أخبرك بأنه أمر مستحيل».

هنا رد فعل رامي الوحيد كان أنه ابتسم ابتسامة راضية للغاية.. ابتسامة أشعرت عصام بأنه أمام شخص أحمق.. يبدو أنه لم يأخذ كلامه على محمل الجد.. فتركه في الحال وتوجه إلى جهة سراج وحدثه.. «يبدو أن الأمر كما تم إخباري به يا سيد سراج.. هذه القطعة الكبيرة البيضاوية الشكل تبدو أنها من الذهب فعلًا.. ولكني وعلى الرغم من خبرتي الكبيرة في ذلك الأمر.. ومع وجود شيء مستحيل مثل هذا أمامي.. يجب أن آخذ عينات متفرقة من هذه الكتلة وأقوم بتحليلها لأتأكد من أنها فعلًا من الذهب الخالص، وليست مادة أخرى مختلطة مع الذهب، مع أنه لا توجد مادة مكتشفة حديثًا تستطيع فعل ذلك أيضًا.. ولكني.. لا أدري ماذا أقول».

رمقه سراج للحظات ثم أجابه سريعًا.. «سوف أتصل بالقيادات بالقاهرة لأخبرهم بضرورة أخذ عينات من الذهب لأن لدي أوامر بعدم اقتصاص أو اجتزاء أي شيء من ذلك الذهب.. ولكني شبه متأكد بموافقتهم على أخذ العينات للتأكد من أنه بالفعل ذهب».



هنا تدخل مازن في حديثهما مبتسمًا متشفيًا. . «أرأيتما الآن بأن جميع ما حدث في جهينة هو أمر حقيقي.. وليس أهل جهينة مدعين وكاذبين كما ظننتما؟!».

رمقه سراج بنظرة غير مبالية ثم أشار إلى رامي وعصام أن يتبعاه.. فخرج الجميع من نطاق حراسة الجنود لكتلة الذهب وهم يتلفتون خلفهم كل بضع لحظات ليتأكدوا أن ما شاهدوه منذ قليل لم يكن حلمًا.. اقتربت منهم سريعًا سيارة صغيرة حمراء اللون وتوقفت أمامهم وهبط منها شاب وسيم للغاية ملامحه بيضاء وعيونه خضراء وشعره يميل إلى الشقرة وطويل.. له جسد متناسق ولحية مهذبة بوجهه ومتناسقة مع ملامحه الوسيمة ويرتدي ملابس واسعة فضفاضة وعادية للغاية.. اقترب من سراج ومرافقيه، تعلو وجهه ابتسامة أشرقت بملامحه الوسيمة فزادتها وسامة ومد يده ليصافح الجميع.. «أهلًا بكم.. أهلًا بكم بجهينة.. أنا أدعى كريم.. وقد كلفني السيد مازن برعايتكم وتلبية جميع طلباتكم أثناء بقائكم هنا بجهينة».

اقترب مازن منهم في الحال عندما شاهد كريم وأخذ يقدمه لهم مبتسمًا: «كريم هو نائبي هنا في جهينة.. وهو شاب دمث الخلق ومن عائلة مرموقة.. لقد كلفته خصيصًا بتنفيذ طلباتكم جميعًا وهو سوف يأخذكم إلى منازلكم التي أعددناها لكم.. لكي ترتاحوا قليلًا من تعب السفر لتتابعوا أعمالكم بهدوء بعد ذلك.. أما بالنسبة لك يا سيد سراج فكنت أريد أن أتحدث إليك منفردًا.. إذا سمحت».

أومأ له سراج برأسه في الحال «بالطبع أخبرني ماذا تريد؟».



أجابه مازن سريعًا.. «ليس الآن.. يجب أن تستريح قليلًا وتتناول الغداء أولًا.. وسوف نتحدث فيما بعد.. لقد قام كريم بإعداد كل شيء لراحتكم هنا.. وإذا رغبتم في أي شيء آخر فاطلبوه مني أو من كريم الذي سيكون بالقرب منكم لتحقيق ما ترغبون».

أومأ سراج له برأسه ثم ركب السيارة بجوار كريم وجلس عصام ورامي بجوار بعضهم بالخلف وانطلقت السيارة وأخذ كريم يحدثهم وهو يقود وابتسامته ما زالت مشرقة لتظهر أسنانه ناصعة البياض: «أهلًا بكم في جهينة، أنا كريم ماهر، بكالوريوس هندسة، من سكان مدينة جهينة، رغبت أن أعرفكم بنفسي، وأن أتشرف بمعرفة حضراتكم جميعًا».

أجابه سراج مبتسمًا: «تشرفنا يا أستاذ كريم، أنا العقيد سراج توفيق المسئول عن التحقيقات هنا في جهينة».

«أهلًا بك يا سراج باشا، أنا أعرفك بالطبع وهل يخفى القمر؟».

ابتسم سراج وهو يدقق في ملامح كريم.. فنظر إليه كريم متعجبًا «هل هناك شيء يا سراج باشا؟».

أجابه سراج: «لا أعلم ولكن ينتابني الفضول، أشعر بأني رأيتك من قبل، ولكني لا أتذكر متى وأين».

ابتسم له كريم: «للأسف يا سراج باشا.. أنا لا أغادر جهينة كثيرًا.. ولكن كل من يراني يخبرني بهذا، يبدو أن وجهي من النوع المألوف».



ضحك سراج: «يبدو هذا، فأنت وسيم للغاية، تبدو كنجوم السينما المشهورين، بالطبع أنت متزوج من امرأة جميلة مثلك؟».

«للأسف يا سراج باشا، لم أتزوج حتى الآن، دعواتك أن أجد الزوجة المناسبة لي».

ابتسم له سراج: «لا تقلق مع هذا الوجه سوف تجد المئات من الفتيات بسهولة.. حتى ولو أصبحت عجوزًا مثلي.. سوف تجد من النساء الكثير ممن يرغبن بك».

«لا بالطبع أنت لست عجوزًا يا سراج باشا.. أنت ما زلت في ريعان شبابك».

ضحك سراج وهو يربت على كتفه: «بارك الله في عمرك، أنت شاب رائع ودمث الخلق بالفعل».

ابتسم كريم وأخذ يجامله ببعض الكلمات، ثم نظر بمرآة السيارة أمامه ليرى عصام ورامي بالخلف.. وكان عصام يبتسم له ورامي ينظر له بريبة.. فتوجه إلى عصام بحديثه: «بالطبع العالم الكبير عصام ناجي واحد من أهم علماء الجيولوجيا في العالم، ومن العلماء المصريين الذين شرفونا بالعمل بناسا، ويدعونك هناك بالفرعون الصغير، أنت في غنى عن التعريف بالطبع».

فابتسم له عصام وهو يحدثه: «أشكرك.. أشكرك يا كريم».

ثم تحول بحديثه جهة رامي: «أهلًا بك يا سيد.. لم أزدد شرفًا بمعرفتك بعد».



حدثه رامي سريعًا: «أنا رامي إمام صحفي بجريدة اليوم السادس».

أومأ له كريم برأسه «أهلًا بك يا سيد رامي».

حدثـه رامـي سريعًا «أشـعر بأننا تقابلنا مـن قبل.. هـل تقابلنا من قبل؟».

فضحـك كريـم: «ألم أخبركـم أن الكثيرين يشـعرون بذلك، أنا لا أدري لمـاذا، ولكـن الجميع يشـعرون بأنهـم رأوني من قبـل.. يبدو أن وجهي مألوف حقًّا».

«ولكني متأكد أني رأيتك من قبل».

«يمكن.. هل أتيت إلى جهينة سـابقًا.. أو ذهبت إلى مكان بالقرب منها؟».

أومأ رامي برأسه نافيًا: «لا.. أنا لم أسمع عن جهينة هذه من قبل.. ولم أكن أعلم بوجودها سوى اليوم.. لا تشعر بالإهانة من حديثي».

ابتسم له كريم: «لا تقلق.. لا توجد أي إهانة.. أنا أعلم بأن جهينة غير مشهورة لأنها تعتبر مدينة منغلقة على نفسها.. فهنا توجد مدارس ومستشـفيات ومتاجر كلها مخصصة لخدمـة أهل المدينة؛ لذا من النادر أن يغادرهـا أحد من أهلها.. وكان سـيظل الوضـع كذلك لولا ظهور هـذه الأشـياء الغريبة؛ سـفن ومحاربون في وسـط المدينـة وكتلة ذهب ضخمة ظهرت بيوم وليلة.. أشياء تجعل من أي مكان مكانًا مشهورًا.. وفي غمضـة عـين تحولت جهينة من مدينة مجهولة إلى أشـهر مدن مصر كلها».



هدَّأ كريم من سرعة السيارة واقترب من أحد الأرصفة الكبيرة أمام أحد المباني السكنية ثم نظر إلى الركاب معه.. «لقد وصلنا إلى مكان إقامتكم.. تفضلوا معي».

ترجل الجميع من السيارة وصعدوا إلى المبنى الكبير الذي كان يبدو عاديًّا مثل المباني الأخرى ومكونًا من ثلاثة طوابق.. اصطحب كريم سراج ورامي وعصام إلى إحدى الشقق في الطابق الأول ثم فتح باب إحدى الشقق ودلف بالداخل وأمرهم بالدخول.. فدخل الجميع ليشاهدوا محتويات الشقة التي كان بها جميع ما يلزم للسكن والأثاث كان عاديًّا للغاية، ليس بالرخيص أو الغالي.. أعطى كريم مفتاح الشقة إلى سراج.. «هذه هي شقتك الآن يا سراج باشا.. وهذا مفتاحها.. وبالأعلى سوف يمكث السيد رامي وفي الطابق الثالث سوف يمكث الدكتور عصام.. ولقد تركت لكم جميعًا رقم هاتفي سوف تجدونه في ورقة على منضدة الطعام في كل شقة لديكم.. عندما تريدون أي شيء فقط هاتفوني وسوف ألبي جميع طلباتكم في الحال».

شكره سراج والجميع وهم كريم بالمغادرة فاستوقفه سراج.. «أستاذ كريم.. كنت أرغب في معرفة بعض المعلومات السريعة عن المدينة في عجالة إذا سمحت».

عاد إليه كريم في الحال وهو مبتسم.. «بكل سرور.. بالطبع هذا أمر سهل.. مدينة جهينة هي مدينة صغيرة كما أخبرتكم.. عدد سكانها يتراوح ما بين ألف أو ألف وخمسمائة شخص تقريبًا جميعهم من الطبقة المتوسطة.. لدينا اكتفاء ذاتي من كل شيء ولا نحتاج إلا أقل القليل من



خارج المدينة.. لأن مدينة جهينة كانت جزءًا من مشروع قومي مكون من 100 مدينة مكتفية ذاتيًّا وبها كل المرافق ومستلزمات المعيشة.. وكان مخططًا له الانتشار في جميع أنحاء البلاد.. ولكن نظرًا لوجود أزمات مالية عديدة.. توقف المشروع عند استكمال 9 مدن فقط وتم التخلي عن استكمال باقي المشروع.. وكانت جهينة من ضمن المدن التي تم الانتهاء منها.. وتم استجلاب ساكنيها من محافظة القاهرة.. وكان هذا الأمر منذ أكثر من ثلاثين عامًا.. وكما أخبرتكم لا يوجد ما يميز جهينة عن أي مدينة صغيرة أخرى.. إلا هذه الأحداث الغريبة التي حدثت هنا مؤخرًا.. هل تريد معرفة شيء آخر يا سراج باشا».

أومأ سراج برأسه نافيًا: «لا.. سوف أكتفي بهذه المعلومات مؤقتًا.. وسوف أستقي المعلومات بنفسي وأنا أتنقل بين أنحاء المدينة لأعلم جميع التفاصيل التي أريدها على أرض الواقع».

«وأنا رهن أمرك يا سراج باشا.. إني أسكن في البناية التي تقابلكم في الطابق الثاني.. حينما ترغب في التنقل في أرجاء المدينة أخبرني فقط وسوف أسعد بأن أكون المرشد لك في تلك المدينة».

«جيد.. لكن هناك شيئًا لفت نظري أيضًا.. مقولة إن جهينة مدينة بلا جريمة التي كان يتحدث عنها مازن.. هل هذا حقيقي بالفعل؟».

«نعم يا سراج باشا.. جهينة مدينة سلمية للغاية.. فالمدينة لم تشهد حدوث أي جرائم من قبل».



ابتسم سراج بخبث.. «يبدو أن بعض سكان المدينة لا يشاطرونك الرأي نفسه.. هناك من يقول إن هناك جرائم حدثت بالفعل».

اعتلت وجه كريم ابتسامة أخرى مشرقة «اممم.. إذا أردت الاستفسار عن هذا الأمر بالذات فالأفضل أن تتحدث إلى السيد مازن بنفسه.. هو من سيفيدك بهذا الأمر».

سراج بثقة.. «لا يهم فآجلًا أم عاجلًا سوف أعلم جميع الخفايا والأسرار التي داخل جهينة بنفسي».

اكتفى كريم بأن أومأ برأسه مبتسمًا ثم توجه بحديثه إلى عصام ورامي.. «هيا بنا لكي أريكم أماكن مكوثكم هنا».. فاصطحبهم وخرج من الشقة وأغلق بابها خلفه.

بعد ذلك بلحظات أخرج سراج هاتفه واتصل باللواء مأمون والد زوجته ليبلغه بالمستجدات.. «ألو سيادة اللواء.. أنا الآن بجهينة كما أمرت.. نعم ويبدو أن ما وصلكم من أنباء صحيح؛ فلقد وجدت مقدمة سفينة قديمة وبعض الأسلحة والأسهم البدائية، والأغرب من ذلك كله وجود كتلة ضخمة من الذهب.. نعم أنا أعلم أنك أخبرتني بذلك ولكن لم تخبرني بأنها ضخمة لهذا الحد.. فالدكتور عصام أبلغني بأنها قد تصل إلى 9 أطنان ذهب وهو يريد أن يقوم ببعض الفحوصات العلمية ليتأكد هل هذا الذهب بالفعل حقيقي أم لا؟».

أجابه صوت مأمون في الحال: «حسنًا فليفعل ما يريد.. لدينا تعليمات بذلك.. ويجب ألا يقترب أحد من مكان هذا الذهب أبدًا



يا سراج أيًّا كان.. حتى الجنود.. يجب أن يكونوا على بعد كاف من هذا المكان.. لا تأمن لمخلوق أيًّا كان يا سراج.. لقد كلفتك بهذه المهمة لأني أعلم أنك سوف تستطيع أن تحافظ على ذلك الذهب جيدًا.. إذا أردت أي شيء فلتخبرني وسوف أجهزه لك في الحال، إن وزير الداخلية دفعتي ولن يتأخر في تنفيذ أي طلب أريده منه».

«لا تقلق يا سيادة اللواء.. أنا لن أتوانى في الكشف عن الغموض وراء ما يحدث هنا في جهينة.. لا تقلق بتاتًا».

هنا فوجئ سراج برد فعل مأمون الذي خاطبه بحدة «لا يهمنا كشف الغموض هذا الآن.. أولويتك الأولى بجهينة هو الذهب.. والذهب فقط.. يجب أن تتأكد أولًا هل هو حقيقي أم لا؟ وأن تمنع أي شخص من الاقتراب منه أو تصويره بأي شكل من الأشكال.. هذه هي أولوياتك الآن حتى أخبرك بأي أوامر جديدة.. ولا تقلق من شيء.. لقد سيطرنا بالفعل على أي معلومات قد تصل إلى الإعلام.. أهم شيء الآن هو ألا تجعل أي معلومة تتسرب إلى خارج المدينة.

حدثه سراج مستفسرًا: «سوف أفعل يا سيادة اللواء.. ولكن ألا يجب أن أحقق في الغموض الذي حام حول هذا الأمر.. ألا يجب أن نعلم من أين أتى ذلك الذهب من الأصل؟ وكيف ظهر بتلك المدينة؟».

أجابه مأمون بحدة: «لا تعمل من رأسك يا سراج.. نفذ ما أكلفك به الآن.. هذه أوامر صادرة من القيادات العليا.. مهمتك الآن هي منع أي معلومات تخرج من جهينة إلى وسائل الإعلام.. وأن تؤمن



الذهب حتى نتأكد من صحته ونخرجه من المدينة.. لا يعنينا شيء آخر الآن.. هذه هي أولوياتك القصوى».

عابثًا: «.. حسنًا يا سيادة اللواء.. علم وينفذ».

أغلق سراج الهاتف وهو حائر مندهش من هذه الأوامر الجديدة وهو يفكر كيف سيتعامل مع أهل المدينة المتعطشين لمعرفة ما ألم بمدينتهم؟ وأيضا بوسائل الإعلام والفضوليين المحاصرين للمدينة بالخارج الذين تناثرت إليهم بعض المعلومات والشائعات عمّا حدث بجهينة، بم سيفسر لهم؟.. هنا شعر سراج بأن من واجبه أن يكشف هذا الغموض الذي يجتاح المدينة حتى إن لم يكن هذا من أولويات من بالأعلى حاليًا.. مرت لحظات جلس فيها سراج على أحد المقاعد بجواره وهو يشعر بالعزم ينتفض بداخله ولكن لم يهتد كيف سيقوم بأولى خطواته بعد.. هنا سمع طرقًا على الباب فتوجه إليه وفتحه سريعًا ليجد رامي واقفًا أمامه مبتسمًا.. «كيف حالك يا سراج باشا؟ هل الوقت مناسب لكي نتحدث معًا؟».

فتح سراج الباب على مصراعيه أمامه.. فدلف رامي سريعًا إلى الشقة وذهب ليجلس على مقعد بالقرب من المنضدة بغرفة المعيشة.. فأغلق سراج باب الشقة واتجه إلى المنضدة ووضع هاتفه عليها وجلس على أحد المقاعد وتجاذب أطراف الحديث مع ضيفه «.. ماذا تريد يا رامي؟».

«أريد أن نتحدث عن الأحداث الغامضة تلك التي حدثت بجهينة يا باشا.. لقد حدثت عدة أمور غريبة هنا.. وهذا أثار انتباهي.. هل

تعتقد بأن هناك ربطًا للأحداث بما حدث معي ورؤيتي لجثتي وما بين مشاهدة هذا المخلوق الغامض على كوبري عباس وما بين ما يحدث بجهينة الآن؟».

قبض سراج شفتيه للحظات ونظر إلى رامي متفرسًا لوجهه وحدثه باقتضاب: «هل ترى أن هناك رابطًا بينهم؟».

أجابه بحماسة شديدة «بالطبع.. أنا أشعر بأن هناك رابطًا.. ولكن أشعر أنه لا يوجد رابط أيضًا».

سراج مندهشًا.. «كيف ذلك؟».

«حسنًا سوف أخبرك.. إن ما حدث معي.. شيء غريب للغاية.. ولا أعلم لماذا حدث أو لماذا اختفت جثتي بعد ذلك.. أو لماذا حتى أغلقت القضية.. ولكنه بالطبع أمر غامض.. ولقد حدث هذا الأمر معي بالقاهرة.. ثم حدث أمر غامض آخر وهو ظهور هذا الكائن على كوبري عباس.. ولكن هذه المرة حدث أن كان هناك عدد كبير.. منهم قال إنه شاهده ومنهم من قال إنه لم يشاهده.. وهنا الأمر الغامض قد شاهده عدة أشخاص، ولكنه حدث أيضًا بالقاهرة مثل ما حدث معي.. ثم فجأة وبدون مقدمات ظهرت سفينة فايكنج تحمل مقاتلين ويتصارعون في مدينة صغيره في جنوب البلاد.. واختفوا فجأة ولكن بعد أن تركوا بعض الأسلحة والسهام ومقدمة السفينة.. ثم ظهور كتلة من الذهب الضخم في المدينة.. أنا كنت أجزم بأن سفينة الفايكنج هذه مجرد خدعة.. ولكن ظهور هذا الذهب قلب المعادلة نهائيًا فأصبح الجميع لديه شبهة يقين بأن كل هذه الأمور حقيقية وحدثت بالفعل..



الرابط في تلك الأمور كلها بأن جميع هذه الأشياء الغامضة التي حدثت وجودها في الواقع أمر مستحيل.. عدم وجود الرابط هنا لأن هذه الأحداث حدثت لعدة أناس مختلفين وفي أماكن مختلفة ولا توجد صلة بين الجميع نهائيًّا».

داعب سراج شاربه مندهشًا.. «فايكنج.. هل السفينة اسمها فايكنج».

أجابه رامي سريعًا: «لا، السفينة ليست تسمى فايكنج.. لقد أخبرني الدكتور عصام أن هذه السفينة تعود إلى حقبة مقاتلي الفايكنج.. والفايكنج هؤلاء كانوا مقاتلين وقراصنة شدادًا يسكنون في المناطق الإسكندنافية مثل النرويج والسويد والدنمارك الآن.. وكانت تلك السفينة تعود إلى هؤلاء الفايكنج؟».

«وكيف علم الدكتور عصام بأن السفينة تلك تعود لهؤلاء الفايكنج؟».

«.. لقد أخبرني بأنه وجد كلمات باللغة الإسكندنافية القديمة على بعض أنحاء مقدمة السفينة ووجد بعض العلامات من الأسلحة والملابس التي تدل على تلك الحقبة وكذلك كلمة «فالاهلا» التي أخبرنا بها الشهود تعود إلى الأساطير الإسكندنافية التي كان يؤمن مقاتلو الفايكنج بأنهم سوف يعودون بعد الموت إلى «فالاهلا» ليتقاتلوا من جديد أو شيء من هذا القبيل.. هذا ما فهمته من الدكتور عصام».

«ابتسم سراج ساخرًا.. رجل رأى جثته.. وحش على كوبري عباس.. مقاتلو فايكنج.. كتلة ذهب.. ومدينة بدون جريمة».

ضحك رامي «يبدو أننا نواجه غموضًا ما بعده غموض يا سراج باشا».

هب سراج من مكانه واقفًا: «حسنًا لماذا نحن جالسون؟ هيا بنا نكشف هذا الغموض».

سأله مندهشًا «الآن؟».

«.. نعم الآن».

وتوجه سراج جهة الباب وفتحه وتبعه رامي ليفاجأ بوجود عصام أمامهما فسأله سراج مندهشًا «دكتور عصام.. إلى أين كنت ذاهبًا».

أجابه عصام سريعًا «كنت سأذهب لأحضر معداتي إلى الشقة وكنت أريد أن أسالك هل أبلغت القيادة للسماح لي بأخذ عينة من الذهب».

أومأ له سراج برأسه «نعم.. نعم.. لقد سمحوا لنا بذلك.. ولكن لماذا هبطت لكي تسألني عن ذلك؟ لماذا لم تقم بالاتصال على هاتفي؟».

أجابه عصام.. «هذا الشيء الآخر الذي كنت أريد أن أخبرك به.. لقد حاولت أن أتصل بهاتفك كثيرًا ولم أجد أي شبكة بالهاتف وهذا شيء غريب».

حمل سراج هاتفه ووضعه على أذنه وهو يحاول الاتصال.. فلم يجد شبكة هو أيضًا وتبعهم رامي في الحال وفعل مثلهم ثم حدثهم «أنا



أيضًا لا يوجد لدى شبكة.. مع أني أحمل الخطوط الثلاثة للشبكات الثلاث».

هنا أدرك سراج في الحال أن مأمون قد قام بقطع شبكات الهاتف والإنترنت عن المدينة لكي لا تتسرب أي معلومات من داخل جهينة إلى صفحات التواصل الاجتماعي أو إلى القنوات الفضائية.. فتحدث إلى عصام وهو يحاول إخفاء الأمر.. «هيا بنا يا دكتور لنحضر معداتك ولكي تأخذ العينة التي تريدها».

وخرج من الشقة وتبعه عصام ورامي في الحال.. هبطوا الدرج سريعًا إلى خارج البناية ليجدوا كريم يقف على باب البناية المقابلة لهم.. وابتسم حينما رآهم وشاور لهم وتوجه إلى جهتهم سريعًا وهو يحييهم «كيف حال الجميع؟ إلى أين أنتم ذاهبون الآن؟ أنتم لم تستريحوا على الإطلاق من سفركم».

حدثه سراج «لدينا بعض الأمور الهامة ننوي القيام بها».

سأله كريم في الحال: «هل تريدونني أن أساعدكم بشيء؟ أستطيع أن أقلكم بسهولة إلى أي مكان تريدونه بسيارتي». ثم أشار إلى سيارته الحمراء وهي مصطفة على جانب الرصيف أمام البناية....

شعر رامي بالضيق الشديد من وجود كريم لأنه كان يعلم أنه يراقبهم ويراقب تحركاتهم بإيعاز من مازن عمدة المدينة.. ولكنه كان يوقن أن سراج يعلم ذلك أيضًا وسوف يرفض مساعدته بالتأكيد.. ولكنه صدم في الحال حينما وافق سراج على اقتراح كريم وتوجه معه

إلى سيارته وتبعه عصام.. فلم يكن أمام رامي إلا أن يتبعهم هو الآخر.. وصعد الجميع على متن السيارة وانطلقوا في الحال إلى مدخل المدينة.

***

أحضر عصام أدواته التي يحتاجها ثم توجهوا إلى مكان كتلة الذهب.. ومرة أخرى أخذت تتبعهم عيون أهل المدينة وعيون جنود الأمن المركزي الجائعة التي كانت تأكلهم في كل لحظة يضع بها عصام أداة من أدواته ليكشط بعض الذهب ويقتطع قطعة أخرى من كتلة الذهب في حجم قبضة اليد.. وأخذ الجميع بلا استثناء يحسب قيمة الجرام من الذهب الذي اقترب من الألف جنيه الآن.. في وزن قطعة الذهب تلك التي لا تقل قيمتها بأي حال من الأحوال عن 100 ألف جنيه.. وضع عصام العينة التي اقتطعها بعناية فوق ميزان حساس ليجدها تساوي 92 جرامًا تقريبًا، فأخبر سراج الذي قيد حجم قطعة الذهب بداخل أجندة صغيرة، ثم وضع عصام العينة في كيس بلاستيكي ووضعه في حقيبة صغيرة يحملها، وتوجه إلى سيارة بها باقي أدواته واحتياجاته التي أحضرها وتحدث إلى سراج.. «سوف أعود الآن إلى شقتي لأفحص العينات التي معي».

أومأ سراج له بالموافقة ثم أشار إلى بعض الجنود بالذهاب مع عصام بسيارته ليحرسوه.. وتحرك عصام بالسيارة بصحبة الجنود وهم يحسدونه ويتمنون الحصول على قطعة الذهب تلك.. إحساس مقيت للغاية شعر به عصام وهو ينظر إلى من يجب أن يحموه وهو يشعر بأنهم يكادون يفتكون به وانطلق بالسيارة سريعًا إلى وجهته.. بينما وقف



سراج أمام كتلة الذهب تلك وأخذ ينظر لها ومعه رامي وكريم خلفه.. ثم تحدث إلى الجنود بلهجة آمرة «الجميع هنا يبتعد عن الذهب مسافة لا تقل عن ثلاثه أمتار وشكلوا دائرة حولها.. أي شخص أو جندي يقترب لهذا الذهب بمسافة تقل عن ذلك سيتم إطلاق النيران عليه فورًا.. هل سمع الجميع.. هيا نفذوا الأمر حالًا».

قام الجنود بعمل التشكيل الدائري الذي أخبرهم به سراج، وأخذ سراج يتابعهم ويراقب تنفيذ أوامره بنفسه.. مر الوقت سريعًا واقتربت الساعة من الثامنة وهبط الظلام على المدينة.. بعد أن انتهى سراج من الإشراف على كل شيء تحرك جهة كريم الذي كان يشعر بالملل ورامي الذي كان يتابع كل ما يحدث باهتمام شديد وهو يطبع تلك الأحداث في رأسه.. بادره كريم بالحال عندما رآه مقبلًا جهته: «هل انتهيت يا سراج باشا.. هل أعيدك إلى المنزل الآن؟».

نظر إليه سراج طويلًا وهو يفكر «لا.. أريدك أن تصحبني في دورية سريعة هكذا في جميع شوارع وأحياء جهينة.. أريد أن أتعرف على ملامح المدينة».

أجابه كريم مبتسمًا: «بكل سرور».. ثم نظر إلى رامي بجواره «هل ستأتي معنا أم تريد أن أقلك إلى المنزل؟».

أجابه بكل حماس «لا بالطبع سوف أحضر معكم.. لن أفوت أي شيء من هذه الرحلة بالتأكيد».



دلف الجميع إلى السيارة واصطحبهم كريم في شوارع جهينة المضاءة بأعمدة الإنارة الأنيقة وإضاءة المتاجر المختلفة لتزيد شوارع المدينة جمالًا وحيوية.

* * *

في تلك الأثناء كان يحدث اجتماع مع كبار عائلات جهينة في منزل العمدة مازن.. الذي كان يقف أمام منضدة كبيرة مستديرة وأمامه عشرة أفراد (ستة رجال وأربع سيدات) ممثلين عن عائلات المدينة الذين أعلنوا بدورهم عن شعورهم بالقلق مما يحدث، ولكن لم يتجرأ أحد بفتح الحديث إلا متولي مساعد مازن الذي هب واقفًا وأخذ يتحدث إلى مازن بنبرة قوية «أخبرنا ما العمل يا سيد مازن.. إن أطفالي يشعرون بالخوف والارتياع من مشاهدة رجال الشرطة يحوطون المدينة بساكنيها.. أسرنا تشعر بالهلع مما يحدث بجهينة الآن».

حاول مازن أن يهدئ من روعهم قليلًا.. «لا تقلق يا متولي.. لقد كنت معي بنفسك بالصباح وأنا أتحدث إلى العقيد سراج وأخبرني بأن التحقيقات سوف تأخذ وقتًا قصيرًا للغاية وسوف ينتهي كل شيء وسوف يعود الهدوء إلى جهينة مرةً أخرى.. أنا بنفسي بصفتي عمدة للمدينة سوف أحرص على تنفيذ ذلك.. أريدكم ألا تشعروا بالقلق نهائيًا.. كل شيء تحت سيطرتي كالمعتاد».

هنا تحدثت سيدة من وسط الحضور إلى زميلة لها وهي تهمس لها.. «فلتخبريه الآن».



فأجابتها زميلتها بخوف «لا.. ليس الآن.. حدثيه أنت إذا رغبتِ».

لاحظ مازن ما تفعله السيدتان فحاول أن يعلم ما تخفيان «ماذا هناك يا مدام سارة.. أخبريني بما يشغل بالك».. تشجعت سارة قليلًا فسألته بفضول «نريد أن نعلم ماذا سوف يحدث بعد أن تهدأ الأمور وتنتهي التحقيقات؟» ثم صمتت وابتلعت باقي حديثها.. حاول مازن أن يفهم إلى ماذا ترمي بحديثها.. فسألها سريعًا.. «لم أفهم ما تقصدينه يا مدام سارة.. أرجو أن توضحي لي سؤالك».

فأجابه متولي في الحال «إنها تتحدث عن الذهب».

اندهش مازن من حديثه.. «الذهب.. ما به؟».

هنا تحدث متولي بنبرة حادة قليلًا: «الذهب.. نريد أن نعلم ماذا سيحدث له.. هل سوف نتركه للحكومة لكي تأخذه؟ أجابه باندهاش شديد.. «بالطبع.. وهل بأيدينا شيء آخر غير ذلك».

تحدث إليه متولي غاضبًا.. «نعم بالطبع في أيدينا الكثير.. نريدك أن تحافظ على حقوق أهل مدينة جهينة.. إن هذا الذهب قد وجد في مدينتنا.. على أرضنا وبكميات ضخمة.. أنا سمعت أنه قد يصل إلى 9 أطنان.. نريدك أن تتحدث إلى الحكومة باسم مدينة جهينة لكي نأخذ الذهب.. بالطبع لا نريد الذهب كله.. ولكن نريد نسبة منه.. هذا أقل شيء يجب أن تحصل عليه جهينة.. إن من يجد في أرضه كنزًا أو بترولًا يصبح ملكًا له.. وهذا الذهب وجد في جهينة.. نحن نطالب بحقنا لا

غـير.. نريد نسـبة صغيرة من حقنا.. وليكن طنًّـا أو طنين ونوزعه على أهل المدينة بالتساوي».

وهنـا أخذ متـولي يصيح في كبـار العائلات محفـزًا «أليس كذلك.. أليس هذا حقًّا مشروعًا لسكان جهينة؟».

أجابه الجميع متمتمين في حماسة.. «نعم.. نعم هذا من حقنا.. هذا الذهب ملكنا».

حدثهـم مازن بغضـب مكتوم.. «هـل جننتم.. هـل تريدونني أن أطلب من الحكومة أن تعطينا طنًّا من الذهب».

فصرخ به متولي وهو ينظر إلى كبار العائلات محرضًا «.. أرأيتم ماذا يفعل؟ ينعت أهل جهينة بالجنون لطلبهم حقوقهم.. ماذا سوف يفرق مـع الحكومـة بإعطائنـا طنًّا أو طنين مـن أصل 9 أطنان؟ هـذا أقل من حقوقنـا بكثـير.. أم أنك تنكر يا سـيد مـازن بأن هذا حقنـا.. إذا كنت غـير مقتنـع بحديثنا فهذا شيء آخـر.. أهل جهينة لا يسـتطيعون إقناع أي شـخص إذا كان عمدة مدينتهم غير مقتنع من البداية.. أخبرني أيها العمدة.. هل أنت مقتنع أم لا؟».

هنا تسرب إلى قلب مازن شعور غريب لما يشعر به من قبل.. شعور أثـار ريبته وقلقه.. استشـعره من نبرة حديث متـولي ومن نظرات كبار العائلات وهم ينظرون إليه بعيون غاضبة متمردة.. لم يشـعر بالتحدي هكذا من قبل.. أهل المدينة دائمًا ما كانوا يستمعون إلى حديثه وينفذون أوامره بدون نقاش طوال 25 عامًا.. فماذا حدث؟ لكنه علم في الحال..



لقد التمع بريق الذهب في عيون أهل المدينة.. نعم فالذهب وبريقه قادر أن يغير جوهر أي شيء.. حتى ولو كانت طبيعة أهل جهينة التي هي طبيعة أغلب المصريين.. وهي الخنوع في وجه من يمتلك السلطة ما دامت بطونهم لا يمسها الجوع لفترات طويلة.. ولأول مرة منذ تقلد منصبه يشعر مازن بالتهديد.. ومصدر هذا التهديد كان بقيادة متولي.. هذا الرجل الذي ظل أحد مساعديه لسنوات عديدة.. واضطر مازن لأول مرة في حياته.. أن يرضخ لرعيته في أمر ما.. فتحدث إليهم بنبرة خافتة خاضعة.. «حسنًا.. حسنًا.. ما دامت هذه رغبة أهل جهينة فلا بد من أن أنفذها.. سوف أبلغ العقيد سراج غدًا بطلباتكم هذه جميعًا».

هنا ابتسم متولي في الحال وتحدث إلى كبار عائلات جهينة «.. إذن.. فغدًا موعدنا.. سوف نتجمع غدًا مرةً أخرى لكي نرى جميعًا ما إذا استطاع السيد مازن إقناع العقيد سراج بحقنا في الحصول على هذا الذهب أم لا.. علينا أن نتأكد أن عمدة مدينتنا يقف مع أهل المدينة وليس مع الحكومة.. إذا لم يكن العمدة يصلح لهذا المنصب.. فإنه قد آن الأوان لكي يتقدم شخص آخر ليحمل هذا العبء الثقيل «ثم نظر إلى كبار العائلات محرضًا.. «أليس كذلك؟».

أجابه الجميع متمتمين بحماس شديد. «بلى.. بلى.. نحن نريد الذهب لنا ولأولادنا.. يجب حماية مصالح جهينة.. يجب أن يقوم العمدة بحماية مصالحنا».

تملك الغيظ مازن بشدة وكاد أن ينفجر بهم.. ولكنه ضغط على نفسه وكظم غيظه واكتفى أن ظل يرمقهم بعيون يملؤها الحقد الشديد..

وراقب متولي وهو يغـادر مكانه وهو يتحدث إلى كبار العائلات الذين بدءوا في اتباعه «.. ميعادنا في الغد.. نلتقي في الثامنة مساء.. لكي يخبرنا العمدة».. وهنا ابتسم إلى مازن ساخرًا.. «ماذا فعل مع الحكومة؟ وإن فشلت مفاوضاتـه.. فسـوف نصـوت بالغد عـلى تعيين عمـدة جديد لجهينة.. لكي يقف معها في محنتها.. هيا لننصرف الآن».

انـصرف متولي بعد أن ألقى ضحكة سـاخرة في وجه مازن المحتقن الغاضب.. وجميع كبار العائلات ظلوا ينصرفون وهم يتحاشون النظر إلى عيـون مازن الحانقة عليهم حتى انصرفوا جميعًا.. ولم يتبق في الغرفة سـوى مازن وحيدًا.. يشعر بالصدمة الشديدة من تغير مجريات الأمور وتفلتهـا مـن يـده لأول مـرة في تاريخـه.. ظلت تـراوده جميـع الأفكار السـوداوية التي في العالم.. هل سـينتزع متولي منـه منصب العمدة من تحت قدميه.. هل كان متآمرًا مثله تحت أنفه ولم يره أو يلحظه؟ أو كان يلحظـه بالفعـل؟ ولكن غـروره قد منعه مـن رؤية ذلـك.. وماذا عن بيومي مسـاعده الثاني.. هل يشـارك متولي في تلك المؤامـرة.. بالتأكيد وإلا فلـماذا لم يحـاول الدفـاع عنه؟ شـعر مـازن بالغضب الشـديد من مسـاعديه وكبـار عائـلات جهينة.. وهنـا لم يكن أمامـه إلا حل واحد فقط.. حل كان يضعه للطوارئ القصوى ولم يكن يشعر أنه في يوم من الأيام سوف يلجأ إليه ويستخدمه.

خرج من غرفة الاجتماعـات وهو عازم بالفعل على تنفيذه.. توجه إلى الطابـق الأول من منزله المكون من طابقين يعيش بهما بمفرده؛ لأنه غير متزوج ولا يملك أسرة أو عائلة.. لأنه كان يعتقد بأنه لا يحتاج إلى



عائلة في ظل وجود عائلة كبيرة من أهل مدينة جهينة جميعًا.. فهو لم يكن همه إلا أن يشعر أهل جهينة بالأمن والأمان في ظل حكمه.. منع الجرائم والفقر.. جعل المدينة نظيفة ونموذجية.. حلم لأي شخص من خارج مدينة جهينة أن يعيش بمدينته الفضيلة تلك.. كلمة جهينة كانت تعني الفضيلة بالنسبة له.. ظل يكرس هذا الحلم طوال نصف حياته.. تنازل خلالها عن تكوين أسرة وزوجة وأولاد.. ضحى بسعادته من أجل سعادة أهل المدينة التي أحبها هي وساكنيها بكل جوارحه. ولم يكن يتصور أنهم سيتنكرون له ولفضله هكذا.. لذلك سوف يلجأ إلى ورقته الرابحة.. الورقة التي كانت تحميه من الجميع وتحمي الجميع من الجميع.. هبط من الدرج وتوجه إلى ممر ضيق بجوار الدرج وظل يتحرك به عدة خطوات.. واتجه إلى لوحه زيتية معلقة على ذلك الممر لامرأة تحمل طفلها بيديها.. وحركها قليلًا لليمين ليظهر خلفها جهاز إلكتروني مثبت في الحائط وبه بعض الأرقام والحروف المثبتة على لوحة إلكترونية صغيرة ضغط عدة حروف وأرقام سريعًا.. ثم أضاءت اللوحة بلون أخضر وأصدرت صوت تنبيه سريعًا.. فأعاد اللوحة الزيتية إلى مكانها مرةً أخرى فأخفت اللوحة الإلكترونية.. ثم عاد مرةً أخرى إلى غرفة المعيشة بالطابق الأول وتوجه منها إلى الحمام فدلف إليه سريعًا وأشعل الإضاءة بالداخل.. فظهرت مكونات الحمام العادي مرحاض ومكان لغسل الأيدي وحوض كبير للاستحمام وسخان غازي صغير على الحائط.. توجه إلى المكان الفارغ في الحائط أسفل سخان الغاز الخاص به وضغط على زر معلق بالسخان.. ففتح باب صغير كان مُخفًى في جدران الحمام بطول متر وعرض ثلاثين سم..



ودلف منه إلى داخل غرفة بحجم 6 أمتار في 4 أمتار اشـتعلت الإضاءة في الحـال عندمـا دخلهـا.. كانت الغرفة دافئة.. يكسـو بعـض أركانها الغبـار.. بهـا سرير صغير تراه عندمـا تدخل الغرفة أمامـك.. وبالجهة اليـسرى مـن الغرفـة كان هنـاك حاسـب آلي صغـير موصل بشـاحن كهربائي بسلك طويل.. ومسجل ضخم أعلى دولاب خشبي متوسط الحجم بجوار الحاسـب.. ومقعد مريح مسجى أمام الحاسب يستطيع من يجلس عليه أن يغير من وضعية جلوسه إلى استخدامه كسرير للنوم بسـهولة.. جلس مازن في الحال على المقعد وضغط على الحاسـب ليبدأ العمـل وظل يضغـط على أزرار لوحة المفاتيح ليـسرع من عملية البدء تلـك.. مـرت عدة ثوان حتى ظهـرت كلمة «باسـورد» بالإنجليزية.. فكتـب مازن كلمـه السر «أنـا أحب جهينـة» باللغـه الإنجليزية ففتح الحاسـب وظهرت في الخلفية أمامه صورة له وهو يقف أمام أشخاص كثيريـن من أهـل جهينة في صـورة تذكارية يبدو عليها مرور سـنوات عديدة؛ لأن ملامحه الآن قد تغيرت قليلًا عن ملامحه بالصورة.. ابتسم مازن وهو ينظر إلى الصورة ويسـترجع بذاكرته أيام الهدوء والسـكينة التـي كانت تعم المدينـة في ذلك الوقت.. ووجد بداخل الصورة متولي يقف بجواره على يمينه وهو يبتسـم بفرح.. فشعر بالامتعاض ثم فتح ملفًّا أمامه مكتوبًا عليه جهينة.. ليظهر أمامه ملفات كثيرة للغاية بأسماء متعـددة تتعدى المئـات.. فانتقل بالفأرة إلى كلمة البحث على الشاشـة وكتـب باللغة العربيـة متولي عويس.. ثم ضغـط زر الإدخال الضخم في لوحـة المفاتيح، مرت عدة لحظات ليظهر له ملف يحمل اسـم متولي عويس فضغط عليه بالفأرة سريعًا ليدخل إلى الملف فوجد صورة لمتولي

وبجواره زوجته وأولاده الثلاثة في صورة تذكارية.. وعشرات الملفات موجودة بالمجلد.. ظل مازن يحدق في الصورة أمامه وأخذ يكبرها أكثر وأكثر.. ليظهر وجه متولي كبيرًا للغاية أمامه فأخذ يمسك الفأرة وهو يضغط بها بعنف وحقد على عيون متولي أمامه وهو يتمنى أن يخترقها بفأرته.. ظل هكذا لعدة لحظات ثم أغلق الصورة فجأة واختار أحد الملفات وفتح برنامجًا لتشغيل الأفلام ووضع بداخله الملف، وبدأ الملف بالعمل، فاستند مازن إلى مقعده بظهره وظل يستمع إلى صوت متولي وهو يتحدث.. وعلى وجهه ابتسامة رضا كبيرة.





المنبوذون

أخذ كريم يقود السيارة بشوارع جهينة ووصلات المزاح لا تنتهي بينه وبين سراج الذي يجلس بجواره.. بينما كان رامي قابعًا في الخلف يشاهدهما في ضيق وضجر.. صرخت معدته معلنة عن امتعاضها من عدم تناول الطعام منذ فترة طويلة.. وأخذت تعتصره ألمًا.. فتحدث إلى كريم في الحال معترضًا: «هل سنظل هكذا كثيرًا؟ إني أشعر بالجوع الشديد.. لماذا نظل نقود في أنحاء المدينة هكذا على غير هدًى؟ لقد مللت رؤية الشوارع نفسها مرارًا وتكرارًا».

حدثه كريم وابتسامته تعلو وجهه وهو ينظر إليه بمرآة السيارة: «أنا أعلم أنك تشعر بالجوع.. فأنا جائع أيضًا.. ولكن يبدو أن الحديث الممتع مع سراج باشا قد شغلني عن ذلك».

فضحك سراج له: «أنت يا كريم الذي حديثك ممتع.. فأنت تبدو وكأنك تعلم كل شيء.. كيف تمتلك مثل كل تلك المعلومات والحصافة وتعيش بمكان مثل جهينة؟! شخص في مستواك هذا وذكائك وشخصيتك الممتعة لديه مؤهلات تجعله يعمل في أفضل الأماكن بالجمهورية.. لماذا تتمسك بالعيش في تلك المدينة الصغيرة؟».



ابتسم له كريم: «لا أعلم يا سراج باشا.. كل ما هنالك أن جهينة لها في قلبي مكانة خاصة.. سحر لا يشعر به إلا من يعيشون بها.. طبعًا لن يصلك مغزى كلامي إلا عندما تعيش بها فترة من حياتك».

قاطعهما رامي ساخرًا: «حسنًا.. أنت جميل.. وجهينة جميلة.. فلنعش بسعادة إلى الأبد.. هل تخبرني من فضلك يا سراج باشا.. لماذا ندور في شوارع المدينة كل هذا الوقت؟ نحن لم نُجرِ تحقيقات ولا استجوابات حتى الآن! كل هذا وقت ضائع يا سيدي».

ابتسم سراج بسخرية: «هذا هو عيبكم أيها الصحفيون.. تريدون الحصول على كل شيء بسرعة.. يهمكم الخبر وليس المضمون.. وإذا لم تجدوا الخبر تصنعونه أنتم، حتى ولو لم يكن حقيقيًّا.. أما نحن.. فلنا طرق مختلفة عنكم في العمل.. نحن نحقق وندقق في كل شيء؛ لأننا نحمل بين أيدينا أمن وحياة الناس وليس متعتهم.. التحقيق في عملنا هذا هو آخر شيء نلجأ إليه.. فيجب أولًا أن نعلم جميع الملابسات حول القضية؛ لتتضح لنا في النهاية بعض المعلومات التي ستفيدنا بعد ذلك في التحقيق.. مثلًا نحن الآن نطوف في أرجاء المدينة كلها منذ ما يقارب الساعتين.. لقد مررنا على معظم أنحاء المدينة لعدة مرات.. ولكن لاحظت أن كريم لم يدخل بنا جهة شارع محدد.. مررنا عليه كثيرًا ولم يدخله، وبهذه الطريقة علمت أن هناك أمرًا يخفيه كريم علينا ولم يخبرنا به، موجودًا في ذلك الشارع».

ثم نظر إلى كريم بجواره وهو يبتسم، فشعر كريم بالارتباك الشديد: «أليس كذلك يا كريم؟ هيا بنا.. لنذهب الآن لنكتشف ماذا تخفي في



هـذا الشـارع».. نظر إليه كريم بطـرفي عينيه وهو يشـعر بالخجل.. ثم أومأ برأسـه لـه وغيَّر اتجاه السيارة وعاد مرةً أخـرى إلى الطريق الذي أتوا منه.. شعر رامي بالسرور وهو ينظر إلى كريم متشفيًا وقد بدا عليه الإحراج الشديد.. فنظر إلى سراج وأشار إليه بإبهامه بعلامة Ok.

عـاد كريـم بسرعة إلى نهايـة الطريق وتوجه إلى شـارع كبير بعرض 8 أمتار على يمين الطريق، ومر من خلاله بسرعة، وظهرت في الشـارع المباني الموجودة هناك على الصفين، جميعها مثـل باقي المنازل في المدينة مكونـة من طابقـين أو ثلاثة ولا يوجد شيء مختلـف.. وهنا لمح سراج بطـرف عينه منـزلًا بينها مكونًا مـن طابقين، على حائطه مرسـوم عدد من الشتائم والعبارات النابية وملقًى أمام مدخله فضلات طعام وكثير مـن القمامـة ومكتوب على بعـض الحوائط «اللعنة عـلى عائلة سرور». و«اخرجـوا مـن جهينة». لفت الأمر انتباه سراج بشـدة فأمر كريم بأن يتوقف بسيارته في الحال.. فنفخ كريم في ضيق وهو يقف بسيارته على بعد عدة أمتار.

خـرج سراج من السـيارة سريعًا وهو مندهش ينظـر إلى المنزل: «لمَ هذا المنزل هو المنزل الوحيد الممتلئ بالقذارة هكذا في هذه المدينة؟!».

تنهد كريم وحدثه ممتعضًا: «لأن هذا هو منزل أحد المنبوذين».

أثـارت تلك الكلمـة فضول رامي الذي خرج من السـيارة مسرعًا وهو يسأل كريم بحماسة شديدة:

«منبوذون؟!.. من هؤلاء المنبوذون؟».



أجابه كريم في الحال: «حسنًا.. إنكم كنتم ستعلمون آجلًا أم عاجلًا.. إن هؤلاء المنبوذين هم بعض سكان المدينة الذين لا يلتزمون بقوانينها التي يضعها العمدة هو وكبار عائلات المدينة.. من لا يلتزم بهذه القوانين يصبح منبوذًا من قِبَل باقي سكان المدينة، وهذا أمر اعتيادي ومتعارف عليه هنا».

أوقف سراج كريم عن الحديث بإشارة من يده: «توقف.. لا تخبرني بأي شيء آخر.. دعني أستطلع الأمر بنفسي.. انتظرني بالسيارة هنا.. سوف أذهب للتحدث مع هؤلاء المنبوذين بنفسي.. ماذا يدعى صاحب هذا المنزل؟».

«اسمه سرور بكري».

تحدث سراج إلى رامي خلفه: «هل ستأتي معي يا رامي أم ستنتظر مع كريم بالسيارة؟».

ابتسم رامي في الحال: «سوف آتي معك بالطبع بدون نقاش».

تحرك الاثنان وتوجها إلى مدخل البناية السكنية وهما يحاولان تفادي تلال المهملات والقمامة أمام المنزل، وأخذا يتطلعان إلى الرسومات والشتائم والعبارات النابية على الحوائط في طريقهما.. وكريم يراقبهما من سيارته حتى اختفيا من أمامه بداخل المبنى.. فابتسم لنفسه ساخرًا: «مازن سوف يقتلني بالتأكيد».

صعد سراج ورامي في درجات السلم إلى الطابق الأول ليجدا باب منزل في منتصف الجدار أمامهما ومكتوب على الباب الخشبي علامات



لنجمة خماسية باللون الأزرق.. ولافتة معدنية صغيرة على يمين الباب الخشبي مكتوبًا عليها «المحاسب سرور بكري».. ضغط سراج على جرس الباب، بينما قام رامي بتصوير باب الشقة بهاتفه، فنظر له سراج وهو يحذره بسبابته.. ابتسم رامي له وهو يحاول طمأنته: «لا تقلق.. لا يوجد نشر.. لا تقلق».

ضغط سراج مرة أخرى على جرس الباب ليسمع صوت شخص من الداخل يتقدم بسرعة ليقف خلف الباب وينظر من خلال العين السحرية، ثم صدر صوت أنثوي من خلف الباب: «من أنت؟».

فسعل سراج سريعًا ثم تحدث بنبرة غليظة: «أنا العقيد سراج توفيق.. أريد أن أتحدث معكم».

فسمع صوت شهيق المرأة خلف الباب وهي تصرخ على الرغم منها: «الشرطة.. استر يا ألله».

ثم ركضت مسرعة فتبادل سراج نظرات ضاحكة مع رامي.. ثم سمعا صوت ركض بالداخل وهمهمة وأصواتًا مختلطة وغير مفهومة ظلت لعدة دقائق.. نظر سراج بساعته وقام بالضغط على جرس الباب مرةً أخرى.. لحظات وفتح الباب ليطل من خلفه رجل يرتدي «بيجامة» منزلية وفوقها «روب» رمادي اللون وهو ينظر إليهما في ذهول ويبدو عليه القلق، فبادر سراج بسؤال سريع: «نعم.. هل حضرتك تريد مني شيئًا.. هل هناك أمر حدث؟».

حاول سراج أن يهدئ من روعه قليلًا: «لا تقلق.. لا تقلق.. أنا أرغب في التحدث معك بطريقة ودية فقط.. سوف أطرح عليك بعض الأسئلة اللازمة للتحقيق في الأحداث الأخيرة التي ألمت بالمدينة.. فأنت تعلم الأمور الغامضة التي حدثت هنا أخيرًا».

ابتلع سرور ريقه وأشار إليهم بالدخول «حسنًا.. تفضلوا تفضلوا».

دلف سراج وخلفه رامي إلى داخل الشقة التي كانت مجهزة بالأثاث الذي يبدو عليه أنه باهظ الثمن.. ألقى سراج سريعًا نظرة فاحصة على الشقة وهما يدلفان إلى غرفة أخرى أشار إليهما سرور بدخولها.. فدخلا إليها ليجداها غرفة صغيرة بها مقعدان وأريكة كبيرة في المنتصف، أمامها تلفاز ومستقبل فضائي، فجلس سراج ورامي على الأريكة وجلس سرور على مقعد بجوارهما وهو يبدو عليه القلق والتوتر من وجود زائريه.. لحظات ودلفت زوجته وهي تضع غطاء الرأس على رأسها وقدمت بعض أكواب العصير الجاهزة وهي تشعر بالقلق، فوضعتها على المائدة الصغيرة التي أمام الأريكة وهي تحدثهما بصوت قلق «تفضلا العصير». ثم قامت بتقديم العصير إلى زوجها والضيوف وجلست على مقعد مقابل لمقعد زوجها، فنظر إليها زوجها وقال لها: «لتذهبي لتجلسي مع ابنتنا آية يا هاجر».

جاوبته سريعًا: «آية تشاهد التلفاز ولا تحتاج إليَّ بجوارها».

فنظر إليها غضبًا: «حسنًا.. فلتحضري إلينا بعض المقرمشات ليتناولها الضيوف مع العصائر».

تحركت هاجر على مضض وهرولت إلى الخارج سريعًا.. وابتسم سرور إلى سراج قلقًا «أهلًا بكما يا فندم.. هل كنت تريدني في شيء.. خيرًا؟».

ابتسم له سراج مطمئنًا: «خيرًا.. خيرًا.. لا تقلق.. أعرفك بنفسي أولًا.. أنا العقيد سراج توفيق المسئول عن التحقيقات هنا بجهينة، وهذا هو الأستاذ رامي مرافقي.. كنت أريد أن أعلم بعض المعلومات منك فقط.. فلا داعي للقلق».

عادت هاجر سريعًا إلى الغرفة وتحمل معها بعض أطباق «البسكوت» والمخبوزات ووضعتها أمام سراج ورامي الذي ما إن رأى المخبوزات أمامه حتى انهال عليها يفترسها بكل نهم وهو يرشف عصير المانجو الذي أمامه باشتياق شديد.. هنا نظر سرور إلى زوجته وهو يومئ لها برأسه: «حسنًا.. فلتنتظرينا قليلًا في الخارج يا هاجر».

هنا صاحت به غاضبة: «لا.. لن أخرج يا سرور.. أريد أن أطمئن إلى ما يحدث.. ماذا تريد الشرطة منك؟ هل تخفي عني شيئًا؟ هل سوف يتم القبض عليك مرةً أخرى؟».

صاح بها سرور غاضبًا: «ماذا تقولين يا امرأة؟! أخبرتك أن تنتظريني بالخارج.. لماذا لا تستمعين لحديثي؟».

شعر سراج بالاضطراب مما يحدث.. بينما ظل رامي يشاهدهما وهو يتناول المخبوزات في نهم شديد.. فحاول سراج التدخل لتهدئة الأوضاع بينهما: «يا مدام هاجر.. لا تقلقي.. لن أقبض عليه أو أي



شيء من هذا القبيل.. كل ما هنالك كما أخبرتكم أني أريد التحدث إليه عن بعض المعلومات التي يمكن أن تفيدني في تحقيقاتي فقط».

حدثته هاجر برجاء: «سوف نخبرك بكل شيء تريده يا سيدي.. أي شيء تطلبه.. لكن أرجوكم لا تأخذوا سرور مني مرةً أخرى». نظر سرور إلى هاجر وعيونه كادت تفيض من الدمع ونظراته كلها مليئة بالإعجاب الشديد تجاه زوجته.

أجابها سراج في الحال: «أريد أن أعلم.. لماذا توجد قمامة وفضلات أمام منزلكم فقط دون سائر مباني المدينة؟! ولماذا توجد هذه الرسومات والألفاظ البذيئة على باب منزلكم؟! ولماذا لم تزيلوها من قبل؟! أريد أن أعلم أيضًا ماذا يعني أنكم منبوذون؟».

ابتسم سرور في الحال: «هل يعني ذلك أنك هنا الآن من أجل ذلك فقط؟».

«نعم أنا هنا من أجل ذلك فقط».

حلت أسارير السعادة على وجه سرور وحدثه في الحال: «حسنًا.. سوف أخبرك بكل ما تريد معرفته.. أنا لا أعلم كيف أبدأ.. أمم.. حسنًا.. اسألني أنت عما تريد وسوف أجاوبك عنه في الحال».

«جيد.. أخبرني من هم المنبوذون؟ ولماذا أصبحت منهم؟ ولماذا أمام منزلك تلك القمامة وتلك الرسومات والعبارات النابية؟».

تنهد سرور بقوة وهو يستند إلى ظهر مقعده وينظر إلى زوجته هاجر، وبدأ في سرد ما حدث له: «حسنًا يا سيدي.. إن المنبوذين هؤلاء هم من يخالفون قوانين مدينة جهينة.. حسنًا.. لكي تفهم كل شيء يجب عليَّ



أن أبـدأ من البدايـة.. إن مدينة جهينة هي مدينـة متكاملة.. هي أقرب إلى كلمة كامبواند أو مجمع سكني كما يقال الآن.. ولكنها قديمة قد تم تأسيسـها منذ 30 عامًـا أو أكثر. لقد انتقلت إليها أنـا وعائلتي، وكنت أبلـغ مـن عمري سـبعة أعوام فقط، وعشـت طوال حيـاتي وتزوجت مـن مدينة جهينـة.. ولمدينة جهينـة منذ القدم قوانـين خاصة بها.. هي ليسـت قوانين بالمعنى الحرفي.. ولكن هي أشـبه بالعرف القبلي.. فلقد وضع مؤسسـو هـذه المدينة عـدة قواعـد للجميع لكـي يتبعوها حتى الآن.. مثل عدم الانتقال من المدينة إلا بعد أن تبيع منزلك لأحد أهالي المدينة.. لئلا يسـكن المدينة غرباء.. أهل المدينة يشترون ويبيعون جميع منتجاتهـم بداخـل جهينة.. إذا ألم حـزن أو كارثة بأحد أفـراد المدينة.. فجميـع أهـل المدينـة يقفـون معـه ويسـاندونه.. إذا كان هنـاك زفاف أو مأتـم.. يتم التنويه عنـه في قاعة المدينة.. ويلزم على جميع أهل المدينة الحضـور حينهـا.. والكثـير والكثير من تلـك القواعد التـي أصبحت كالدسـتور لأهل المدينة؛ لذلك لا تجد في جهينة غريبًا أو شخصًا فقيرًا أو جائعًـا.. الجميع يتكاتف ويترابط من أجل سـكان جهينة.. والذي كان يشرف على هذا كله السـيد مازن عمـدة المدينة هو وعشرة أعضاء من أقدم عائلات المدينة يشـكلون مجلس المدينـة، ويشرفون على تنفيذ قواعدها، والسـيد مازن يتقلد منصب العمـدة بطريقة شرفية منذ أكثر من 25 عامًا وهو رجل قوي الشخصية.. وحنون ومتفانٍ لأهل المدينة فهـو لم يتـزوج ولم يكن له عائلـة.. لقد انتقل إلى جهينـة وحيدًا وعمل مدرسًـا للغـة العربية حتى أصبح مدير المدرسـة التـي كان يعمل بها..

وعلَّم معظم سكان وشباب المدينة؛ لذلك أصبح يتقلد منصب العمدة بصفة شبه دائمة.. وهو أيضًا من يطلق على من يرغب لقب منبوذ».

سأله سراج بفضول: «حسنًا.. ومن هو المنبوذ؟».

«المنبوذ هو أي شخص يكسر قانونًا من قوانين المدينة التي وضعها عمدة جهينة وكبار العائلات بها».

«وماذا فعلت يا سرور لكي تصبح منبوذًا؟».

طأطأ سرور رأسه في إحراج.. وتحدث بصوت خافت: «لقد.. لقد ارتكبت أكبر خطيئة في قوانين جهينة.. لقد ارتكبت جريمة».

نظر إليه رامي بذهول شديد وهو يأكل آخر قطعة من المخبوزات أمامه، بينما سأله سراج باهتمام.. «حسنًا.. ماذا فعلت يا سرور؟ ما جريمتك.. أخبرني؟».

تعلق سرور بوجه زوجته الذي كان يحمل بين طياته ملامح الحزن والأسى، فطأطأ رأسه خجلًا وهو يتحاشى النظر في عيون الجميع، وبدأ حديثه بصوت خافت متردد: «يجب أن تعلم بأني لم أكن أقصد حدوث هذا الأمر..أنا.. أنا كنت تحت ضغط كبير وضعفت أمام إغراءات ضخمة.. جعلتني أفعل ذلك». تفلت نظره منه سريعًا إلى وجه سراج فوجده ينظر إليه ويستمع إليه باهتمام.. فشعر سرور بالخجل ونظر إلى الأرض صامتًا للحظات.. هنا استغل رامي صمت سرور السريع هذا وتحدث إلى سراج وهو يشير إلى طبق المخبوزات أمامه: «هل ستأكل هذه المخبوزات؟».



اندهش سراج من سؤال رامي الغريب هذا في ذلك الوقت.. بينما ابتسم رامي في الحال وهو يمد يده إلى طبق المخبوزات ويضعه أمامه.. ويتحدث إلى سراج ضاحكًا: «الصمت علامة الرضا». وبدأ في تناول المخبوزات في نهم شديد.

أومأ سراج برأسه مستغربًا من أريحية رامي في ذلك الوقت، فتنهد وتحدث إلى سرور مرةً أخرى: «لا تقلق يا سرور.. أنا لست هنا لكي أحكم عليك.. أنا هنا لكي أستمع إلى حقيقة ما حدث فقط.. أخبرني ماذا فعلت بالضبط؟».

أخذ سرور ينظر إلى سراج نظرات متخطفة وهو يكمل حديثه ويدافع عن نفسه: «سوف أحكي لك كل شيء من البداية؛ حتى تعلم أني لم أفعل ذلك بإرادتي، بل بسبب الضغوط حولي.. أنا كنت أعمل في شركة عقارية ضخمة جدًّا وعملاقة.. ولكني عملت بوظيفة محاسب صغير بها.. عملت هناك بكل جد واجتهاد لمدة خمس سنوات.. لا أتوانى في العمل أبدًا ولا أؤخره أو أعطله.. ورغم ذلك لم أحصل على أي زيادة في مرتبي أو على ترقية أو حتى تقدير من أي نوع.. لم أشْكُ حالي إلى أحد.. وظللت دءوبًا على عملي مجتهدًا به.. لعل وعسى أن يكون شفيعًا لي وسط زملائي ورؤسائي.. ومضت حياتي كالمعتاد.. بدون أي جديد.. حتى وقع تحت يدي ذات يوم بريد إلكتروني مرسل إلى رئيس الحسابات.. أي إلى رئيسي المباشر، وكان قد ذهب إلى منزله في ذلك اليوم على عجل مستأذنًا لظروف عائلية طارئة ألمت به.. وهنا طرأت برأسي فكرة بأن أساعده وأفاجئه بإنهائي لذلك العمل؛ لأنه كان



مكتوبًا عليه «مهم للغاية» ويجب الانتهاء منه هذا اليوم.. فهممت بإنهاء هـذا الأمر، وقمت بمراجعة الملف المرسـل بالبريد لعله يكون شـفيعًا لي عند مديري فيسـعى لترقيتي.. ولكني شعرت بالصدمة مما رأيته.. عجوزات مالية ضخمة وكبيرة صرفت في مشاريع وهمية غير موجودة بالمرة.. هنا شعرت بالمسئولية وحتم عليَّ ضميري في أن أبلغ أصحاب الشركة بما يحدث من خلفهم.. فأنا لم أكن أتوقع يومًا من الأيام أن يقوم مديري بمساعدة شخص ما على سرقة أموال الشركة.. مسحت البريد الإلكتروني في الحال وأخذت هذه الملفات على حاسوبي ولم أتحدث إلى أحـد عما رأيته على الإطلاق.. انتظرت عدة أيام ولم أجد أحدًا قد فطن إلى ما حدث.. فقمت بإرسال بريد إلكتروني عليه جميع هذه المخالفات والسرقات إلى رئيس مجلس إدارة الشركة والعضو المنتدب لها.. ولكن لم أسـمع منه شـيئًا ألبتة.. ومرت الأيام عادية حتى مساء يوم ما عندما انتهيـت من عمـلي، فوجئت بأن رئـيس مجلـس الإدارة في انتظاري في سـيارته الألمانية الضخمة وطلب مني أن أركب معه، فركبت معه وأنا أنظـر إلى أصدقائي المندهشـين المحتارين الذين تهامسـوا فيـما بينهم.. ماذا حدث لكي يحضر رئيس مجلس الإدارة ليأخذ سرور في سيارته؟! هـذه بعض الكلمات التـي وصلت إلى أذني فجعلتني أرقص من داخلي فرحًا وطربًا ولسـان حالي يقول: بالتأكيد رئيس مجلس الإدارة سـوف يكافئني على اكتشافي لتلك المخالفات المالية.. صعدت بداخل السيارة لأجد نفسي في مواجهة سـيد بيه رئيس مجلس الإدارة وأحد الأصدقاء المقربـين المؤسسـين للشركة.. وكان سـيد هـذا إقطاعيًّا بـكل ما تحمله الكلمة من معنًى . أفخم الملابس.. وأغلى العطور.. في فمه أغلى أنواع



السيجار الكوبي.. حتى هاتفه ماركة أمريكية لا تقل قيمته عن عشرين ألف جنيه في حينها.. شعرت بالخجل من نفسي في الحال عندما رأيته.. شعرت بالدونية والفقر الشديد.. ملابسي وهندامي لا يرقى بالمرة لكي أتعامل مع شخص من هذا المستوى.. تصبب العرق من رأسي ودب القلق في قلبي... وهو يصافحني بيده الصغيرة التي خشنت قليلاً من إمساك مضرب التنس وتوزيع الإكراميات لمن يخدمونه.. لا أستطيع وصف أحاسيسي حينها.. إلا بوصف بأني شعرت بأني فقير.. فقير وحقير.. لا أعلم لماذا شعرت بذلك.. شعرت بأن هذا الرجل ورفاقه يستطيعون أن يفعلوا أي شيء بي دون رقيب أو حسيب.. شعرت بالخوف الشديد.. لماذا تورطت مع هؤلاء؟ لماذا فعلت ما فعلته؟ لماذا لم أصمت وأتابع حياتي مثلما كنت أفعل دائماً؟ اجتاحتني الرهبة والخوف الشديدان.. ولم يخرجني من حالتي تلك إلا ابتسامته لي وهو يحدثني بكلمات مقتضبة قليلة: «عمل جيد يا سرور.. عمل جيد.. سوف تأتي معي الآن.. أريد أن أتحدث معك في أمر ما».

لم أعلم لماذا شعرت بسعادة غامرة اجتاحتني.. سعادة تكاد تكون أقرب إلى البكاء.. لا أعلم لماذا شعرت بذلك.. ولم أتردد للحظة وأنا أومئ برأسي بالموافقة في الحال.. ظللت أتحاشى النظر إليه طوال الطريق.. لا أعلم إلى أين نذهب أو ماذا سيحدث.. لم أفكر في شيء الآن.. هذا الرجل الثري يشعر بالرضا عني.. توقفت السيارة بعد عدة دقائق أمام فندق كبير وضخم للغاية على كورنيش النيل.. وترجل من السيارة رئيس مجلس الإدارة وتبعه ثلاثة رجال خلفه.. ودلفوا إلى



داخـل الفنـدق.. تـرددت قليـلًا في أن أتبعهم أم أنتظر هنـا.. لم يخبرني أحد ماذا أفعل.. وأخاف أن أدخل إلى المكان دون دعوة فيشعرني أحد بالإحـراج.. وظللت مترددًا هكـذا حتى وضع أحـد مرافقيه يده على كتفـي وهو يخبرني بـأن أذهب معه إلى داخل الفنـدق.. فتبعته في الحال دون نقاش ودلفنا إلى بهو الفندق الضخم وصعدنا بالمصعد إلى الطابق السـابع ثم ذهبنا إلى غرفة كبيرة للغاية.. كنا بداخلها أنا ورئيس مجلس الإدارة فقـط.. لم أكـن أعلم هـل أنا بالفندق بالفعـل أم في قصر لأحد الأثرياء العرب.. هل هناك أناس يعيشون هنا بالفعل؟ ظللت أنظر إلى الغرفة ومحتوياتها منبهرًا.. فابتسـم لي سيد بيه وأخبرني بأن أجلس على أحـد المقاعد أمامه، فجلسـت في الحال وجلس أمامي ثـم رفع الغطاء عـن صينيـة طعام كبيرة ممتلئة بـما لذ وطاب من الطعـام.. وأخبرني أن أتنـاول منه.. فرفضت على اسـتحياء.. فضحك بشـدة بطريقة أثارت استفزازي للغاية.. ثم حدثني مبتسمًا «كل يا سرور.. كل.. هذا الطعام الـذي لايتوافر إلا في الفنادق فقط.. كل حتى تمتلئ.. هذه فرصة يجب أن تسـتغلها.. هـذه الفرصة قد لا تـأتي إليك مرةً أخـرى في حياتك.. شـعرت بالـتردد قليلًا ولكـن حديثـه كان مؤثرًا.. ولكـن ليس كتأثير جمال ورائحة الطعام أمامي.. فبدأت آكل على اسـتحياء.. لقمة تتبعها لقمـة ولم أسـتطع مقاومة الطعم فأطلقت لنفسي العنان وأتيت على ما أمامي بالمائدة كله.. وظل سـيد بيه ينفث دخان سيجارته وهو يراقبني ويبتسم.. بعد أن انتهيت من الطعام وضع سيد بيه أمامي فوطة بيضاء من الحرير وأخبرني أن أمسح يدي بها.. فامتثلت إليه في الحال.. ثم بعد أن انتهيت أشـار إليَّ أن أنظر إلى جهة السرير.. فنظرت هناك فوجدت



حقيبة سوداء فوقه.. فأخبرني بأن أحضرها فذهبت مسرعًا وأحضرتها فوجدتها ثقيلة فأثارني الفضول لمعرفة ما بداخلها.. أمرني بأن أزيح صينية الطعام وأضع الحقيبة مكانها.. ففعلت في الحال، ثم أخبرني أن أجلس ففعلت.. أخبرني أن أفتح الحقيبة ثم قال لي: «اسحب الأرقام على 929».. فسحبت الأرقام على 9-2-9 فسمعت صوت القفل يفتح.. ففتحت الحقيبة.. لأجد أمامي أموالًا طائلة من فئة 200 جنيه موضوعة برزم كثيرة.. شعرت بالصدمة من رؤية هذه الأموال أمامي.. أنا محاسب أتعامل مع الأرقام كثيرًا لكن لم أكن أحلم يومًا من الأيام أن أرى هذا المبلغ رأي العين أبدًا.. ارتسمت صدمتي ودهشتي على وجهي وبدون أن أشعر سألته في الحال: «ما هذا يا سيد بيه؟».

ابتسم سيد وهو ينفث دخان سيجاره.. «إنها ثلاثة ملايين جنيه.. إنها لك.. إنها نقودك».

شعرت بقلبي وهو يكاد ينفجر من أثر سماعي هذا الأمر: «ماذا؟! ثلاثه ملايين جنيه.. لي أنا.. لماذا؟!».

جاوبني سريعًا: «أنت تعلم لماذا».

فأجبته بدون وعي مني: «لكي أخفي المعلومات المتعلقة بالعجز».

ابتسم لي بثقة شديدة: «عن أي عجز تتحدث؟».

اعتلت وجهي ابتسامة غريبة لم أعلم مصدرها.. فضحك وهو يربت على كتفي: «احمل نقودك.. تلمسها بيديك.. تشمم عبيرها بأنفك».



لم أكد أسمع ذلك حتى حملت رزمتين في يدي اليمنى واليسرى.. ملمس النقود غريب للغاية.. إنه ورق.. أعلم ذلك.. ولكن لا أعلم لماذا ارتعشت يدي.. هل لأني كنت أعلم بأني لا أحمل أوراقًا بيدي.. ولكني كنت أحمل احترام الناس.. حبهم.. نظراتهم المتملقة لي.. حرصهم على التقرب مني ونيل مرضاتي.. تلك النظرات التي كنت أرمق بها دائمًا أي شخص يحمل 6 أصفار في حسابه البنكي.. هل سوف أصبح منهم؟ هل سوف أصبح مثل هؤلاء جميعًا؟ شعور لا أستطيع وصفه بأي حال من الأحوال.. رأسي تخدر بشدة، واقشعر بدني.. هل سوف أصبح غنيًّا هكذا.. بكل تلك البساطة؟!

ولكني شعرت بالغصة والضيق فجأة.. لم أعلم لماذا.. هل استيقظ جزء صغير من ضميري؟ جزء صغير ما زال يخبرني بأن ما أفعله هذا خطأ.. لم أدر كيف ولكن التقط سيد بيه هذا الشعور بعينيه الخبيرتين.. فهو يبدو أنه معتاد أن يفعل ذلك مع أناس كثيرين غيري.. حدثني بكلمات مقتضبة قصيرة ولكن استشعرت منها الحكمة.. «سرور.. إن ما تفعله ليس خطأ.. إن جميع من تراهم يتشدقون بأنهم لم يخالفوا القانون.. هم أناس لم يجدوا الفرصة لكي يخالفوه بعد.. أعط لأي شخص منهم عشرة آلاف جنيه فوق مرتبه وسوف يفعل المستحيل من أجلك.. وأنت بالطبع واحد منهم.. ولكن أنت بدلًا من أن تمتلك عشرة آلاف جنيه سوف تأخذ ثلاثة ملايين.. هل سوف تضيع فرصة كهذه؟ هل؟».



أومـأت برأسي رافضًا خوفًا من سـحبه لعرضـه: «لا.. لن أضيعها يا سيدي.. سوف أفعل جميع ما تريده كله».

ابتسـم سـيد بيه لي برضًا: «حسـنًا فعلت يا سرور.. لقـد كنت أثق بأنـك ذكي ولن تخذلني.. أنت من اليـوم أصبحت رجلًا من رجالنا.. وسوف تكون من الغد مديرًا بدلًا من هذا الأحمق الذي عرض أمورنا للخطر».

ومـد يـده ليصافحني.. فصافحتـه في الحال وأنا متعجـب للغاية.. هـل أصبحـت مليونـيرًا ومديرًا في لحظـة هكذا؟! هل خمس سـنوات مـن العمل الجاد لم تشـفع لي؟ ومجرد التغاضي عن كشـف فسـاد رأيته بالمصادفـة.. جعلنـي مليونـيرًا ومديـرًا! تبًّـا لهـذه الدنيـا.. ومـن هذه اللحظـة تبدلـت أحـوالي كثـيرًا.. اختلـف وضعـي المـالي والاجتماعي بالشركـة وخارج الشركـة.. اطلعت على أسرار لم أكن أحلم في يوم من الأيـام بوجودها.. تعرفت على أشـخاص لم أكن أحلم بمصافحتهم.. أصبحـت الدنيـا تضحـك لي أنا وزوجتـي وابنتـي الصغـيرة أخيرًا.. أصبحـت في يـوم وليلـة من أعضـاء مجلـس مدينة جهينـة.. أصبحت صديقًـا مقربًـا من عمدة المدينة مازن.. تبرعـت بأموال كثيرة من أجل تحسـين المدينـة وأوضاعها.. أصبحـت حديث الجميـع.. رجل أعمال ناجحًـا.. ورجـل تبرعـات سـخيًّا.. أصبحـت مشـهورًا للغاية ومحط أنظار الجميع.. كل ذلك لأني تغاضيت عن الفساد وأصبحت فاسدًا.. ولكن.. بالفعـل دوام الحال من المحال.. فنظـرًا للسرقات التي كانت تحـدث بكثـرة بدون رقيـب أو حسـيب.. اختـل الوضع المـالي للشركة



بشدة واجتمع أصحاب الشركة وبدءوا يدققون في جميع الميزانيات وجميع القوائم المالية.. ونظرًا لكثرة السرقة.. فقد اكتشفوها بسهولة وراحت رائحة الفساد تفوح بشدة.. وهنا فوجئت بسيد بيه وشركائه يجعلون مني كبش فداء.. فألقوا بجميع المخالفات والفساد عليَّ بمفردي.. لأجد نفسي متهمًا بالنيابة وقيد التحقيق.. انفض الجميع عني.. الأقارب والأصدقاء والأحبة والطامعون والطامحون.. الجميع علم بسقوطي.. الوحيدون الذين وقفوا بجانبي هم زوجتي الأصيلة هذه وأهل جهينة وعلى رأسهم العمدة مازن الذي كان يدافع عني بشراسة شديدة.. ووقف بجواري كأخي الذي لم تنجبه أمي.. كان متأكدًا من براءتي بشدة.. وقف أمام الجميع وضد الجميع من أجلي.. كنت أشعر بالخجل من نفسي كلما رأيته أمامي يدافع عني ويصفني بطهارة اليد.. لم يكن شيء يحز في نفسي إلا ذلك.. شعرت بأني أخدعه وخنت ثقته بي؛ لهذا كنت أصمم على براءتي حتى لا يضيع مجهود مازن هكذا.. ولكن مهما حاولت أن أبرئ نفسي من القذارة لم أستطع؛ لأنها طالتني وتعلقت بعنقي.. وتحت ضغط الأدلة والبراهين والتحقيقات لم أجد بدًّا من أن أعترف بكل شيء.. لأنهم أعدُّوا جميع الأدلة ضدي.. وهنا صرخت بأعلى صوتي: «لن أسقط بمفردي.. إذا سقطت فسوف يسقط الجميع معي». واعترفت بكل شيء وعلى جميع مَن شارك معي في الفساد وأباطرة الفاسدين.. وصرخت بقوة: «عليَّ وعلى أعدائي».. ولكنهم أفلتوا من العقاب ولم يغرقوا مثلي؛ لأنهم عاشوا في مستنقع الفساد هذا كثيرًا ويعلمون جميع حدوده وخباياه.. لكنني حديث عهد بفساد فغرقت في وحله سريعًا وبت في أعماقه.. تحملت وحدي أوزاري



وأوزار غيري وأصبحت الملوم الوحيد على ما جرى.. وعلى الرغم من اعـترافي بعد تأكدي من عدم القدرة على الهرب من مصيري.. ولكن لم يصدق السـيد مازن مـا حدث وظل يصر أني بـريء ومرغم على قول ذلـك.. أصر عـلى أن يقابلني باسـتمرار وكنت أرفـض مقابلته دائمًا.. وزوجتـي أخبرتني أنـه ما زال يدافـع عني بالخارج.. شـعرت بتأنيب الضمـير لاسـتمراري في خـداع هـذا الرجل عـلى الرغم مـن اعترافي بالفعـل بـكل شيء.. فطلبت مقابلته.. وواجهنـي وجهًا لوجه.. كنت أتحاشى النظر إلى عينيه في حينها وأنا بداخل زنزانتي الحقيرة.. حدثني فقط بجملة واحدة: «هل فعلت ذلك حقًّا؟». رفعت رأسي له ونظرت إليه بعيون تحمل الخزي والندم وأطرقت برأسي نعم.... فرمقني بنظرة لن أنسـاها ما حييت.. نظرة شـخص مخدوع في أقرب الناس إليه.. ولم أره من حينها حتى الآن.. مرت عدة أشـهر في التحقيقات وتم الحكم عليَّ بالسـجن لمدة عشر سـنوات كاملة.. قضيت منها خمس سنوات.. خمس سـنوات في غياهب السـجن بعيدًا عن أحضان زوجتي وملامح ابنتـي.. أرافق أرذل الخلق وأصحاب أحـط الصفات.. أعامل معاملة العبيـد وآكل فضـلات الطعام.. خمس سـنوات أضاعـت مني عمري وشـبابي.. تعلمـت فيها أن أموال العالم كله لا تسـاوي ليلـة دافئة على سريـري وسـط أسرتي وضحـكات ابنتـي.. لقد دفعت ثمـن أخطائي خـلال السـنوات الخمـس تلـك.. ثم تـم الإفراج عني لحسـن السـير والسلوك.. عدت إلى جهينة مرةً أخرى أحمل خزي العالم وندم الماضي فوق رأسي.. وأقسـمت بأني سـوف أعيـش حياة هادئـة وعاديَة، ولن أخالـف القانون أبدًا مـرةً أخرى ما حييت.. ولكـن لم تقم الدنيا بفتح

أحضانها لي كما تخيلت.. لم يغفر لي العالم ثمن خطيئتي تلك.. لم أجد ترحيبًا من الأقارب أو الأصدقاء.. لم يتقبلني أحد إلا زوجتي الحبيبة.. وابنتي الصغيرة التي لم تتعرف عليَّ ولم أعرفها إلا من قريب.. لم أجد إلا بعض الأموال القليلة التي تبقت من ثروتي ومنزلي هذا الذي أعيش به في جهينة.. وفوجئت بوجود أمر من مازن بأن أغادر جهينة لأنها لا تؤوي المجرمين.. أخذت أدافع عن نفسي في كل مكان، لقد قضيت عقوبتي وأخذت جزائي؛ لماذا لا تريدون الاعتراف بي مرةً أخرى؟ أخبروني بأني أعلم جيدًا قوانين جهينة وأهمها أن جهينة لا يعيش بها مجرمون، هذا أهم قانون بجهينة.. هنا تمسكت بحقي في العيش بمنزلي.. فهو ملكي ولا يوجد أي مانع قانوني للعيش به.. ومع شدة إصراري على العيش بجهينة.. أطلق عليَّ مازن لقب منبوذ».

سأله رامي سريعًا بفضول: «وماذا يعني بأنك أصبحت منبوذًا».

أجابه سرور وهو ينظر إلى زوجته حزينًا: «يعني أن أنبذ من أهل المدينة كلها.. لا أستطيع أن أتعامل مع أحد من أهلها.. لا يكلمونني.. لا يبيعون أو يشترون مني.. لا يتعاملون مع زوجتي أو عائلتي.. قاطعوني كليًّا.. كأني لست موجودًا.. كل ذلك لكي يجبروني على ترك جهينة.. لأني في نظرهم أصبحت مجرمًا لا أستحق العيش بها.. اضطررت إلى أن آتي بطعامي وشرابي من خارج المدينة.. ابنتي تقطع كل يوم 7 كيلومترات لكي تذهب إلى الروضة في المدينة القريبة منا.. الصبية والأطفال يستمعون إلى حديث آبائهم الكريه عنا كل يوم فيأتون في ظلمة الليل ويلطخون أسوار المنزل بالألوان والكلمات



البذيئة.. النساء تلقي قمامتها ومخلفاتها أمام منزلنا.. هذا بعض الذي يحدث لك عندما تكون منبوذًا في جهينة.. وعلى الرغم من ذلك كله.. ما زلت أحب جهينة وأهلها.. وأعلم أنه إن آجلًا أو عاجلًا سوف يغيرون وجهة نظرهم عني».

تنهد سراج بقوة ثم هب واقفًا.. فوقف الجميع احترامًا له.. فمد يده وصافح سرور وهو يطمئنه: «أنا أعلم يا سرور أنك أخطأت في حق نفسك أولًا ثم في حق زوجتك وأهل مدينتك.. ولكني أعلم أنك تدرك أنك أخطأت، وأعلم أنك دفعت ثمن غلطتك من عمرك ومن حريتك.. الجميع يخطئ ويحاسب.. وعلينا أن نصفح ونسامح.. لا تقلق.. لن أصمت على وضعك ووضع المنبوذين هكذا.. سوف أغير هذا الأمر قريبًا».

ابتسم سرور يائسًا: «أنا أقدر شعورك هذا يا سيد سراج.. ولكنك لا تعلم مازن مثلي.. بالنسبة له إن قوانين جهينة شيء مقدس يستحيل تدنيسه».

ربت سراج على كتفه وهو يصافحه بيده: «أنت الذي لا تعلم من هو سراج توفيق.. شاكر لك استضافتنا.. وأتأسف على إزعاجك في الليل هكذا».

ابتسم سرور بفرح وتنفس الصعداء.. «لا يا سيد سراج.. لقد شرفتنا بحضورك اليوم بالفعل».



ثم تقدم سرور وزوجته إلى باب الغرفة ليستقبلا سراج ورامي عندما خرجا منها، وعندما اقتربوا من باب المنزل سأل سراج سرور: «هل ما زال هناك منبوذون غيرك في المدينة؟».

«نعم.. ولكنهم لم يستطيعوا الصمود في وجه مازن وأهل المدينة وغادروها جميعًا.. إلا شخصًا واحدًا فقط.. فتاة وحيدة ما زالت تسكن بالمدينة مثلي.. وأنت جعلتني أتذكرها وأتحسر الآن؛ لأني كنت أعاملها بطريقة سيئة مثل باقي أهل المدينة.. ولكني أدركت شعورها الآن».

سأله رامي سريعًا: «ما اسم تلك الفتاة؟».

«اسمها أميرة».

ابتسم له رامي: «حسنًا.. شكرًا لك».

ثم نظر إلى زوجة سرور وحدثها: «شكرًا لك يا سيدتي على تلك المخبوزات.. فلقد كنت أتضور جوعًا».

فابتسمت له: «بالهناء والشفاء». خرج رامي وسراج وأغلق سرور الباب خلفهما.

خرج سراج مسرعًا من البناية وخلفه رامي يلحق به وهو يحدثه: «منبوذون.. شيء غريب.. هل ما زال أحد في عصرنا هذا يفعل ذلك؟».

ضحك سراج وهو يسرع في مشيته جهة كريم وسيارته: «نعم.. جهينة بدأت في الكشف عن أسرارها».



ثم دلفا إلى داخل السيارة وانطلق بهم كريم مغادرًا سريعًا.

* * *

الساعة 11 مساء.. وقف مازن أمام منزل متولي وقام بالطرق على باب منزله عدة مرات.. وسرعان ما فتح متولي الباب وفوجئ بوجود مازن أمامه فحدثه مندهشًا: «العمدة.. ماذا تريد؟ إذا كنت أتيت حتى تتحدث عن اجتماع الغد.. فأنا آسف.. لا أستطيع أن أفعل شيئًا.. هذا أمر بيد مجلس المدينة وليس في استطاعتي إثناؤهم عن آرائهم».

لم يتحدث إليه مازن حينها.. كل ما فعله أنه قام بإخراج «كارت» ذاكرة صغيرة.. أعطاها لمتولي.. فنظر إليه متولي مندهشًا للحظات.. ثم مد يده وأمسك «كارت» الذاكرة بيده وحدثه بفضول: «ما هذا؟».

ابتسم مازن بخبث: «استمع إلى الحديث الذي على هذا «الكارت».. ونصيحتي لك أن تسمعه بمفردك.. سوف أنتظر تعاونك الكامل بالغد».

ثم أعطى ظهره لمتولي وغادر بصمت.. راقبه متولي وهو ينصرف من أمامه حتى اختفى عن عيونه وأخذ يقلب «كارت» الذاكرة في يده للحظات ثم ابتسم ساخرًا: «هذا الأحمق.. لم يدرك بعد أن نجمه الساطع قد أفل». ثم تنهد بقوة وأغلق باب منزله وعاد إلى الداخل.





عاد كريم بسيارته إلى البناية التي يسكن بها سراج ورامي وأنزلهما سريعًا ليفاجأ بوجود العالم عصام يقف أمامه في انتظارهم على باب البناية في ضيق: «أين كنتم؟ لقد انتظرتكم طويلًا».

فسأله سراج: «لماذا تنتظرنا أمام المنزل هكذا؟».

حدثه رامي مندهشًا: «لماذا لم تتصل بنا إذا كنت تريدنا بسرعة هكذا؟ وكنا سوف نأتي إليك في الحال!».

حدثه متأففًا: «هذا ما كنت أحاول فعله منذ وقت طويل.. ولكن لا يوجد أي شبكة بالهاتف ولا يوجد «إنترنت» أيضًا.. لقد شعرت بأني أعيش في غياهب العصور الحجرية من جديد.. هل في عصر الاتصالات.. لا أستطيع الاتصال؟».

أجابه كريم مستغربًا: «نعم، لقد لاحظت ذلك أيضًا.. لا توجد أي شبكة بهاتفي».

تفقد رامي هاتفه للحظات فلم يجد به شبكة هو أيضًا: «وأنا نفس الأمر.. ماذا يحدث؟».

شعر سراج بالاضطراب؛ لأنه هو الوحيد الذي يعلم أنه قد تم فصل شبكة الهاتف و«الإنترنت» عن المدينة بأكملها.. فتحدث إلى عصام وهو يسحبه من يده داخل المبنى: «حسنًا، سوف أصحبك الآن وأخبرني عن كل ما تريده».

وتتبعهما رامي إلى أعلى واستأذنهم كريم: «سوف أذهب الآن وإذا أردتم مني أي شيء ولم تستطيعوا الاتصال على هاتفي.. فليأت إليَّ



أي شـخص، فإني أسكن بالطابق الثاني في هذا المبنى أمامكم». واتجه بسيارته إلى البناية المقابلة لهم.

صعد سراج وعصام ورامي إلى شـقة سراج.. وهنا أخبرهما عصام بما يجول في رأسـه: «حسـنًا.. لقد قمت باختبار العينات التي أحضرتها وجميعهـا كانـت إيجابيـة.. جميعهـا مـن الذهـب الخالص النقي بنسبه 100 ٪، وهذا كما أخبرتكما شيء مسـتحيل وجوده في الطبيعة، يجب أن يكون تم بيد بشرية».

ابتسم رامي ساخرًا: «مدينة بلا جريمة لمدة 30 عامًا.. ومنبوذون.. وسفينة ومقاتلو فايكنج.. وكتلة من الذهب بحجم 9 أطنان.. ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟».

ظل سراج يفكر بعمق في حديث رامي، بينما تساءل عصام بفضول: «مَن المنبوذون هؤلاء؟ اشرح لي».

هنا استغل سراج هـذا الأمر «حسـنًا.. اشرح للدكتور عصام كل شيء يا رامي.. ولكن في شقتك؛ لأني أرغب في النوم الآن».

شـعر رامـي بالإحـراج فابتسـم: «جيد.. جيـد.. هيا بنا يـا دكتور عصام.. سـوف أحكي لك عن المنبوذين.. وأنت تحكي لي عن ناسـا.. هل وجدتم فضائيين بالفعل؟».

ضحك عصام وهو يخرج من باب المنزل ويصحبه رامي وانهمكا في الحديث.. ظل سراج يراقبهما حتى سمع أصوات أقدامهما مبتعدة على الـدرج، وتوجه سريعًا إلى حقيبة وسـط حاجياته، وأخـرج منها هاتفًا



حجمه كبير قليلًا، وسحب اللاسلكي المعدني المعلق به إلى أعلى وقام بالضغط على بعض الأرقام.. وتحدث إلى مأمون في الحال.. «ألو.. كيف حالك يا سيادة اللواء؟ نعم، بالفعل جميع هواتف المدينة معطلة الآن و«الإنترنت» أيضًا.. ولا يوجد أي وسيلة للاتصال بالخارج إلا الهاتف الفضائي الذي أتحدث منه الآن.. لقد جدت تطورات جديدة ومهمة في مدينة جهينة، ووجدت لهم بعض القوانين والطقوس الغريبة». قاطعه مأمون في الحال.. «هل الذهب حقيقي؟ هل انتهى الدكتور عصام من الاختبارات؟».

أجابه سراج في عبوس: «نعم.. لقد أثبت بأن هذه الكتلة الضخمة من الذهب الخالص بالفعل».

حدثه مأمون بلهفة: «هذا خبر رائع.. خبر رائع.. يجب أن تشدد الحراسة على الذهب جيدًا، وبالغد سوف يتم نقله من المدينة.. ثم بعد ذلك فلتقم بالتحقيقات التي تريدها كما يحلو لك».

«حسنًا يا سيادة اللواء.. عُلِم ويُنفذ».

«شيء آخر.. زوجتك الحمقاء أخبرتني أن أذكرك بأن تأكل جيدًا وألا تنسى الطعام كعادتك».

ضحك سراج بشدة: «أخبرها بأني لن أنسى.. وأرسل لها قبلاتي».

صاح به مأمون مداعبًا: «ماذا تقول أيها الأحمق؟! لا تنس أني لا أزال أباها أيها الوغد.. هيا دعني أذهب للنوم.. سلام». ضحك سراج وهو يغلق الهاتف: «سلام يا سيادة اللواء».

ألقى سراج بالهاتف على الطاولة بجواره وأخذ يحدث نفسه: «سوف نتخلص من ذلك الذهب الذي يعوق تحقيقاتي، وأبدأ في الكشف عن هذا اللغز الكبير الذي أمامي.. يجب أن أعلم ماذا يحدث بجهينة بحق الجحيم».

* * *





أمطار ولكن..

في صباح اليوم التالي وقفت جموع وحشود كبيرة من أهل جهينة يراقبون أحد الأوناش الضخمة وهو يتجهز برافعته لكي يحمل قطعة الذهب الضخمة التي بريقها مازال يعمي العيون المتأهبة المتحفزة.. أصوات الهمهمة والحديث عن مصير هذا الذهب الضخم تكاد تغطي على أصوات الآلات والتروس العملاقة المثبتة في ذلك الونش الضخم.. والجنود تحيط بالأهالي كرادع لمن تسول له نفسه بالاقتراب من عملية نقل الذهب التي تتم الآن.. ويقف بالقرب من قطعة الذهب العقيد سراج ومازن عمدة المدينة وخلفهم على بعد قليل يقف رامي يسجل بعينيه جميع ما يحدث، وبيده يدون أفكاره على هاتفه النقال ويأخذ بعض الصور للجميع، وكريم يقف بجواره يراقبه ويشاهد ما يفعله في صمت.. أما عصام فكان يقف مع العمال يراقبهم وهم يضعون الحبال المطاطية الضخمة حول قطعة الذهب بكل قوة ويلفونها بسرعة وحرفية.. قطع هذا المشهد فجأة حديث مازن المتردد إلى سراج وهو يعطي له قطعة حلوى.. فرفضها سراج بأدب.. فتناول مازن الحلوى سريعًا.. ثم باغته بسؤاله الذي كان يتردد في طرحه كثيرًا.. «كنت أرغب يا سيد سراج في معرفة ماذا سيحدث لكل هذا الذهب».



أجابـه سراج بلا مبالاة.. «لا أعلم يا سـيد مازن.. كل مهمتي هي مراقبـة عملية نقل الذهب إلى خارج مدينة جهينة.. أما باقي التفاصيل فلم أطلع عليها بعد.. ولكن لماذا تسأل هذا السؤال؟».

تنحنـح مـازن في اضطراب.. «حسـنًا.. إحم.. أنـا.. أنا كنت فقط أريـد أن أنقل لك رغبـة أهل جهينة في معرفة مصير حصتهم من هذا الذهب».

رمقه سراج بنظرة مندهشة.. «ماذا؟ حصتهم.. حصتهم في ماذا؟».

شـعر مازن بالاضطـراب أكثـر.. «حسـنًا.. إحم.. ألم تجـدوا هذا الذهـب هنا في جهينـة؟ فهو يعتبر ملكيـة لأهل جهينـة.. مثلما يحدث عندمـا يجد أحد بترولًا أو كنزًا في أرضه.. أهل جهينة أيضًا يريدون أن يحصلوا على نصيبهم من هذا الكنز الذي وجدتموه على أرض جهينة».

ابتسـم سراج وهـو يرفع حاجبه الأيسر ولم يعقـب على مازن الذي تابـع حديثـه.. «بالطبع أنا أعلم بـأن هذا الذهب سـيذهب إلى الدولة المصرية.. وسـوف يسـاعدها على التعافي في اقتصادهـا.. ولكننا أيضًا نريد جزءًا من هذا التعافي.. وبالطبع لا نريد جزءًا كبيرًا.. فأهل جهينة ليسوا بجشعين.. يكفينا عشرة بالمائة من هذا الذهب».

ظل سراج يومئ برأسـه وهو يرفع حاجبيه ويستمع إلى مازن الذي ازداد اضطرابًا وتلعثمًا وهو يحدثه.. «حسـنًا.. إذا كنت ترى بأن عشرة بالمائـة كثير.. فليكن أقل من ذلك.. أي نسـبة حتـى ولو كانت قليلة.. حتى يشعر أهل جهينة بالرضا والاطمئنان».



ابتسم سراج ساخرًا.. «امم.. وهل هذا الأمر من رأسك أنت.. أم من أهل جهينة؟».

حدثه مدافعًا.. «لا بالطبع، هذا الأمر ليس من رأسي.. أنا فقط أنقل لك رغبة أهل جهينة.. أتحدث بلسانهم ليس أكثر من ذلك.. هذا واجبي كعمدة لأهل جهينة».

أومأ سراج برأسه له للحظات.. «وهل أيضًا كنت تتحدث بلسان أهل جهينة عندما قمت بنبذ سرور وغيره من أهل المدينة؟».. نظر له مازن بتحدٍّ.. «ماذا تعني بكلامك يا سيد سراج؟».

حدثه سراج بلهجة حادة «أنا أعي ما تفعلونه أنت وأهل المدينة في سرور وغيره من المنبوذين.. لماذا تعاملونهم هكذا؟ ولا تحاول الإنكار.. لقد كنت في منزل سرور بالأمس ورأيت ماذا يحدث معه بأم عيني».

ضغط مازن على أضراسه غاضبًا وحدثه بحنق «أمرك غريب يا سيادة العقيد.. هل تلوم أهل مدينة أبرياء لعدم رغبتهم في وجود مجرمين بينهم؟.. هل هذا شيء غريب؟».

«نعم هذا شيء غريب بالطبع.. لا يوجد أحد في هذا العالم لا يخطئ، ولو فعلنا مثل ما تقول ونبذناهم ما استطاع أحد أن يعيش في أي مكان».

«لا بل استطعنا فعل ذلك في جهينة تحت إمرتي.. نحن نعيش في بلاد بلا جريمة لأكثر من عشرين عامًا.. ولولا هذا الوغد وأمثاله.. لظلت



المدينة هكذا إلى الأبد.. مدينة آمنة متكاملة.. لا يوجد بها فقير أو لص أو خارج عن القانون.. الأطفال يمشون آمنين.. لا يوجد شيء يخدش الحياء في الطرقات.. لا توجد أي مضايقات لأي فتاة أو سيدة من أي نوع.. استطعت أن أجعل من جهينة مكانًا آمنًا وسعيدًا للجميع.. لماذا الكل يحاربني؟ أتوقع أن يحدث ذلك من المجرم سرور وأمثاله من المجرمين، هذا متوقع بالتأكيد.. ولكن أن يصدر هذا الحديث من رجل قانون مثلك.. وظيفته هي إبعاد المجرمين إلى السجون وفصلهم عن المواطنين الآمنين، فهذا هو الشيء العجيب».

تنهد سراج بقوة وحاول أن يتحدث إلى مازن باللين.. «اسمعني جيدًا يا سيد مازن.. إن ما أقوله الآن ودفاعي عن سرور وأمثاله ناتج عن عملي الطويل في قوات تنفيذ القانون ومخالطتي بالمجرمين.. بالطبع أنت لديك وجهة نظر محترمة للغاية.. وهو ألا يخالط المجرمون المواطنين الأبرياء.. ولكن هذا شيء أشبه بالمستحيل.. فالجميع يخطئ ويكسر القانون بشكل أو آخر.. لا توجد مدينة فاضلة.. لا توجد مدينة بلا خطيئة.. تذكر نحن نعيش على الأرض وليس في الجنة.. هذه دنيا ودار ابتلاء.. فنحن سنخطئ فهذا من طباع البشر.. ومن المحتم علينا أن نحاول أن نتوب ونحاول التكفير عن أخطائنا ونحاول إصلاحها.. تذكر أن الله غفور رحيم».

قاطعه مازن بحدة.. «ولكني لست الله لكي أسامحهم».

تعجب سراج من رد فعله فهو كان يتوقع من فئة المتدينين وحدثه من منطلق ذلك.. «حسنًا.. أنا معك أننا لسنا آلهة.. نحن في النهاية



بشر.. نصيب ونخطئ.. وعندما يخطئ شخص ويعتذر ولا يجد استجابة من الذي اعتذر له ماذا سيفعل.. سوف يعاند ويكابر ويتمادى في خطئه أكثر وأكثر.. لأنه يعلم بأنه لا يوجد من يسامحه ويغفر له.. وهذا ما يحدث للمجرمين التائبين.. أنا أعرفهم من نظرة واحدة وسرور بالتأكيد واحد منهم.. إذا لم يجد من يسامحه في المجتمع ويرغب في أن يعيش بينهم مرةً أخرى واعتبروه منبوذًا.. ماذا سيحدث؟.. سوف يتحول بالتدريج إلى مجرم بالفعل ناقم على هذا المجتمع الذي نبذه.. يتمنى أن يستطيع إيذاءهم بكل الطرق مثلما قاموا بإيذائه.. سوف تحول بيدك شاة ضالة من القطيع إلى ذئب شرس يفتك بهذا القطيع.. إن ما أقوله لك عن تجربة وخبرة كبيرة مما رأيته في مجال تطبيق القانون».

رمقه مازن بنظرات ممتعضة وأجابه بكلمات مقتضبة.. «نحن هنا بجهينة نحترم القانون بعكسك أنت.. إذا لم تشعر بالراحة لذلك فهذا ليس من شأني.. أهل جهينة أدرى بشئونها.. ما أريد أن أعلمه منك هو مصير الذهب الخاص بجهينة فقط».. شعر سراج بالغضب الشديد من نبرة مازن ولكنه ابتلع غضبه في حلقه وأجابه بكلمات مقتضبة أيضًا «سوف أبلغ رؤسائي بما قلته لي.. وسوف ننتظر ردهم على هذا الأمر فيما بعد».

ثم ابتعد سراج في غضب بعيدًا عن مازن وتوجه جهة عصام الذي كان مازال يتابع تجهيزات نقل الذهب وبادر بسؤاله: «هل انتهت التجهيزات؟».



أومأ برأسه سريعًا «نعم . كل شيء انتهى وسيتم النقل الآن».

ثم أعطى إشارة من يده إلى سائق الونش فابتعد العمال عن قطعة الذهب التي غُطِّيت بالأحبال المطاطية الضخمة حولها.. وبدأ السائق بسحب يد الرافعة بالعربة أمامه لتبدأ في سحب قطعة الذهب الضخمة من مكانها وعيون الجميع متربصة لتلك اللحظة التي سينتقل بها الذهب إلى خارج جهينة إلى الأبد.

وهنا حدث شيء غريب للغاية.. ظلت الرافعة تسحب قطعة الذهب بقوة ولكنها لم تستطع أن تحركها من مكانها قيد أنملة.. ظل السائق يحاول أكثر من مرة أن يرفع هذه القطعة ولكنه لم يستطع.. ولم تتحرك قطعة الذهب من مكانها أبدًا.. وظل الأمر هكذا لعدة دقائق.. وبدأ يشعر الجميع بأن هناك شيئًا خاطئًا وتعالت الهمهمات.. هل لم تستطع الرافعة أن تحمل كتلة الذهب تلك؟!.. هل هذا يعقل؟!.. توجه عصام إلى السائق متسائلًا.. «ماذا هنالك يا أسطى؟.. لماذا لا ترفع تلك الكتلة؟».. أجابه السائق مندهشًا «لا أعلم.. الرافعة لم تستطع أن تحملها، لقد قمت بمحاولات كثيرة.. لكني لم أستطع أن أحركها من مكانها أبدًا».

سأله عصام في الحال «أخبرني ما هو أقصى حجم تستطيع هذه الرافعة أن تحمله؟».

«إنها رافعة ضخمة يا سيدي.. تستطيع أن ترفع 25 طنًّا بشكل سهل.. ولكن لا أعلم لماذا لم تستطع أن ترفع تلك الكتلة ولا أعلم السبب».



ظل عصام ينظر إلى كتلة الذهب مندهشًا وهو يفكر.. «هل كانت حساباتي خطأ وكتلة الذهب تلك أكثر من 9 أطنان أو حتى أكثر من 25 طنًّا كما يقول السائق؟ ولكن الاحتمالات جميعها لا تشير إلا لهذا».

قطع حبل تفكيره هنا صوت شديد للغاية نتج عن تمزق الأحبال المطاطية نتيجة السحب الشديد.. فصرخ عصام سريعًا في الجميع.. «فليرقد الجميع على الأرض الآن».

ثم رقد على الأرض وتبعه العمال في الحال.. وشعر باقي الجمع بالخوف عندما رأوا عصام يفعل ذلك وتحذيره لهم؛ فبعضهم ركض، وبعضهم ألقى بنفسه على الأرض مثل عصام والعمال.. وظلت الرافعة تتأرجح وتتأرجح معها الحبال المطاطية الممزقة وهي تطيح بقوة في أي شيء حولها.. وسادت حالة من الفزع بين الجميع، وعم الاضطراب المكان لعدة دقائق.. حتى توقفت الرافعة وسكنت الحبال المطاطية في مكانها.. هنا وقف سراج من الأرض بسرعة وصرخ في الجنود المضطربين في أن يعودوا إلى أماكنهم.. فعاود الجنود تشكيلهم مرةً أخرى حول الذهب سريعًا.. هنا شعر بعض الفضوليين بالخوف وهموا مبتعدين عن الذهب وما صاحبه من قلق.. ظل رامي يراقب ما يحدث حوله وأخذ يقوم بتصوير الجميع بهاتفه وكريم مازال يقف بجواره يراقبه.. اتجه عصام إلى السائق والعمال وتحدث معهم.. وأشار إليهم بالعودة لمباشرة العملية مرةً أخرى ولكن بتدابير أمنية أكثر حرصًا تلك المرة.. فأبعدوا الجنود والمشاهدين الفضوليين من أهل جهينة بعيدًا أكثر عن مكان العمل وقاموا بوضع كمية من الأحبال المطاطية



أكثر واستبدلوا بالرافعة رافعة أكبر في الحجم قليلًا.. واستغرفت تلك الأشياء عدة ساعات حتى اقتربت الساعة من الواحدة ظهرًا.. وبدءوا في رفع كتلة الذهب من جديد ليحدث نفس الأمر مرةً أخرى.. تمزقت الأحبال سريعًا ولم تستطع الرافعة تحريك كتلة الذهب من مكانها.. وكرروا نفس الأمر ولكن برافعة تستطيع حمل 35 طنًّا ولكن حدث نفس الفشل مرةً أخرى.. وظلوا طوال اليوم يفعلون ذلك ويحضرون رافعات أكبر وبحمولة أكثر.. ولكن يصادفهم نفس الفشل كل مرة وتتمزق الأحبال المطاطية.. حتى عندما استبدلوا بالأحبال المطاطية أخرى فولاذية ولكن النتيجة ظلت كما هي.. ولم تتحرك كتلة الذهب سنتيمترًا واحدًا.. حتى بأوناش ذات قدرة لحمل 50 طنًّا.. هنا شعر الجميع بالضجر وأعلنوا عن فشل عملية نقل الذهب لهذا اليوم.. هذا ما أفصح به عصام.. فتوجه إليه سراج يحاول أن يعلم منه سبب هذا الأمر.. فأجابه عصام سريعًا.. «لا أعلم ولكني سوف أقوم بعمل كشف على طبقة الأرض تحت كتلة الذهب تلك؛ لأنه يبدو أن تلك الكتلة متصلة بشيء ضخم أسفل منها بالتأكيد».

صعق سراج في الحال وبادره بسؤال آخر.. «هل تعني بأن هناك كتلة ذهب أضخم من تلك تحت الأرض يا دكتور عصام؟».. حرك عصام كتفيه مندهشًا: «لا أعلم ولكن لا يوجد تفسير آخر أمامي.. إما أن تكون قطعة الذهب تلك متصلة بقطعة ذهب أكبر تحت الأرض.. وإما أن تكون متصلة بشيء آخر.. ولكنه ضخم للغاية؛ ولذلك يجب أن نكشف عن سطح أرض جهينة بالقمر الصناعي المخصص



بالاستشعار.. وهو سيظهر لنا كل ما هو موجود أسفل هذه الكتلة بالتأكيد».

داعب سراج شاربه بيديه.. «امم.. ما رأيك اختصارًا للوقت بأن نقوم بالحفر أسفل قطعة الذهب تلك لنكتشف ما تحتها؟».. قاطعه عصام في الحال.. «إن ما تقوله هو أمر غير علمي وهو الذي سيضيع وقتنا.. بالأقمار الصناعية سوف نصنع مسحًا كاملًا للمدينة، وسوف نعمل حدودًا وخرائط لكل شيء أسفلنا.. وإذا أردنا الحفر فسوف نعلم أين ومتى وتكلفة ذلك الحفر.. وهذا هو ما سنفعله.. أنا حضرت هنا بصفتي ممثلًا للعلم.. وعلى أساسه سوف نتحرك بخطوات علمية مدروسة.. وإذا لم تنفذوا ما أخبركم به.. أعتقد بأن وجودي هنا سيكون بدون جدوى».

«لا يا دكتور عصام.. أنا لا أقصد ذلك.. حسنًا سوف أبلغ القيادة العليا بكل ما تريد.. سوف نتبع كل ما تطرحه».

«وأنا في ذلك الحال لن أتوانى في المساعدة بكل ما أملك من خبرة ومعرفة.. حسنًا لندع الجميع يتوقف الآن.. لأن أي مجهود يبذل بعد ذلك سوف يكون بلا طائل أو جدوى.. ويجب أن ترى حلًّا لمشكلة قطع الإنترنت والاتصالات تلك.. لا أستطيع أن أكون في مكان منعزل عن العالم هكذا».

أومأ سراج برأسه له وهو يحدث نفسه بضيق.. «يبدو أن مكوثنا هنا سيطول.. أتمنى ألَّا تظهر لنا جهينة شيئًا جديدًا بعد ذلك.. لقد سئمت من مفاجآتها».



ولم يكن يعلم سراج في هذا الوقت بأن جهينة ستظل تفاجئه كثيرًا.. فعند الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم وعندما كانت الشمس تتجهز للمغيب.. وكان يتجهز معها الجميع للرحيل من موقع كتلة الذهب، حدث شيء لم يكن له حسبان؛ حيث امتلأت السماء فجأة بغيوم كثيفة، وهب هواء ضخم ثقيل محمل بالأتربة واخترق بسرعة شوارع مدينة جهينة.. فحاول الجميع التواري عن مسار هذا الهواء المحمل بالأتربة.. وهم مستغربون من حلول هذا الهواء فجأة هكذا.. ثم بدأت السماء بعد لحظات تمطر بغزارة.. أمطارًا كثيرة كثيفة، فأخذ الجميع يلجأ إلى منازله أو إلى أي مكان أسفل أي بناية ليحتمي من هطول ذلك المطر الغزير.. وكان من بينهم عصام ورامي وسراج وكريم الذي ذهب إليهم مسرعا وهو يعرض عليهم أن يغادروا المكان في سيارته في الحال.. وهمَّ الجميع بالانصراف والالتجاء إلى سيارة كريم القريبة ولكن تردد سراج قليلًا عندما رأى الجنود وهم مبللون مثل العصفور الصغير تحت هذه الأمطار الكثيفة وهم يقفون ثابتين حول كتلة الذهب يحرسونها.. شعر هنا جهتهم بالشفقة الشديدة.. فتوقف وعاد إليهم سريعًا.. وتحدث إلى الضابط الذي يرأسهم بلهجة آمرة «فلتذهب لتحضر للجنود الملابس الواقية من الأمطار.. إنهم لا يستطيعون مغادرة هذا المكان.. اذهب الآن وسوف أنتظر هنا مكانك حتى تعود».

شعر الضابط بالضيق وهو يحاول مسح المياه من على ملابسه.. «حالًا يا باشا.. سوف أذهب حالًا».



ثـم تركه وانـصرف وركـب سـيارة للشرطـة مصاحبًا أحد الجنود وانطلقوا في الحال إلى خارج المدينة في مكان تمركز القوات الأساسية.. اقـترب كريـم وهو يحـاول الاحتماء مـن الأمطار.. مـن سراج «هيا بنا نوصلك إلى منزلك يا سراج باشا».

لا.. لـن أذهـب قبل أن أطمئن على هؤلاء المسـاكين.. هم يعملون معنا لخدمة الوطن وليس غايتنا تعذيبهم».

رد عليه كريم سريعًا.. «تسـتطيع انتظارهم وأنت بداخل السـيارة لتحتمي من الأمطار».

أومأ سراج برأسـه رافضًا.. «لا.. سـوف أنتظر معهم هنا.. وأنت اذهب لتنتظر بالسيارة مع عصام ورامي».

شـاهد الجنود موقف سراج معهم وشـعروا بالسرور من معاملتهم بآدميـة.. لأنهم غير معتادين على هذا السـلوك من أحـد قادتهم أبدًا.. لم يعاملهـم أحـدٌ أو يحدثهم أبـدًا كبشر.. إلا سراج في تلك اللحظة.. فابتسـم أحـد الجنود وهـو مبلل بالكامل بـماء المطر ورفع يـده بالتحية العسكرية لسراج.. وهنا شاهده زملاؤه فابتسموا جميعًا ورفعوا أيديهم جميعًا بالتحية العسـكرية لسراج.. فابتسـم سراج مـن موقفهم، وأدى التحية العسكرية لهم هو أيضًا.. فابتسم كريم مما شاهده وكذلك رامي وعصام الذي اقشعر جسده من هذا الموقف وخرج من السيارة وتوجه إلى الجنـود وأخذ يتحدث معهم بود في وسـط الأمطار بجوار سراج.. اندهـش رامي مما يراه وتحدث إلى نفسـه سـاخرًا.. «هـذا موقف مؤثر للغاية.. حسنًا حب الوطن سيصيبنا بالبرد».



ثم هبط من السيارة هو أيضًا وشارك بالحديث الدائر بين سراج وعصام وبين الجنود.. مرت عدة دقائق وهم واقفون تحت تلك الأمطار الكثيفة.. وفي ظل استغراق رامي في الحديث مع أحد الجنود أمامه وجد شيئًا صغيرًا يرتطم برأسه.. وملمسه غريب قليلًا عن ملمس المياه.. ولكنه لم يبالِ.. وأخذ يتابع حديثه في هدوء.. ولكنه شعر بشيء صغير آخر يرتطم بجبهته ويسقط على الأرض.. شعر رامي بالاندهاش فانحنى إلى الأرض وأخذ يلتقطه منها.. ويقلبها بين يديه ليجد أنها أحد أزرار قميص بفتحاته الأربع الصغيرة ولونه أسود.. أخذ يقلب في زر القميص بيده قليلًا ثم ابتسم وألقاه على الأرض مرةً أخرى وابتسم للجندي وهو يحدثه «إنه زر قميص.. هههه.. كنا ماذا نقول.. اه».

ولم يكد يكمل حديثه حتى وجد شيئًا آخر يصطدم بوجهه مرةً أخرى ثم على رأسه ثم على كتفه ثم على يده.. وشيئًا آخر يرتطم بوجهه.. وشيئًا آخر ارتطم بوجه الجندي وسقط على كتفه.. فالتقطه رامي في الحال من على كتف الجندي وقلبه بيده في سرعة فوجده أيضًا أحد الأزرار.. ولكن لونه أبيض وبحجم كبير.. هنا نظر حوله على الأرض ليجد الأزرار منتشرة بكثرة وملقاة في كل مكان وبجميع الأحجام والألوان المختلفة.. فشعر بالاندهاش الشديد ونظر حوله فوجد الجميع ينظر إلى السماء.. فنظر إلى السماء هو أيضًا ليجد شيئًا غريبًا وعجيبًا حقًّا.. لقد وجد أن السماء تمطر أزرارًا بالفعل.. يسقط من السماء أزرار مع المطر.. أزرار بيضاء وحمراء وسوداء وزرقاء..



جميـع الألوان والأحجام تسـقط مـع المطـر.. الأرض أصبحت ممتلئة بقطع الأزرار المختلطة بماء المطر.. وقف الجميع مشـدوهًا مصدومًا مما يحـدث.. وكان أكثرهم صدمة وفضولًا هو عصـام الذي يقف بصفته عالمًا ويشـاهد هذا الموقف الغريب والعجيب يحدث أمامه.. ظل واقفًا واجمًـا ينظـر إلى السـماء وهو يتلقف قطـع الأزرار المختلفـة على وجهه وجسـده يكاد يشـعر بالجنـون المصاحب بالفضـول.. نظر إلى الأرض في الحـال ثـم مال عليها وأخذ يغـترف بملء كفيه عـددً كبيرًا من تلك الأزرار ووضعهـا في جيوبـه بسرعة وأخذ بعضهـم يتفحصها ويقلبها ويتلمسـها ويحللهـا.. بينما ظل الجميـع في اضطراب ممـا حدث.. فهم يقفـون تحت سـماء تمطـر مياهًـا وأزرارًا فوق رءوسـهم.. نظـر الجنود مرتاعـين إلى سراج قائدهـم الذي كان مثلهم يشـعر بالخوف الشـديد من هذا الأمر.. نعم الخوف والفضول والدهشـة، تلك كانت مشـاعر جميع من كان هناك في تلك اللحظة.. جميعهم هكذا إلا شخصًا واحدًا فقـط.. إنه رامـي الذي كان يشـاهد ما يحدث وارتسـمت فوق وجهه ابتسـامة كبـيرة.. بدأ الذعر يدب في شـوارع وطرقـات مدينة جهينة.. وبـدأت المنـازل تمتلـئ بالهمهـمات، والأطفـال والسـيدات يقفون في نوافذهم وهم يمدون أيديهم يشـاهدون هذا المشهد الغريب أمامهم.. ظلت السماء تمطر ماء وأزرارًا لمدة عشرين دقيقة.. ثم توقفت فجأة كما أمطرت فجأة.. وسـطعت أشعة الشمس التي كانت تميل إلى المغيب.. لتظهـر أشـعتها الأزرار التي كانت تغطي المدينـة بأكملها.. تراها فوق البيوت والمنازل وأسطح السيارات وعلى الأشجار.. امتلأت الشوارع بالأطفال وبأهل المدينـة من الفضوليين يتحركون في المدينة ويتخطون



بأرجلهم الأزرار الغريبة التي كانت مبللة بالماء ومختلفة الألوان وأشعة الشمس منعكسة فوقها فكونت مشهدًا بديعًا غطى أرض المدينة بأكملها.. بدأ الأطفال في التجمع واللعب بالأزرار وإلقائها على بعضهم في فرح، وأخذوا يلعبون ويلهون.. وأهاليهم يراقبونهم مبتسمين.. وأخذ بعضهم مشاركة الأطفال واللعب معهم.. وبعضهم ظل ينظر إلى هذا الأمر بخوف شديد ويصفه على أنه مشهد من مشاهد نهاية العالم بالتأكيد.. فلا يوجد أي شيء طبيعي أبدًا فيما حدث منذ قليل.. وأخذوا يتشاءمون ويتذمرون.. وهنا حدث شيء أغرب من ذلك.. فجأة سمع الجميع أصوات نعيق قوي يصدر من سماء المدينة.. فتعلقت أعين الجميع بالسماء ليروا شيئًا أكثر غرابة مما شاهدوه منذ قليل.. المئات من الغربان السوداء المعروفة التي تنعق باستمرار وتدور حول نفسها في سماء المدينة.. شعر معظم أهل المدينة بالخوف الشديد.. فدائمًا ما تكون الأغربة نذير شؤم للبشر.. فتخطفت الأهالي أطفالها من الشوارع واختفوا بداخل المنازل خوفًا من حدوث شيء مخيف بعد لحظات.. وأخذت ألسنة الجميع تصدح بالدعاء والرجاء، والخوف والقلق يغزوهم.. وكان مثلهم بالطبع سراج ورامي وعصام والجنود.. جميعهم أخذ يترقب تلك الغربان وهي تحلق في السماء وتملأ الدنيا صخبًا بنعيقها.. ثم بدأت أسراب منها تهبط إلى الأرض حولهم وتلتقط الأزرار بمناقيرها ثم تعود لتطير بها مرةً أخرى.. وهبط سرب كبير منها فوق الجنود وسراج ورفاقه.. فشعر الجنود بالاضطراب والخوف منها عندما وجدوا المئات من تلك الغربان تحيط بهم.. فسحبوا أسلحتهم ووجهوها تجاهها وأخذوا يصرخون هلعًا..



وحولهم الغربان تحوم وتنعق بأصوات مخيفة.. في تلك اللحظة صرخ بهم سراج في الحال.. «لا تخافوا.. لا تخافوا.. لا تطلقوا النيران حتى لاتصيبوا أحدًا من زملائكم أو من أهل المدينة».

فصرخ به أحد الجنود.. «ماذا نفعل يا باشا؟».

هنا تدخل عصام في الحديث وهو يصرخ بصوت عالٍ ليسمعوه «افتحوا زر الأمان في أسلحتكم حتى لاتطلقوا النيران بالخطأ على أحد منكم.. وتجهزوا إذا اقتربت منكم تلك الطيور وهاجمتكم.. فاضربوها بمقابض أسلحتكم».

فصرخ بهم سراج سريعًا.. «افعلوا مثلما أخبركم الدكتور عصام الآن».

فامتثل الجنود إلى أوامرهم وبدءوا في تنفيذها.. وفي تلك اللحظة انقض أحد الغربان على قبعة أحد الجنود واختطفها وطار بها بعيدًا.. فصرخ الجندي خائفًا.. فحدثهم كريم في الحال.. «ليهبط الجميع على الأرض حتى لاتهاجمنا تلك الغربان».. فأجابه عصام.. «نعم.. نعم.. هذا أفضل.. لأن الغربان لاتخشى من البشر، ومن الممكن أن تهاجمنا؛ لأنها بأعداد كبيرة.. الأفضل أن نهبط على الأرض حتى لا نكون أهدافًا سهلة لها».

وبالفعل هبط الجميع على الأرض وأخذوا يزحفون بعيدًا عن أماكن تجمع تلك الغربان.. التي كانت تطير محلقة فوق رءوسهم وفي بعض اللحظات تهاجم أحد الجنود.. ثم تفر هاربة عندما



يقاومها.. ومعظم الغربان تقوم بالتقاط الأزرار بمناقيرها وتطير إلى بعيد.. وبعضها أخذ يتجول في الشوارع بلا هدى.. وانتشرت تلك الغربان في أنحاء المدينة لعدة ساعات.. كان الظلام قد حل بالمدينة.. فتوقفت الغربان عما تفعله وأخذت تتحرك في وسط المدينة ومعظمها فوق الأشجار والمنازل.. ولم يحدث شيء بعد ذلك.. واستطاع بعض السكان الذهاب والعودة في المدينة بطريقة عادية، وكثير منهم اتجه إلى كبار عائلات المدينة الذين اتجهوا بدورهم إلى العمدة مازن.

* * *

في التاسعة من ذلك اليوم.. تجمع العشرة الكبار من عائلات جهينة في منزل مازن للاجتماع المتفق عليه منذ أمس وكان من بينهم متولي مساعد مازن الذي كان يتلافى النظر إلى مازن طوال الاجتماع.. بدأ مازن حديثه إلى أهل جهينة وهو يحاول أن يطمئنهم بأن كل شيء تحت السيطرة ولا يوجد ما يدعو للخوف.. لكن كلمات الاطمئنان تلك ضاعت في وسط عبارات الاستهجان التي بدأت تخرج من أفواه كبار العائلات.. وصرخ بيومي مساعده الثاني بحنق شديد على مازن وهاجمه بشدة.. «كيف تخبرنا بكل وقاحة يا سيد مازن بأن كل شيء تحت السيطرة.. الجميع خائفون مرتاعون.. لا يوجد شيء طبيعي يحدث في هذه المدينة بعد الآن..» السماء تمطر أزرارًا.. والمدينة ممتلئة بالغربان.. هذا غير ظهور الذهب وتلك السفينة الغامضة.. ما الطبيعي في هذه الأمور؟ بعض أهالي المدينة بدءوا في حزم أمتعتهم ويريدون مغادرة المدينة.. وكل ذلك بسببك أنت.. أنت الذي فشلت في أن تقوم



بمهامك في الحفاظ على المدينة وأهلها.. أنت لا تصلح في منصبك بعد الآن.. وأنا أول شخص يدعوك للتخلي عن منصب عمدة المدينة.. وأعتقد أن الجميع موافقون على ذلك».. هنا طرق متولي المنضدة بقبضته بعنف وهب واقفًا يصرخ بهم.. «ما هذا الهراء الذي تتحدثون به؟ كيف يكون السيد مازن هو سبب كل ما يحدث لنا؟ كيف هذا؟ أجننتم؟ ما ذنب السيد مازن في كل تلك الأحداث المريبة؟ إنه مثلكم بالضبط لا يعلم ماذا يحدث وما ألمَّ بالمدينة.. ماذا بيده أن يفعل أكثر مما فعل؟ الشرطة بنفسها موجودة ولا تستطيع أن تكشف غموض ما يحدث.. فكيف نلومه هو.. هل نسيتم كيف قاد السيد مازن مدينة جهينة طوال 30 عامًا لم يحدث خلالها ما يعكر صفو حياتنا الرائعة؟.. هل نسيتم كيف كانت مدينة هادئة وسعيدة؟ كيف كان الجميع حولنا يحسدوننا على معيشتنا ويرغبون في أن يكونوا من أهل جهينة؟.. هل نسيتم كل ذلك الآن أيها الملاعين.. يا ناكري الجميل؟».

ابتسم مازن بخبث وهو يشاهد متولي وهو يدافع عنه بشراسة.. بينما اعتلت وجوه الجميع ملامح الاندهاش والصدمة.. وهم يتساءلون كيف تحول متولي هكذا.. فلقد كان بالأمس من أشد مهاجمي مازن وأخذ يحرضهم عليه دائمًا.. كيف أصبح هو من يدافع عنه الآن.. وكان أكثرهم صدمة وغضبًا بيومي الذي هاجم مازن أولًا؛ فصرخ بمتولي حانقًا مستنكرًا ووجهه ممزوج من الحمرة بسبب غضبه الممزوج بخجله.. «أنت الذي تدافع عنه الآن.. هل نسيت أنك كنت أول



من هاجمه وصرخت بملء فمك بأنه لا يصلح أن يستمر في منصب العمدة.. وأنت كنت تتهيأ وتخبرنا بأنك سوف تتقلد منصبه؟!».

لم يهتز مازن أو تعل وجهه أي تعابير.. فيبدو أنه كان يتوقع هذا السؤال بالفعل.. فحدث بيومي بثقة شديدة وأعين الجميع متعلقة به تريد أن ترى كيف سيرد على هذا السؤال الصريح الجريء هذا.. ولكن هذا لم يحرك ساكنا في متولي الذي تحدث بنبرة هادئة «نعم.. أنا أول من اقترح ذلك عليكم بالأمس.. وكنت أراه من وجهة نظري صائبًا حينها.. ولكن بعد أن تناقشت مع زوجتي بالأمس وتطرقت إلى ذهني أمور أخرى كانت غائبة عني.. أهمها أني غير مؤهل لكي أقود جهينة في تلك الظروف الصعبة التي تمر بها المدينة وأهلها.. وأن الأنسب في ظل هذه اللحظات الحرجة أن يقودنا شخص ذو خبرة كبيرة وعلى علم بجميع بواطن الأمور في جهينة ولم أجد أي شخص آخر في تلك المدينة يحمل تلك المؤهلات إلا السيد مازن، ولهذا أنا أعلن الآن عن ولائي الكامل للسيد مازن.. وأني سوف أكون أول المصوتين الداعمين على بقائه في منصبه هذه الفترة لكي يقود جهينة إلى بر الأمان مثلما كان يفعل دائمًا.. ولا أعتقد أن هناك شخصًا آخر سوف يعارض هذا الأمر بعد الآن..». ونظر إلى بيومي بنظرات بها ثقة وحدة.. فطأطأ بيومي رأسه في خجل وجلس على مقعده في الحال.. وخيم الصمت على الجميع.. فابتسم مازن ابتسامة النصر وهو ممتلئ بالرضا والفخر ووضع يده على كتف متولي وربت عليه..



فتحاشى متولي أن ينظر في عينه وجلس على مقعده سريعًا.. فتحدث إليهم مازن وعلى وجهه نظرة التشفي.

«أشكر السيد متولي على دعمه الدائم لي.. وأشكركم جميعًا على مشاعركم القوية تلك تجاه جهينة وأهلها.. وأنا أعلم بأنكم كنتم تتحدثون إلي بتلك النبرة الحقيرة.. من منطلق حرصكم على الأوضاع بجهينة.. ولهذا أنا لست غاضبًا منكم بل أشعر بالسرور من أجل اهتمامك بأمور المدينة.. ولكنني أخبركم أني متحكم في أوضاع المدينة الآن مثلما كنت أفعل سابقًا.. وسوف أسعى جاهدًا في أن تعود الأوضاع إلى سابق عهدها كما كنت أفعل دائمًا.. ولهذا أريد مساعدتكم جميعًا في الحفاظ على الهدوء والاستقرار في المدينة.. يجب علينا ألا نفزع نحن.. لكي لا ينتقل هذا الفزع إلى باقي أهل المدينة الآمنين».

قاطعته مدام سارة.. «ولكن يا سيد مازن.. نحن نشعر جميعًا بالخوف والقلق.. ابنتي وزوجها يرغبان في مغادرة المدينة حتى تستقر الأمور.. وهذا حال العديد من العائلات بجهينة.. ونحن ككبار عائلات المدينة نستطيع أن نقنع ذوينا.. لكن باقي أهل المدينة الخائفين ماذا نفعل معهم».

فأجابها مازن في الحال.. «يجب أن نحاول إقناعهم بأي وسيلة بألا يغادروا المدينة.. لا نستطيع أن نتخلى عن جهينة في ذلك الوقت».

تابعت سارة حديثها.. «لقد حاولنا كثيرًا يا سيد مازن.. لكن لا تستطيع أن تقنع أحدًا بالتخلي عن القلق على أسرته.. هناك بالفعل عدد من العائلات غادر المدينة وهناك أيضًا».



فتحدث إليها بيومي.. «لماذا سكتِّي يا مدام سارة؟! «أخبريه بالحقيقة كلها».

تغير وجه مازن في الحال.. «حقيقة.. حقيقة ماذا.. فلتخبروني ماذا يحدث».

فأجابه بيومي في الحال: «الحقيقة يا سيد مازن أن هناك العديد من الأشخاص من خارج جهينة عرضوا على أهل المدينة أن يدخلوهم إلى داخل جهينة على صفة أنهم من أقاربهم؛ لأنه ممنوع دخول المدينة إلا لأهل جهينة وأقاربهم كما تعلم».

أومأ مازن برأسه وأشار إليه بيده أن يكمل.. فتابع بيومي حديثه «هؤلاء الأشخاص عرضوا مبالغ كبيرة على أهل المدينة لكي يدخلوهم على أنهم أقاربهم لكي يستطيعوا التنقيب عن الذهب بداخل المدينة؛ لأنه تم تناقل بعض الشائعات بأن مدينة جهينة تعوم على جبلٍ من ذهب، وأن كتلة الذهب تلك جزء صغير من هذا الجبل الضخم فقط.. وبالطبع كان معظم أهل المدينة رافضين لهذا الأمر.. ولكن بعد ما حدث اليوم شعر الجميع بالخوف وقام الكثير بقبول العرض استعدادًا لمغادرتهم المدينة».

صرخ مازن غاضبًا للغاية.. «كيف يحدث هذا؟! لا يمكن أن نسمح لأناس غريبة بالدخول إلى جهينة.. أنتم تعلمون القانون جيدًا.. لا يسمح لأحد أن يخالف قانون جهينة.. سوف يصبح منبوذًا في الحال».



حدثه بيومي سريعًا «نعم هذا الأمر مقبول في ظل استقرار المدينة.. ولكن الآن.. المدينة تعم بالأحداث الغريبة والغامضة.. ليس هناك شيء يجبر أحدًا أن يمكث في المدينة الآن ويتبع القوانين».

صرخ مازن غاضبًا «لا.. لا.. لا يوجد أي شيء مهما كان؟ يستطيع أن يمنعنا من أن ننفذ قوانين جهينة.. إذا استثنينا أحدًا من القانون فلن يكون له قيمة بعد الآن».

هنا قاطعه بيومي مبتسمًا «ماذا ستفعل يا سيادة العمدة.. سوف تعتبرهم من المنبوذين وتطلب منهم مغادرة المدينة.. هذا ما يفعلونه الآن بالضبط.. كل ما سوف تثيره بغضبك هذا هو استجلاب عداوتهم.. وعند استقرار المدينة مرةً أخرى لن يكون هناك أحد يرغب في العودة إليها.. إن أهل المدينة خائفون.. ويجب ألا تحاصر شخصًا خائفًا.. لن تأمن رد فعله».. صمت مازن للحظات وهو يزن كلمات بيومي في أذنه.. ثم نظر إلى متولي وحدثه سريعًا.. «ماذا تقترح يا متولي؟».

نظر إليه متولي ولكنه لم ينظر في عينه وحدثه بصوت خافت «أعتقد أن علينا أن نتغاضى مؤقتًا عن قوانين جهينة لصالح أهل جهينة.. نتركهم يفعلون ما يريدون حتى تمر العاصفة بهدوء.. ثم نقوم بتنفيذ القوانين بقوة مرةً أخرى».

وهنا نظر متولي إلى عيني مازن وحدثه بنبرة حازمة.. «يجب ألا تكسر القوانين بنفسك.. فقط تغاضَ عمن يكسرها لوهلة صغيرة».



ظل مازن ينظر إلى كبار العائلات أمامه ممتعضًا وهو يجز على أسنانه بغضب للحظات.. ثم أومأ برأسه موافقًا راضخًا للأمر الواقع.. ظل الاجتماع لمدة نصف ساعة أخرى ثم انصرف الجميع إلى منازلهم مرةً أخرى.

* * *

في مساء ذلك اليوم جلس عصام وسراج وكريم ورامي في منزل سراج وأخذوا يتبادلون الحديث بينهم.. فصرخ سراج متسائلًا.. «ماذا يحدث في تلك المدينة بحق الجحيم.. هل هناك تفسير لما حدث يا دكتور عصام».

أخذ عصام يتحرك في الغرفة ذهابًا وإيابًا وهو يفكر بتوتر «نعم.. نعم بالتأكيد هناك تفسير لما حدث.. لقد شعرت بالاضطراب في بادئ الأمر.. ولكن عندما حللت الأمور بروية.. توصلت إلى حل علمي بالفعل».

قاطعه كريم قائلًا: «تفسير علمي؟ كيف يستطيع العلم تفسير إمطار السماء بأزرار.. ثم تهجم أسراب من الغربان بعد ذلك ويصبح لهذا الأمر تفسير علمي؟ كيف هذا؟».

أجابه عصام بثقة.. «هذا له تفسير علمي بالطبع.. ألم تسمع من قبل عن السماء التي أمطرت سمكًا وضفادع في بعض البلدان.. ولم يكن له تفسير علمي.. إلا بعد أن لاحظوا أن تلك الأماكن عادة ما



تكـون بالقـرب من البحـار والمحيطـات.. فتحمل العواصـف القوية بعض تلك الأسماك والضفادع وتلقيها مع الأمطار؟».

قاطعه رامي «ولكن جهينة لا يوجد بالقرب منها أي بحار أو أنهار أو مجارٍ مائية صغيرة مثل الترع مثلًا».

أجابـه عصـام سريعًـا.. «نعـم.. لأن السـماء لم تمطـر سـمكًا.. إنما أمطـرت أزرار ملابـس.. الأمر مختلف بالفعل ولكن السـبب واحد.. بالتأكيد كانت هناك شـحنة من أزرار الملابس على الطريق أو ما شـابه وتحطمـت تلـك الشـحنة وحملها الهواء القـوي الذي هب عـلى المدينة فحملها معه وسقطت بعد هدوء تلك الرياح مع الأمطار المتساقطة».

أومـأ لـه سراج بالموافقة على حديثـه.. «نظرية جيـدة.. ولكن لماذا ظهرت تلك الغربان بعد ذلك؟ هل لديك تفسير علمي لذلك؟».

أومأ عصام بثقة.. «بالطبع لدي تفسـير.. إن الغربان في العادة تهتم بـأي شيء لامع ويجـذب الأنظـار.. وأزرار الملابس كذلـك.. فلفتت انتبـاه تلك الغربان في رحلتها هربًا من تلك الرياح العاصفة.. وقامت بالتقـاط الأزرار ووضعها في أعشاشـها.. هي معتـادة على ذلك ودائمًا أعشاشها ممتلئة بالمنتجات والصناعات البشرية التي تجذب أنظارها».

حدثـه كريـم فجأة «.. نعم.. نعـم.. لقد لاحظـت بالفعل أن تلك الغربان تلتقط تلك الأزرار ولا تأكلها.. بل تطير بها بعيدًا».

أجابـه عصـام.. «بالفعل فالغربـان ذكية للغايـة وتعتبر واحدة من أذكى الطيور التي عرفتها البشرية.. هي تعلم أن تلك الأشـياء ليست



للأكل.. إنها تجمعها فقط لأن ذلك جزء من سلوكها الطبيعي؛ جمع أي شيء يلفت أنظارها».

صفق كريم في الحال لعصام.. «الله.. هذا هو رجل العلم.. يرجع أن لكل شيء سببًا علميًا.. أحييك بالفعل».

ابتسم عصام بفخر.. «نعم بالفعل هذا صحيح.. كل شيء غامض وغير مفسر ليس خارقًا للطبيعة.. ولكننا لم نعلم السبب العلمي خلفه فقط.. وهذا ما يحدث بالضبط هنا في جهينة.. يبدو للعيان من أول وهلة أن هناك أشياء غامضة ومريبة تحدث، ولكن بالفعل هناك أمور منطقية تحدث خلفها ولم نكتشفها بعد.. ولهذا أنا هنا بجهينة وبمساعدة السيد سراج سوف نكشف كل الغموض والحقائق التي حدثت في جهينة.. صدقني عن خبرة.. الوقت كفيل بكشف كل شيء غامض».

* * *

اقتربت الساعة من 11 مساء وظل مازن في غرفة معيشته يفكر غاضبًا.. كيف حدث هذا الأمر؟.. وما سر المنقبين عن الذهب هؤلاء؟.. وكيف لم يعلم بهذا الأمر من قبل؟.. ظل سارحًا بتفكيره بعيدًا.. يختطف نظرات سريعة إلى ساعة يده كل لحظات حتى وجدها تعدت الحادية عشرة ببضع دقائق.. فتوجه سريعًا إلى غرفته السرية الصغيرة، وقام بفتح حاسبه الآلي وتوجه إلى المجلدات في الحال وبحث عن اسم بيومي فظهرت ملفات كثيرة له.. فضغط على علامة ميكروفون سوداء صغيرة فظهر برنامج به عدة خيارات مثل: افتح،



وتسجيل جديد، وبث مباشر، وملفات محفوظة، فضغط على كلمة بث مباشر بالفأرة فسمع صوتًا واضحًا وقويًّا للغاية من داخل الحاسب.. كان صوت بيومي وهو يتحدث مع زوجته ودار بينهم الحديث الذي افتتحته زوجته متسائلة.. «هل حدث هذا بالفعل؟ هل دافع متولي عن مازن؟ هل يعقل هذا؟».

أجابها بيومي مندهشًا.. «نعم لقد عقدت الصدمة لساني من هذا الفعل.. ولا أعلم لماذا غيّر متولي موقفه بيوم وليلة هكذا.. هناك شيء حدث بالتأكيد.. لذلك دفعني فضولي إلى أن أذهب للحديث معه بعد انصرافنا على انفراد.. ولكنه صرخ بي وظل يردد.. اصمت.. اصمت ولا تتحدث مرةً أخرى.. وتركني وانصرف.. لا أعلم ماذا حدث بينهما ولكن يبدو أن مازن استطاع أن يسيطر عليه».

حدثته زوجته.. «حسنًا، وبالنسبة لأمر المنقبين ماذا سوف تفعل؟ لقد أتت إلي أم شيماء مرةً أخرى في صباح هذا اليوم وقالت لي: إن هناك عرضًا ماليًّا كبيرًا سوف يقدمونه لنا إن سمحنا لهم بالدخول إلى المدينة».

«لا تقلقي.. لقد أقنعنا مازن بالأمر.. حتى لو أصر على عناده كالمعتاد.. فسوف نفعل ما يحلو لنا.. وليضرب رأسه في أقرب حائط بجواره».

ضرب مازن المنضدة بيده غضبًا وهو يستمع إلى بيومي وزوجته.. وأخذ بيومي يسهب في حديثه ومازن يستمع إليه.. «أخبري أم شيماء بموافقتنا.. ولكن بعد أن تساوميها على مبلغ أكبر مما عرضت عليك..



أنـا أعلم أن الحكومة لن تعطي لنـا أي شيء من الذهب.. ولكن رزقنا الله من باب غيره».

«ولكـن ألا يجـب أن نترك المدينة نحـن أيضًا يا بيومي.. إني أشـعر بالخوف مما يحدث بها؟».

..ضحـك بيومـي في الحـال.. «مـم تخافـين يـا امـرأة؟ مـن بعض الغربان؟.. إنها طيور.. إنها مثل جميع الطيور.. مثل العصافير والحمام.. إنهـا حولنـا في كل مـكان وفي كل يـوم.. مـاذا سيحدث إذا أصبحت كثيرة؟! هذا أفضل لنا، سوف نذبحهم ونأكلهم».

ضحكت ساخرة «هل ستأكل الغربان أيها الرجل الأحمق؟».

ضحك بيومي.. «نعم نأكلها مثلما نأكل جميع الطيور.. هل الغربان عـلى رأسـها ريـش.. وبمناسـبة الأكل.. حديثـك أشـعرني بالجوع.. أحضري أي شيء آكله.. هيا.. هيا تحركي».

«حسنًا سوف أحضر لك بعض قطع المكرونة النجرسكو.. انتظرني سوف أعود».

هنـا أغلق مازن المحادثة فظهر سـؤال من البرنامـج في الحال.. هل تريـد حفظ هـذا الملف؟ فضغـط: نعم.. فظـل الملف يقـوم بالتحميل قليلًا ثم كون ملفًّا صغيرًا برقم 1103 بجوار المئات من الملفات بمئات الأرقام بجواره.. تحت اسـم مجلد عائلة بيومي.. فخرج من هذا الملف وبحـث عن اسـم متـولي فوجده في الحـال، فدخـل عليه وفتـح البث المبـاشر ولكنه لم يجد أي صـوت.. ظل كذلك لعدة لحظات ولم يجد أي

صوت فابتسم وهو يحدث نفسه.. «نعم.. لن أجد شيئًا.. فلقد علم بالأمر».. ثم خرج من مجلد متولي وأخذ يسحب بالفأرة العديد من الملفات بالعديد من أسماء أهل المدينة، واختار أحد الأسماء عشوائيًّا ثم وضع سماعات الأذن في أذنيه، وقام بتشغيل البث المباشر وجلس على مقعده مسترخيًا، وأغمض عينيه وهو يستمع إلى إحدى المحادثات لأهل أحد المنازل باستمتاع شديد.

* * *





النداهة

مر يومان لم يحدث خلالهما أي جديد في المدينة.. وفي صباح اليوم الرابع بمكوثهم بجهينة.. استيقظ رامي من نومه متأخرًا.. وهبط إلى شقة العقيد سراج فلم يجده.. فصعد إلى شقة عصام ولم يجده أيضًا.. فخمن أنهم تركوه وذهبوا إلى مكان ما معًا.. فقرر الخروج بمفرده ليتفقد شوارع المدينة وللقيام بما يحلو له من تحقيقات دون أن يكون في رقابة سراج المعتادة.. ولكنه شعر بالجوع الشديد فأخذ يبحث في أرجاء المدينة عن مطعم أو محلات بيع طعام ولكنه لم يجد في طريقه إلا بعض المارة المترقبين وهم يمشون الهوينى بجوار بعض أعداد الغربان الكبيرة التي احتلت وسكنت في جهينة وأصبحت شوارعها مرتعًا لها.. وأخذت تلهو في طرقات المدينة وهي تعبث بما تبقى من أزرار كانت تصاحب المطر منذ يومين.. فأخذ رامي يقوم بتصوير بعض تلك الغربان وهي تلهو في المدينة في مشهد غريب في أي مكان ولكنه أصبح معتادًا هنا في جهينة.. فتلك المدينة أصبحت تستحق أن يطلق عليها لقب مدينة الغرائب بالفعل.. بعد أن انتهى من التصوير نظر إلى هاتفه فلم يجد شبكة اتصال كالمعتاد.. فابتسم غير مبال وأخذ يقوم بتصوير الغربان التي كانت فوق كل شيء.. المنازل والأشجار وبين الأرصفة والطرقات.. وأثناء فعله ذلك شعر رامي بالجوع يشتد عليه



بشدة لدرجة أنه كان يريد أن يلتهم أي شيء حتى ولو كانت أوراق الشجر.. لمح شخصًا يمشي على الرصيف ومقبلًا عليه.. فقفز جهته مسرعًا.. فشعر الرجل بالفزع والريبة منه.. فابتسم له رامي وسأله في الحال.. «أرجوك أخبرني عن مطعم أو أقرب محل مأكولات هنا.. إني أتضور جوعًا.. وغريب عن هذه المدينة».. أشار إليه الرجل بأن يذهب إلى متجر كبير على بعد شارعين من هنا يدعى متجر عزام.. شكر رامي الرجل وذهب مسرعًا إلى حيث أخبره.. فوجده في الحال أمامه.. متجر كبير للغاية وتحتل واجهته مكانًا كبيرًا في الشارع مكتوبًا عليه بخط بارز وكبير: متجر عزام.

دلف رامي إلى الداخل سريعًا فوجد المتجر كبيرًا للغاية وبه جميع ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات وأشياء أخرى تفتح نفس الحزين على المشتريات.. ابتاع بعض المقرمشات والأكلات الخفيفة وبدأ يتناولها في أثناء وقوفه في الطابور الكبير أمام الكاشير.. يبدو أن الأحداث الغريبة بالفعل لا تؤثر على المصريين سريعًا.. سواء إذا كانت ثورة أو مظاهرات أو حتى هجوم من الغربان وسفن الفايكنج.. فالجميع عاد إلى حياته العادية حتى ولو كانت في ظرف غير عادي.. أصبح رامي أمام الكاشير أخيرًا ولم يتبق معه من المأكولات شيء إلا أغلفتها البلاستيكية المزخرفة التي احتفظ بها ليسدد ثمنها.. فوجد رجلًا كبيرًا في العقد السادس من العمر يجلس خلف الكاشير يراقب جميع ما يحدث بالمحل وأمامه بعض الشاشات التي تظهر ما تقوم كاميرات المراقبة بتصويره ومكتوب على صدره اسمه عزام ريمون



مدير المحل.. أخذ رامي يتفحصه سريعًا بحب استطلاع.. ففوجئ بنظرات عزام المتفحصة له من أسفل العوينات الكبيرة التي يضعها على وجهه فيبدو أن عزام هذا يحفظ جميع المترددين عليه شخصًا شخصًا من أهل المدينة وعلم في الحال أن رامي من خارج المدينة فأصبحت مهمة مراقبته شيئًا أشبه بالواجب؛ لأن الغريب هنا مدين حتى لو لم يثبت القانون ذلك.. شعر رامي بالضيق من عيون الرجل التي تلاحقه.. فدفع النقود سريعًا وهمَّ بالخروج والاختفاء من هذا الضغط الكبير الذي لاحقه به عزام.. لأنه ظل ينظر إليه في عينيه حتى لو تحاشى رامي ذلك وهذا بالطبع شيء غير مريح لأي شخص.. أنهى رامي تناول قطعة حلوى كانت متبقية في يده وهو خارج وأخذ يلوكها وهو يحاول مفاداة المارين الذاهبين إلى داخل المتجر.. وهنا استوقفه مشهد لفت انتباهه كثيرًا.. فلقد لمح فتاة بجسد صغير وتتشح بالسواد جالسة على الرصيف المقابل وهي تحمل حقيبة مشتريات مكتوبًا عليها عزام هيبر ماركت وتخرج بعض فتات الخبز من حقيبتها البلاستيكية وتمزقه في يديها وتلقيه على الأرض بالقرب من عدد من الغربان السوداء التي كانت تقترب منها وتأكل بجوارها بلا خوف.. مشهد غير مألوف لرامي أن يرى من يطعم غربانًا ولا يطاردها مثلما يحدث دائمًا وبالذات من فتاة.. لأن الفتيات يخفن من أي شيء غير بشري وله جناحان بدءًا من الصرصور ووصولًا إلى العصفور.. فما بالك بإطعام الغربان.. ظل رامي واقفًا مراقبًا لهذا المشهد النادر.. وهو يستمتع بابتسامات تلك الفتاة الغريبة وهي تطعمها.. لم يستطع أن يحدد ملامحها من هذه المسافة.. فنوى أن يقترب منها ليراها بوضوح

ولكنه تراجع في الحال؛ خوفًا لأن يظن شخص ما ظنًّا سيئًا فيبدو أن هذه المدينة محافظة للغاية.. ففضل أن يتابع المشهد من بعيد.. ارتكن على الحائط مبتعدًا قليلًا عن واجهة المتجر.. وظل يراقب تلك الفتاة الغامضة لعدة دقائق.. فجأة وجد بعض الصبية صغار السن يبتسمون وهم يقتربون من تلك الفتاة في هدوء وهم يضحكون لبعضهم ثم توقفوا على مسافة قريبة منها بدون أن تشعر وألقوا على الفتاة بعض البيض الفاسد وفضلات الطعام القديمة وهم يصرخون بها .

«اذهبي من هنا أيتها النداهة.. عليك اللعنة.. احترقي في الجحيم أيتها الساحرة..» وبعض الألفاظ النابية الغريبة التي تتناقل على لسان أمثالهم من الصبية الصغار.. والفتاة ظلت تنظر إليهم خائفة وهي تحاول حماية وجهها ورأسها منهم وسقطت على الأرض من صدمتها مما يحدث معها.. وطارت الغربان من حولها.. وتمزق الكيس البلاستيكي من يديها وسقطت محتوياته على الأرض.. فقامت الفتاة بمحاولة وضعها في الكيس الممزق وهي خائفة متلهفة.. والصبية ما زالوا يصرخون بها ويضربونها بالبيض الفاسد وفضلات الطعام وينادونها بالنداهة وينعتونها بالساحرة وبعض الألفاظ النابية.. شعر رامي بالغضب مما يحدث للفتاة وحاول أن ينهر الصبية عن فعل ذلك ولكنه توقف عندما رأى بعض زبائن المتجر وبعض المارة تجمعوا وهم يشاهدون هذا الموقف.. وخرج من داخل المتجر عزام وهو ينظر بأسى للفتاة من تحت عويناته الكبيرة.. وشعر رامي بأن هذا الشخص هو الذي سيصرخ في الصبية ليمنعهم مثلما يفعل جميع العجائز في هذه السن



مع الصبية الصغار.. ولكن ما حدث هو أن اكتفى عزام بهز رأسه وهو يشعر بالضيق وعاد إلى داخل المتجر مرةً أخرى دون أن يفعل شيئًا.. وبدأ الجمع ينصرفون إلى شئونهم وهم يبتسمون ويضحكون على تلك الفتاة المسكينة.. فصرخ بهم رامي غاضبًا من ردة فعلهم.

«لماذا لا تساعدون تلك الفتاة من هؤلاء الصبية؟».

فحدثته سيدة معها ابنتها الصغيرة في يديها.. «نساعدها.. إنها النداهة.. إنها ساحرة لعينة..» ونطقت لفظًا نابيًا لها.. فصرخت طفلتها الصغيرة مثلها.. «إنها النداهة الساحرة اللعينة..» ونطقت اللفظ النابي نفسه الذي قالته أمها.. فصرخت بها أمها غاضبة «أخبرتك من قبل ألا تقولي مثل هذه الألفاظ».. ثم قامت بسحب ابنتها من يدها وتركتها مبتعدة.. بدأ الصبية في التمادي أكثر عندما وجدوا أهل المدينة يشاهدونهم ولا يفعلون شيئًا.. فقام بعضهم بالاقتراب من الفتاة وشدها من شعرها وآخر يضربها بقدمه وآخر يلكمها بيده.. والفتاة تصرخ متألمة وهي تبكي خائفة.. هنا لم يتمالك رامي نفسه وركض مسرعًا جهة الأطفال وصرخ فيهم أن يبتعدوا فنظروا له مندهشين من دفاعه عنها.. فصرخ به أحدهم متسائلًا: «ماذا تقول؟ إنها ساحرة.. إنها النداهة».

فصرخ بهم غاضبًا.. «هيا من هنا أيها الأوغاد وإلا قمت بضربكم جميعًا».

ابتسم الصبية من حديثه وتقدم أحدهم وضرب الفتاة على رأسها بلكمة من يده.. فصرخت الفتاة خائفة وهي ترجوهم أن يتوقفوا..



شعر رامي بالغضب من الصبي لأنه لم يخش منه.. فقام بضرب الصبي بيده بقوة وصرخ به وسبه.. فنظر له الصبي مندهشًا وأخذ يبكي.. فصرخ رامي في بقية الصبية وهو يلوح بيده، فهرب جميع الصبية خائفين.. الفتاة لم تشكر رامي على ما فعله بل ظلت تنظر له نظرات متوجسة وهي تحاول لململة مشترياتها من على الأرض وبدأت الغربان تلتف حولها وهي تتخطف الطعام منها.. اقترب رامي منها بشفقة وحاول أن يمسكها من يدها ليساعدها على الوقوف فنزعت يدها منه بقوة وهي تصرخ خائفة: «اتركني.. لا تلمسني».

رفع رامي يديه إلى أعلى وهو يحاول أن يطمئنها.. «لا تقلقي.. لا تقلقي.. أنا فقط أحاول أن أساعدك.. لن أوذيكي.. لن أوذيكي».

فنظرت إليه بعينين باكيتين وبوجه شاحب وجسد مرتجف.. فتأملها رامي مدققًا في وجهها ومتفرسًا ملامحها.. فرآها رائعة الجمال عيناها واسعتان وأنفها صغير دقيق، وفمها مثل فم العصفور وأسنانها بيضاء كالثلج.. وملامح الخوف والدموع في عينيها ألقت في قلب رامي الشفقة الممزوجة بهرمون الذكورة التستوستيرون الذي ما إن يندفع في الجسد حتى يشعر الرجل بأنه عنترة زمانه، وأنه يجب عليه أن يحمي هذه الأنثى أو حتى يموت في سبيل الدفاع عنها.. ظل يراقبها وهي تلملم مشترياتها وتحملها بسرعة وتحركت من مكانها وهي تنظر إليه نظرات متخطفة وتركته وانصرفت عدة خطوات للأمام وظل يراقبها وفوجئ عندما وجدها عادت إليه مرةً أخرى وهي تنظر إلى الأرض، وصدر منها صوت خفيض ضعيف للغاية ترامى إلى سمعه



بصعوبة وفهمه بعد أن رآها تغادر.. «.. شكرًا» هذا ما قالته تلك الفتاة الجميلة الغضة الضعيفة التي تجعل أي ذكر يركض وراءها لكي يناله شرف الدفاع عنها.. وهذا على الأقل كان لسان حال رامي ساعتها.. فقد كان يفور من داخله.. لا يعلم لماذا شعر بأنه يجب أن يحتضنها بقوة ويعتصر أضلاعها بين ذراعيه.. همَّ للحظات بفعل ذلك ولكن فورة العقل فاقت فورة الجسد وعاد إلى صوابه وهو لا يزال ينظر إليها وهي تحاول أن تعبر الطريق وتحاول ألا تحتك بأحد يمر بجوارها.. هنا لم يتمالك رامي نفسه وتحرك وراءها مسرعًا.. فلقد قرر في نفسه أنه يجب أن يرى تلك الفتاة ويعرف اسمها وكافة التفاصيل عنها.. ولماذا تعامل هذه الفتاة الرقيقة مثل هذه المعاملة.. هذه الفتاة لو كانت في أي مدينة أخرى.. لأخذت لقب ملكة جمالها بدون نقاش.. هذا ما كان يدور بخلد رامي وهو يتتبع ذلك الملاك الساقط أمامه وهي تمشي الهوينى بقدميها الصغيرتين وحركات جسدها الخائف الذي يتفادى الاقتراب من الجميع يزيدها أنوثةً وجمالًا فوق جمالها.. لقد أخذت بعقل وتلابيب رامي بالفعل الذي نسى في تلك اللحظة جهينة وما بها من غرائب ولم يتبق أمامه إلا تلك المليحة التي أخذت عقله وكيانه والتي ظل يشاهدها تدخل إلى إحدى البنايات التي كان أمامها الركام الكبير من مخلفات المنازل والقاذورات وعلى الحائط عبارات كثيرة من نوعية الساحرة والنداهة وغيرها من تلك العبارات.. رأى رامي الفتاة تصعد البناية، وهنا تأكد أن هذا هو منزلها ومقصدها وأنها بالتأكيد من المنبوذين مثل سرور.. الذي تذكره وهو يتحدث عنها وقال إنه كان يظلمها مثل باقي أهل المدينة.. ولكن لم يتذكر رامي هنا ما كان اسم



تلك الفتاة.. ظل رامي يحاول أن يفكر في السبب الذي جعل تلك الفتاة من المنبوذين هكذا.. وظل واقفًا أمام منزلها يحاول أن يخمن هذا السبب في رأسه لعدة ساعات، لم يكل بها أو يمل.. شعر بالجوع يعض في معدته ولكنه تلاشاه ولم يكن يتلاشاه من قبل ولكن عند وجود المرأة يختفي عقل الرجل.. اقتربت الساعة من الرابعة عصرًا.. وكان رامي يقف أمام منزل الفتاة ما يقارب الساعات الخمس.. فكر خلالها أن يصعد ليحادثها ولكنه كان يتراجع كل مرة وفضل أن يكون مترقبًا لها لعلها تخرج مرةً أخرى فيستطيع محادثتها أو على الأقل معرفة اسمها.. وإن لم يستطع فيكفي أن يراها مرةً أخرى خوفًا من أنها كانت مجرد سراب في عقله.. تكالبت عليه آلام قدميه واتحد مع الألم جوعه، ففكر أن يترك نوبة مراقبته الآن ويعود بعد ذلك في أي وقت بعد أن يأكل ويستريح فهو قد حفظ مكانها عن ظهر قلب.. همَّ رامي بالانصراف من مكانه ولكن لم يتحمل قلبه تلك المفاجأة التي حدثت.. فالفتاة عادت مرةً أخرى إلى خارج المنزل وهي تنظر حولها في جميع الاتجاهات خائفة.. شعر رامي بالخوف الشديد من أن تراه يقف أمامها فتعتقد أنه يتربص بها وينوي إيذاءها فكان يتمنى من كل قلبه أن يتوارى عن عينيها وأن تنشق الأرض وتبلعه بين طياتها وظل يدعو بقلب خالص لم يدع مثله من قبل ألا تراه الفتاة، وبالفعل تقبلت منه السماء دعاءه المخلص ولم تلحظه الفتاة التي اتجهت مسرعة إلى خارج البناية في طريقها المقصود.. فتنفس رامي الصعداء وتركها تأخذ مسافة كبيرة بعيدة عنه قليلًا واتبعها في خلسة ليرى أين تذهب.. تبعها لعدة شوارع قليلة ووجدها تقف مترددة على باب إحدى الصيدليات



وهـي تحاول الدخول، ولكنها تراجعت عندما رأت شـخصًا بالداخل فوقفت بالخارج بعيدًا تنتظر الجميع أن ينصرفوا من داخل الصيدلية.. وظلت كذلك لفترة كلما حاولت الدخول وجدت بعض الأشـخاص بالداخـل أو يحاولـون الدخـول وينظرون إليهـا بـازدراء ويكيلون لها العبارات النابية الساخرة منها وينعتونها بالنداهة وبالساحرة.. والفتاة لاتزال واقفة تسـتمع إلى سبابها بأذنيها وهي تطرق برأسها إلى الأرض ولا تتحـدث.. مـرت عدة دقائـق ثم خرج العامـل بالصيدلية وصرخ بالفتـاة بأن تذهب بعيدًا لأنها تخيف الزبائن ولا يريدها أحد بجواره.. فقامت الفتاة بهز رأسـها في رضوخ ولكنها أعطته روشـتة، لكي يقوم بجلـب الأدويـة التي بهـا فألقاها الرجل مـن يده غاضبًـا وهو يصيح بهـا بأنه لـن يبيع الدواء لها وأن تتعالج بالسـحر الـذي لديها.. وتركها وانصرف. شعرت الفتاة بالمهانة الشديدة ومدت يدها لتلتقط الروشتة مـن عـلى الأرض وتحركت مبتعدة وهي تبكـي.. لم يتحمل قلب رامي ذلك المشهد وهرع إليها راكضًا.. وسحب من يدها الروشتة.

ففوجئت الفتاة بوجوده، فلم يتحدث إليها رامي وتركها ودلف إلى داخـل الصيدلية ومـد يده إلى الصيدلي أمامه وحدثـه بعنف «فلتحضر الدواء المكتوب هنا حالًا».

فحدثـه الصيدلي بامتعاض.. «لا.. لا نبيع أدوية للسـاحرات ومن يساعدها فلتذهب أنت وإياها إلى الجحيم».

حدثـه رامـي بلهجة حـادة.. «أتتحدث معي هكـذا؟ أجننت؟ أنا ضابـط مباحث من الذيـن يحققون في هذه المدينة.. أتريد أن أسـجنك



الآن في التو واللحظة، وترى كيف سيكون الجحيم بالفعل في داخل القسم؟».

ارتجفت يد الصيدلي في خوف وهو يترجى رامي «لا.. لا.. أنا آسف.. أنا لم أعلم يا باشا.. لم أعلم.. سوف أحضر لك ما تطلبه في الحال».

وقام في الحال بتحضير الأدوية المذكورة في الروشتة.. وأعطاه إياها في الحال.. فأخرج رامي بعض النقود إلى الصيدلي فرفض أن يأخذها منه.. فألقى رامي بالنقود أمامه على الأرض ورمقه بنظرة غاضبة وانصرف إلى الخارج.. والجميع يرمقونه بنظرات كلها خوف منه أن يكون ضابطًا بالفعل.. تلقته الفتاة بابتسامة رائعة كادت تنير وإن كانت في الظلام.. ابتسامة جعلت قلب رامي يكاد ينفجر من طبول الحرب التي كانت ترتطم بداخله.. ومدت يدها إلى رامي لكي تأخذ منه الأدوية فمد رامي لها الأدوية ثم سحبها مرةً أخرى.. فنظرت إليه مندهشة.. فحدثها مبتسمًا «سوف أعطى لك الأدوية الآن ولكن على شرطين فقط».

شعرت الفتاة بالقلق من حديثه ولمحه رامي في وجهها فتحدث إليها مرةً أخرى مطمئنًا «لا تقلقي لن أطلب شيئًا غريبًا أريد طلبين فقط.. الأول منهما أن أعلم اسمك».. فنظرت إليه على استحياء وتحدثت بصوت ملائكي يطرب السامعين باسمها «أميرة» هذا كان اسمها وبالتأكيد لو كانت في العصور الوسطى لكان اسمها هو لقبها.. فابتسم رامي وهو يتذوق طعم اسمها على شفتيه «أميرة.. يا له



من اسم على مسمى.. حسنًا يا أميرة لقد وفيت بالشرط الأول.. أما الشرط الثاني فعلى الرغم من سهولته، فإنني لن أتغاضى عنه بأي حال من الأحوال.. اتفقنا..» فحدثته أميرة بنبرة قلقة «ماذا تريد؟».

«لا أريد شيئًا مريبًا.. أنا غريب عن هذه المدينة وقد جئت إليها في مهمة عمل ولا أعلم أي شيء عن أحيائها.. وأشعر بالجوع الشديد فأريدك أن تدليني على مطعم قريب من هنا لكي أتناول الغداء به».

فحدثته وهي تبتسم: «هذا أمر سهل.. سوف تذهب من هذا الشارع».

فقاطعها رامي في الحال.. «لا.. سوف تصطحبينني إلى هذا المطعم بنفسك فأنا تائه منذ الصباح ولا أعلم أي شيء عن هذه المدينة وأظن أنه بعد أن ساعدتك لن يرغب أي شخص من أهل المدينة في أن يساعدني.. أليس كذلك؟!».

نظرت أميرة إلى الأرض بضيق.. وشعر رامي أنه قال قولًا أزعجها فمد يده إليها بالكيس البلاستيكي الذي يحوي الأدوية وحدثها سريعًا «.. تفضلي هذا هو الدواء.. اذهبي به إلى المنزل ولكن بعد نصف ساعة من الآن سوف أنتظرك أمام منزلك لكي تفي لي بوعدك وتصطحبينني إلى المطعم كما اتفقنا».

نظرت إليه مندهشة.. «أتعلم أين منزلي؟» شعر رامي بالاضطراب من سؤالها فأجابها ضحكًا.. «نعم.. نعم.. فهذا جزء من عملي كما



تعلمين.. حسنًا اذهبي الآن حتى لا تتأخري بالدواء وسوف أنتظرك أمام المنزل كما اتفقنا».

حملت أميرة حقيبة الدواء في يدها ورمقت رامي بنظرة لم يتفهمها وتركته وانصرفت.. ظل رامي يراقب ساعته قليلًا حتى مرت خمس عشرة دقيقة فتوجه في الحال إلى منزل أميرة لينتظر أمامه وهو يفكر هل سوف تقابله أميرة بالفعل أم سوف يكون مصيره أن يموت غرقًا في بحار التفكير والهواجس.. مرت نصف ساعة أخرى وهو واقف منتظر.. وشعر باليأس من عدم حضورها تمامًا.. ولكنه شعر بقلبه يكاد ينفجر مرةً أخرى حينما رآها تنظر إليه من مدخل البناية وهي مترددة.. لم يستطع رامي أن يخفي فرحته وذهب مسرعًا جهة أميرة وحدثها فرحًا «كنت خائفًا للغاية ألا تفي بوعدك وألا تحضري».

فتحدثت إليه بصوت خافت.. «أنا لم أكن سأحضر بالفعل ولكن نظرًا لمساعدتك لي يجب عليَّ أن أساعدك».

ابتسم رامي بشدة وهو يكاد يطير فرحًا.. «شاكر لك للغاية.. هيا بنا.. لقد مت من التضور جوعًا مرتين حتى الآن..».. لم يتحدثا كثيرًا أثناء انتقالهما إلى المطعم في نهاية المنطقة.. ووقفت أميرة فجأة على القرب منه وأشارت إلى رامي بوجوده أمامه.. فحدثها رامي برجاء: «أتمنى أن تتناولي الغداء معي أرجوك لأني لا أعرف أحدًا في هذه المدينة وأحب أن أتحدث معك أثناء تناول الطعام حتى تؤنسي وحدتي».



هزت أميرة رأسها برفض وخوف شديدين.. «لا.. لا مستحيل.. مستحيل.. لن يدخلوك إلى المطعم إذا كنت بصحبتي».. نفخ رامي صدره بعنترية شديدة.

«لا تقلقي من هذا لن أسمح لأي شخص أيًّا كانت صفته.. أن يرمقك بنظرة لا تحبينها.. لا تقلقي أبدًا.. هيا بنا».. رفضت أميرة بشدة مرةً أخرى.

«لا.. لا أستطيع.. أنت لا تعلم أهل جهينة.. لا تعلم ماذا سيفعلون بي إن دخلت إلى هناك».

شعر رامي بالقلق من موقفها الرافض لهذه اللحظة التي كان يتخيلها منذ الصباح وهم يأكلون معًا ويتحدثون.. لحظة صغيرة من هذا التخيل طغت على عقله فتحدث إليها بثقة شديدة».. لقد أخبرتك أنه لن يمسك شخص بسوء ونحن معًا.. وأظن أني قد أنقذتك اليوم مرتين ويجب أن تظهري لي امتنانك عن طريق الموافقة على تناول الغداء معي.. لا تقلقي.. لن أسمح لأحد أن يؤذيك أبدًا.. ما دمت حيًّا».

نظرت إليه أميرة بعيون مترددة.. فاستغل رامي هذا الموقف وتقدم جهة المطعم فدلف إليه في الحال وصرخ بأعلى صوته بالداخل.. أنا الضابط رامي إمام.. أظن أن الكثير منكم رآني مع العقيد سراج من قبل.. «سوف تتشرفون بوجودي اليوم وسطكم أتناول الغداء مع ضيفتي».. وأشار بيده إلى أميرة خلفه التي شعرت بالخوف واحمر وجهها خجلًا وظلت تطرق بنظرها إلى الأرض.. فعاود رامي حديثه.. «سوف أتناول أنا وضيفتي الطعام هنا.. وإذا صدر صوت



هامس فقط لم يعجبني أنا وضيفتي فسوف يكون جميع الحضور هنا ضيوفي في السجن في الحال.. هل سمعتم؟!».

ظل جميع رواد المطعم يرمقون رامي بنظرات كلها اندهاش وقلق.. فأشار رامي إلى أميرة بأن تدلف إلى المطعم.. فترددت للحظات فحدثها رامي أن تدخل مرةً أخرى.. فدلفت أميرة بسرعة على استحياء.. وجلست على مقعد أشار إليها رامي أن تجلس عليه.. أحد الصبية الصغار كان برفقة عائلته حدث أمه صارخًا.. «انظري يا أمي إنها الساحرة.. الساحرة ستأكل معنا..» فنظر لهم رامي بغضب.. فصرخت السيدة بابنها.. «فلتصمت أيها اللعين.. اصمت يا جلاب المصائب».. فصمت الطفل ورمق رواد المطعم أميرة بعيون غاضبة ولكنهم تحاشوا النظر إليها بعد أن وجدوا عيون رامي متربصة لهم.. أشار رامي بيده إلى أحد العاملين بالمطعم بأن يأتي إليه.. فذهب إليه العامل مترددًا فطلب منه رامي بعض الطعام وأخبره أن يحضر الطعام بسرعة.. ذهب العامل مسرعًا بعد أن نقل طلباتها إلى مدير المحل فقال له مدير المحل أن يحضر لهما ما يريدان ثم حدث العامل في أذنه فهز العامل رأسه عدة مرات وانصرف يتحدث إلى أحد زملائه وأعطى له طلبات رامي وانصرف هو إلى خارج المطعم.. لم يتأخر العاملون في المطعم كثيرًا عن إحضار الطعام إلى رامي فتناوله على الفور وبدأت أميرة تتناول الطعام على استحياء ولكن وجهها كان مشرقًا للغاية وتبدو عليها السعادة الكبيرة.. ظل رامي يرمقها وهي تتناول الطعام بفمها شبيه منقار الطيور وهو يكاد ينفجر من السرور.. أما أميرة



فكانـت كل لحظات قليلة تنظر حولها متوجسـة من رواد المطعم الذين لم ينفكـوا يتحدثون عنها خفيـة في امتعاض كبير ولكن دون أن تتلاقى أعينهـم بعيون رامي أو أميرة.. انتهوا من الطعام سريعًا ولم يترك رامي أي فتات كعادته أما أميرة كانت أطباقها لا يزال بها طعام كاف.. طلب رامي من العامل أن يحضر لهما بعض المشروبات الغازية ورفضت أميرة كالعـادة ولكـن بعد إلحاح مـن رامي وافقت عـلى مضض فأحضر لهما العامل بعض المياه الغازية ووضعها بجوار بعض الأكواب.. قام رامي بصبهـا في الأكـواب وقدمهـا إلى أميرة وحدثها مبتسـمًا.. «ما رأيك في الطعـام.. هل كان جيدًا..» فأجابته بابتسـامة مشرقة «نعم جيد.. جيد للغاية».

«هـل الطعام هنـا أفضل؟ أم هناك مطاعم أخـرى بها طعام ألذ من ذلك؟».

«أنا لا أعلم.. فهذه أول مرة منذ عشرين عامًا تقريبًا آكل في مطعم».

نظر إليها مندهشًا.. «ماذا.. ألم تأكلي في مطاعم من قبل؟ لماذا».

أجابته سريعًا.. «لأني منبوذة.. أظن أنك لاحظت ذلك بالطبع».

صعـق رامـي من حديثهـا.. «ماذا.. هـل أنت منبـوذة منذ عشرين عامًا؟».

أومأت برأسها في سرعة وعلى وجهها ابتسامة حزينة.. «نعم.. منذ أن كان عمري سبع سنوات».



شعر رامي بالشفقة عليها.. «ولماذا أصبحت منبوذة.. أخبريني إذا لم يكن لديك مانع».

نظرت إليه مندهشة.. «أنت لا تعلم لماذا أنا منبوذة.. هل ساعدتني وعاديت أهل جهينة دون أن تعلم؟».

شعر رامي بالقلق من حديثها.. «لماذا؟ هل الأمر خطير لهذه الدرجة؟».

ضحكت أميرة ضحكة شديدة للغاية.. أشعرت رامي بالقلق أكثر.. «لماذا تضحكين هكذا؟».

«ماذا تفعلين هنا؟».

هذا السؤال قطع حديث رامي فجأة فنظر جهة السائل ليجده كريم يقف أمامه وبجواره عامل المحل الذي خرج من المطعم منذ قليل.. شعر رامي بالغضب من رؤية كريم أمامه.. «كريم.. ماذا تريد منا؟».

نظر إليه بحدة.. «أنا لا أحدثك أنت.. أنا أحدث تلك المرأة.. هي تعلم جيدًا أنها ممنوعة من الحضور إلى هنا».

شعرت أميرة بالخوف وأطرقت برأسها إلى الأرض.. بينما شعر رامي بالإحراج من حديث كريم لأميرة.. فخبط على المنضدة أمامه غاضبًا.. «أنا من أحضرتها هنا.. هل لديك مانع؟».

ابتسم كريم له وحدثه بهدوء.. «أنت ضيفنا في جهينة يا سيد رامي أنت ورفاقك.. ومرحبًا بكم في أي مكان.. أنا أوجه حديثي فقط لتلك الملعونة».



شعر رامي بالإهانة وأمسك كريم من ملابسه.. «لا تتحدث إليها هكذا أيها الوغد..» صرخت أميرة وهي خائفة وحاولت أن تفض الاشتباك بينهما وحاولت أن تلمس كريم لتبعده عن رامي.. فصرخ بها كريم غاضبًا وابتعد عنها بسرعة ولا يزال رامي يتشبث بملابسه «ابعدي عني.. لا تلمسيني يا امرأة».

فشعرت أميرة بالإحراج الشديد واغرورقت عيناها بالدموع وانصرفت مبتعدة إلى خارج المطعم.. نظر إليها رامي وهي تنصرف ثم نظر في وجه كريم الوسيم وهو يبتسم ابتسامة صفراء.. فشعر رامي بالغضب الشديد وهو يهزه من ملابسه بقوة.. ولكنه فوجئ بكريم وهو يرفع يديه إليه مستسلمًا وتعلو وجهه ابتسامته الصفراء أكثر فأكثر.. جز على أسنانه بضيق.. ثم تركه بضيق.. تحدث كريم إلى عامل المطعم بجواره وهو لايزال ينظر لرامي في عينيه.. «حساب السيد رامي لدى.. فهو ضيفنا تلك الفترة».

نظر إليه رامي للحظات ثم تركه وانصرف إلى خارج المطعم وسط تهليلات رواد المطعم وهم يهنئون كريم لطرده الساحرة من بينهم.. شعر رامي بالضيق وهو يبحث عن أميرة خارج المطعم في كل مكان.. صوت نعيق الغراب فوق رأسه أشعره بالغضب أكثر.. وجد بجواره بعضهم يمشون الهوينى فركض مسرعًا يحاول أن يركل أحد تلك الغربان بقدمه لكن ركلته طاحت في الهواء وسط رفرفة الغربان حوله وهي هاربة.. نظر إلى الأرض وهي ممتلئة بالأذرة حوله وشعر بأن المدينة لا تسعه واختنق صدره بأنفاسه.. صرخ صرخة طويلة ومدوية



بغضب شديد.. ثم ظل يصرخ بحدة في جميع من يحدقون به من المارة.. أخذ يمشي في أرجاء المدينة على غير هدى يحاول البحث عن أميرة.. وقرر أنه إن لم يجدها في أي مكان فسوف يذهب إلى منزلها وليكن ما يكون.. مر على شارع هادئ تنعق الغربان به وهي فرحة وتلعب بين أرجائه ووجد حديقة على يسار هذا الشارع ممتلئة بالأشجار المتشابكة وفوقها الغربان وأسفل منها.. .وجود تلك الغربان أضفى كآبة شديدة على مشهد الأشجار.. وبين بعض الأشجار تلك كانت توجد بعض الأرائك الخشبية المعدة للجلوس ولمح بينهم شبحًا يرتدي الأسود جالسًا على إحدى تلك الأرائك شعر قلبه بالانقباض وهو يتجه بسرعة إلى تلك الأريكة.. وانقبض أكثر عندما لمح هذا الشبح ووجده أميرة تجلس وهي تبكي.. تنفس الصعداء.. «أخيرًا وجدتك».. نظرت أميرة خلفها مسرعة.. لتفاجأ بوجوده.. «أنت.. كيف عرفت أنني هنا؟».. ابتسم وهو يقف أمامها.. «قلب المؤمن دليله.. سوف أجدك في أي مكان حتى لو كنت بداخل الأرض».

مسحت عينيها بملابسها سريعًا وهي تنظر له مندهشة.. «ماذا تريد مني؟».

«ماذا أريد؟! أريد أن أكمل حديثنا.. لقد قطع حديثنا هذا الوغد الوسيم المدعو كريم».

ابتسمت ضاحكة.. «هل أنت تسبه الآن أم تمدحه؟».

«لا بالطبع أذمه.. وأذم جميع المجانين الذين يتحدثون بالسوء على هذا الجمال الأخاذ.. أهل جهينة مجانين أليس كذلك؟» نظرت إليه ولم

تتحدث.. فأشار لها رامي بيده على الأريكة بجوارها.. «هل أستطيع الجلوس؟».

تزحزحت قليلًا أميرة عن مكانها وهي محرجة «بالتأكيد.. فلتتفضل يا.. ما هو اسمك؟».

جلس بالقرب منها وهو يضرب رأسه بيده.. «يا لغبائي.. لم أخبرك باسمي كل ذلك الوقت.. أنا آسف لهذا الخطأ المطبعي».

وابتسم فبادلته الابتسام.. «أنا اسمي رامي إمام وأعمل صحفيًّا».

«ألست ضابطًا؟!».

«نعم أنا ضابط ومهندس وطبيب وعامل نظافة.. أنا أي وظيفة تجعلني أصل إلى المعلومة التي أريدها».

«وهل أتيت إلى جهينة بحثًا عن المعلومات».

«لا أنا أتيت إلى جهينة بحثًا عن الحقيقة».

«وهل هناك فرق؟».

«نعم المعلومة هي ما أحصل عليها بالفعل.. لكني أبحث عن الحقيقة في تلك المعلومة.. تلك هي وظيفتي وهذا هو أنا».

«وهل أنا أيضًا معلومة بالنسبة لك أم حقيقة؟».

«صدقيني هذا السؤال صعب عليَّ بالفعل.. لم أعد أعرف ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي.. ولذلك أريدك أن تخبريني أنت.. ما هي



قصتك؟ لماذا أصبحت فتاة جميلة ورائعة مثلك من المنبوذين؟! هذا شيء ينافي العقل».

«هل بالفعل ساعدتني دون أن تعلم أي شيء عني؟».

«هذا ما حدث بالفعل.. أخبريني بالسبب أيًا كان.. فأنا من قام بالاختيار ويجب أن أتحمل قراري.. أخبريني إذًا لماذا ينعتونك بالنداهة والساحرة؟ لماذا أصبحت من المنبوذين؟».

ابتسمت أميرة بسخرية: «حسنًا سوف أخبرك.. حتى تعلم من أنا وتتركني وشأني مثلما يفعل الجميع.. أنا يطلق عليّ الكثير من الألقاب.. النداهة والساحرة والكثير من الألقاب الأخرى.. ولكن اللقب الذي يناسبني بحق هو لقب.. رسول الموت». شعر رامي بالفضول الشديد.. فاعتدل في جلسته.. «رسول الموت.. كيف هذا؟».

تنهدت أميرة بقوة وهي تحدثه مبتسمة.. «لأني ملعونة.. كل من يلمسني يموت».

نظر رامي إليها بريبة وابتعد عنها قليلًا بدون أن يشعر.. فضحكت أميرة بقوة.. «ماذا.. هل خفت أنت أيضًا؟».

ارتبك رامي قليلًا.. «لا.. لا لم أخف بالطبع.. ولكن هذا الأمر غريب.. كيف من يلمسك يموت؟ كيف هذا؟ انتظري قليلًا».

أخذ يداعب رامي ذقنه وهو يفكر ثم حدثها.. «كيف من يلمسك يموت والأطفال كانوا يضربونك ويلمسونك بأيديهم ولم ينهرهم أحد على ذلك؟».



تنهدت أميرة مرةً أخرى.. «حسنًا هو لا يموت في الحال بعد أن يلمسني ولكن يموت في النهاية هو أو أحد أقاربه أو أحبابه يموت».

أشار لها بيده أن تتوقف.. «لحظة.. لحظة هنا.. هناك شيء خاطئ.. كيف أنا ألمسك مثلًا ويموت أحد أقاربي.. أنا لا أفهم.. يجب أن توضحي لي الأمر من البداية وبسرعة من فضلك.. الغموض سيقتلني».

ابتسمت له.. «الأمر ببساطة شديدة أني ملعونة.. منذ نعومة أظافري وأنا أرى أحلامًا ورؤى غريبة عن أقاربي ومن يحاوطونني.. ولم أفهم ماذا يحدث لي.. والداي ذهبا بي إلى الأطباء والشيوخ محاولة منهما لفهم ما ألم بي.. فلم يستطيعا أن يعلما شيئًا حتى بلغت من العمر سبع سنوات.. هنا والدي قام بالذهاب بي لأحد أصدقاء معارفه الذي كان طبيبًا في جامعة القاهرة.. وبعد عدة اختبارات علم ما ألم بي.. قال إني أمتلك شيئًا يدعى سيكومتري.. Psychometry».

متعجبًا.. «سيكو ماذا؟».

مبتسمة.. «سيكومتري وهو باختصار شديد القدرة على رؤية الماضي لأي شخص عن طريق لمسك لأحد مقتنياته.. ساعته.. أو نظارته مثلًا.. أي شيء قد قام باستعماله من قبل.. بمجرد أن تلمس هذا الشيء وليكن هاتفًا مثلًا.. تستطيع رؤية ملامح كثيرة من الماضي لهذا الشخص وهو يقوم باستخدام هذه الأداة».



متعجبًا.. «يا ألله! هل هذا حقيقي؟ كيف هذا؟ كيف تعمل تلك القدرة؟».

«هناك تفسيرات كثيرة لها.. ولكن الذي أميل له أن أي شخص حينما يتعامل مع أي شيء حوله يتفاعل معه ويترك جزءًا من طاقته خلفه.. وبعض هذه الطاقات تظل لسنوات طويلة متعلقة بتلك الأدوات.. ومن يكون سيكومتري يستطيع عن طريق لمس تلك الأشياء أن يتلقى الطاقة المتبقية في تلك الأغراض.. وأن يكون صورة عامة لما حدث في الماضي أثناء تكون تلك الطاقة.. هذا ما أشعر به في بعض الأوقات وما جعلني أميل إلى هذا التصور».

«حسنًا.. لماذا تكون هذه القدرة شيئًا سيئًا لك.. أتمنى أن أمتلك هذه القدرة مثلك.. إني أحسدك عليها».

ابتسمت في سخرية.. «نعم ولكني لست من النوع السيكومتري.. هذا ما قاله الطبيب لأبي منذ عشرين عامًا.. هي بالفعل أقرب شيء لوصف حالتي لكنها ليست حالتي..».

«ممكن توضحين لي أكثر.. لم أفهم؟».

«حسنًا سوف أشرح لك الأمر ببساطة.. من يمتلك قدرة السيكومتري قادر على رؤية الماضي عبر متعلقات الشخص كما أخبرتك.. لكن أنا لا أستطيع أن أعلم ذلك.. أنا أستطيع أن أرى ماضي الشخص من خلال لمسه هو فقط.. وليس لمس أشيائه عكس حالات السيكومتري الشائعة.. هل فهمت كيف أنا مختلفة؟».



هز رامي رأسه للحظات.. «فهمت.. فهمت لذلك أصبحت منبوذة لكي لا يلمسك أي شخص وتستطيعين معرفة ماضيه.. فبالطبع جميع البشر لديهم ماضٍ سيئ يريدون إخفاءه.. وأنت تستطيعين بكل سهولة من مجرد لمسهم فقط معرفته..». ابتسمت له.. «نعم هذا يحدث بالفعل ولكن ليس هذا ما جعلني منبوذة فقط.. بل لمآساتي أجزاء أخرى.. أنت تعلم أن أقرب حالة لوصفي هي التراجيديا الإغريقية.. المليئة بالمآسي والمصائب.. فأنا بالإضافة إلى السيكومتري التي أحملها.. أحمل قدرة أخرى.. أو يمكن وصفها لعنة أخرى.. فأنا أستطيع رؤية المستقبل».

ثم صمتت.. فامتلأ عقل رامي بالفضول الشديد وصرخ بلهفة.. «رؤية المستقبل أيضًا.. تستطيعين رؤية الماضي والمستقبل.. أنت محظوظة ولست ملعونة.. أنا أتمنى أن أمتلك إحدى هذه القدرات فقط.. لو امتلكت واحدة منها لامتلكت العالم.. وأنت تحملين القدرتين وتصبحين منبوذة.. أي حمقى نعيش بينهم؟!.. وأي حمقاء أنت لكي ترضخين لهم هكذا؟!».

ضحكت أميرة ضحكة كبيرة من قلبها وأشرق وجهها كالبدر في ضيائه.. شعر رامي بالسرور لرؤيتها تضحك هكذا وظل يراقبها سعيدًا.. ظلت تقهقه للحظات ودمعت عيناها من ضحكها فمسحت أهدابها بيدها وحدثته مبتسمة «لا تتحمس هكذا.. فأنت لم تعلم بعد ما هي قدرتي تلك التي تتمناها».

«حسنًا أخبريني.. أنا كلي آذان صاغية أيتها الحمقاء الجميلة».



ضحكت أميرة قليلًا من حديثه ثم تنهدت وتابعت حديثها.. «أنا أستطيع أن أرى ماضي الشخص بالفعل إذا لمسته ولكني لا أستطيع أن أتحكم في هذه القدرة جيدًا.. كنت أستطيع فعلها بقوة منذ عمر العامين حتى وصل عمري لتسع سنوات.. ولكن أصبحت تحدث بصورة تلقائية ونادرة.. أما الذي يحدث معي منذ السابعة بانتظام حتى الآن هي رؤية المستقبل.. وليس كل المستقبل للأسف.. بل فقط المستقبل الخاص بالموت».

«ماذا تعنين بالمستقبل الخاص بالموت؟».

تنهدت بشدة.. «يعني إذا لمست شخصًا ما لعدة لحظات يظهر لي مستقبله ولكن اللحظات الخاصة بالموت.. سواء كان هذا الموت موته هو أو موت أحد أقاربه أو أصدقائه.. أو مثلًا حادثًا رآه هو ولكن سيحدث في المستقبل.. لا أستطيع أن أرى من المستقبل إلا الموت وما يحوطه من أحداث فقط.. أرأيت كيف إن قدراتي ليست لها قيمة.. هل مازلت تريد أن تمتلك تلك القدرات.. أقصد تلك اللعنات؟!».

نظر إليها رامي مشدوهًا للحظات.. «هل هذه النبوءات دقيقة؟ هل بالفعل تتحقق رؤياك لهذا المستقبل؟».

«نعم بنسبة مائة بالمائة.. لقد تنبأت بوفاة والديّ وأنا في عمر تسع سنوات في حادث وماتا بالفعل.. ومن حينها انفض الجميع من حولي ولم يرعني أو يربني أحد سوى عمتي فقط.. هي الوحيدة التي كانت ترعاني طوال عمري ولم تخش لعنتي.. هي الوحيدة التي تبقت لي في هذا العالم، ولولاها لكنت فضلت الرحيل عن هذه الدنيا الكريهة منذ



وقـت طويل.. وبالطبع كان يوجد بعـض الحمقى مثلك من يتملكهم الفضـول ولم يصدقوا الـكلام الذي كان يدار حـولي.. ولكن بعد عدة أحـداث.. تيقنوا من صـدق مقولة إني بالفعل رسـول الموت.. تحولوا عني مثل ما ستفعل بالضبط أنت».

نظـر رامي لهـا بتمعن للحظـات.. «ولماذا تيقنـت أني مثل الجميع؟ سوف أنفض عنك».

«لأنك مثل الجميع تخاف من الموت».

«ولماذا نخاف منه ونحن سوف نذهب إليه بالنهاية؟».

«هذا ما يجب أن تسـأل سـائر البـشر عنه وليس أنا.. أنـا بالفعل لا أهاب الموت.. أنا في أشـد الاشـتياق إليه.. أريد ترك هذه الدنيا اللعينة سريعًـا كما أتيت إليها سريعًا بدون رغبتي.. البشر ما هم إلا عبارة عن نتاج لحظات دافئة لناس تعيسة سبقوهم ليجلبوا أناسًا آخرين ليشعروا بالتعاسـة هم أيضًا.. فما الحياة إلا أن تستمر في تكرار التعاسة لك ولمن سيأتي بعدك».

«يبدو عليك أنك فيلسوفة.. تخرج من فمك الحكمة».

«هـذه ليسـت حكمًا بل هي مجـرد قناعات أناس آخرين سـبقونا في هـذا العـالم وتركوهـا لنا في قلـب حروف وكلمات وسـط أمـواج من الكتـب.. وليس لغريق مثلي في تلك الدنيا إلا التشـبث بتلك الأمواج لأعبر وحدتي.. ليمضي الوقت سريعًا ثم أتعب وأغرق وأموت.. مثل من سبقوني ومن سيلحقونني».



«ألا ترغبين في الحياة؟».

«هل ترغب الحياة بي؟».

«أنا أفهم ما تشعرين به صدقيني».

«لا أنت لا تفهم.. هل نظرتك للجبل من أسفله مثل نظرتك من قمته؟».

«بل أفهم صدقيني.. لا تعتقدي أنك الوحيدة التي تشعر بالتعاسة في هذه الدنيا.. الطفل الصغير يشعر بمثل هذه التعاسة إذا لم يأخذ حلوته التي يريد.. لماذا تعتقدين أن التعاسة والضيق درجات.. الشعور واحد في كل الأوقات.. الحزن واحد سواء كان لعدم نجاح طالب أو بسبب موت صديق.. الضحك واحد سواء كان بسبب طرفة سمعتها أو رأيت رضيعًا يبتسم لي.. الشعور واحد مع اختلاف الأسباب.. وأنت أيضًا.. تريدين الحياة كأي فتاة تضحك وتلعب، تبكي وتركض.. تُحب وتحب.. لولا رغبتك في ذلك لما استطعت النجاة من كل تلك الصعاب طوال هذه السنين.. أنت تنتظرين الأمل.. لعلي أنا أكون الأمل لك.. لكي تكوني أنت كما أحببت.. هل توافقين على أن أساعدك يا أميرة»..

هنا نظرت له بعيون دامعة.. لا تدري ماذا تقول.. شعرت بشعور لم تشعر بمثله من قبل.. هل هذا هو الحب.. هل هو من يجعل قلبها يضخ بجنون مثل ما يحدث الآن.. ما سبب تلك الحرارة الشديدة التي



تجتاح جسدها.. ماذا يحدث لها.. مشاعرها المتخبطة المضطربة عبرت عنها في كلمة واحدة...

«لماذا؟».

شعر رامي بقلبه يتخبط كالنرد في أيدي محترفي الطاولة.. لم يكن تركيزه إلا على شيء واحد فقط.. تلك الشفاه الحمراء الصغيرة التي أمامه.. تقلصت كل نظراته وتركزت على تلك الشفاه.. لم يكن يرى أي شيء في وجهها إلا تلك الشفاه الحمراء.. يريد أن يفتك بها بين فمه وأسنانه.. هنا لم يستطع أن يكتم مشاعره فأطلقها بكلمة واحدة أيضًا.

«أحبك».

تحول وجه أميرة إلى الأحمر القاني من كثرة اندفاع الدماء.. وغزا العرق البارد وجهها.. لم تدر ماذا تقول.. لقد باح لها بحبه.. ولأول مرة في حياتها تسمع تلك الكلمة من رجل.. ووقع هذه الكلمة لو تعلمون عظيم لدى الفتيات.. هي مفتاح القلوب لديهن.. ظلت تحدق فيه وهو يحدق فيها لدقائق عديدة.. تريد أن تحتضنه لكنها خائفة.. نسيت أنها منبوذة.. نسيت أنها رسول الموت حاليًّا.. نسيت جميع ما عانته في الماضي.. كل ما تذكرته أنها أنثى.. أنثى كانت تجاهد منذ سنين.. أنثى كانت موءودة تحت التراب وهي على قيد الحياة.. وتلك الكلمات بعثتها مرةً أخرى من الموت.. شعور الحب كان يجذبها كالمغناطيس.. يريد أن يحتضنها بقوة ويحطم أضلاعها بين يديه.. وهي تريد أن ترتمي على صدره وأذنها بجوار قلبه تستمع لدقاته وتخبرها تلك الدقات بأنه هو حبيبها وحاميها إلى الأبد.



اشتد تجاذب مغناطيس الحب بينهما وكادا أن يتلامسا.. لولا هبوط أحد الغربان بالقرب منهما فقطع خلوتهما الجميلة.. فتداركا أنفسهما في اللحظة الأخيرة.. وتراجعا إلى أماكنهما مرةً أخرى وهما يشعران بالخجل.. ويبتسمان.. وهما مرتبكان لعدة لحظات ثم فاجأت أميرة رامي بسؤال ذكي.. «أخبرني.. إذا كنت أنا أشعر بالانجذاب نحوك لأني كنت منعزلة عن البشر لفترة طويلة وعواطفي هي من تسوقني الآن.. ولكن أنت.. لماذا قلت إنك أحببتني؟! أنت لم ترني إلا اليوم فقط؟».

ابتسم رامي من سؤالها وظل يضحك مندهشًا لعدة لحظات.. ثم نظر لها وحدثها.. «هذا شيء غريب.. أن تسألي هذا السؤال الآن.. ولكن هذا يدل على أنك ذكية.. وها هو جوابي بمنتهى الصراحة.. لا أعلم.. لا أعلم لماذا أحببتك.. وأنا أدرك أنك لا تصدقينني.. هذا حقك بالطبع فأنت لم تريني إلا اليوم فقط.. ولكن أنا أعلم نفسي جيدًا.. لقد وقعت في حبك منذ أن رأيتك لأول مرة.. هذا هو الحب من النظرة الأولى كما يقولون».

«أنا بالتأكيد لم أصدقك.. وأصدقك القول أخاف أن تلعب بمشاعري وتهجرني بعد ذلك.. ولهذا أفضل ألا نتقابل مرةً أخرى بعد الآن».

نظر لها رامي مصدومًا.. «ماذا تقولين؟ لا.. لن أدعك تغيبين عن نظري مرةً أخرى بالتأكيد.. إن لم تريدي لقائي.. فأنا أريد.. سوف أظهر لك في كل مكان.. صحراء كان أو بستانًا.. لن أدعك تغيبين



عن عينيَّ لحظة واحدة من الآن..».. نظرت له خائفة وهي تريد أن تبكي.. «لا أريد أن أصدم بك أنت الآخر.. لا تجعلني أندم على هذه اللحظات القليلة التي شعرت فيها بالسعادة ونسيت فيها من أكون».

نظر لها رامي غاضبًا.. «ماذا تكونين.. أنت أجمل بنات العالم.. هذا هو حالك وتلك هي حقيقتك.. لا تري نفسك من عيون الآخرين.. ولكن دعي نفسك تراك من خلال عيوني أنا.. أنا فقط.. ولكي أثبت لك كلامي.. سوف أدعك تلمسيني».

وقام بالكشف عن ذراعه ومدها إلى أميرة فنظرت له قلقة ومندهشة.. «الآن.. تريدني أن ألمسك الآن؟».

«نعم الآن وغدًا وفي كل مرة ترينني.. لا يهم إذا كان ما يقال عنك حقيقيًّا أم لا.. لا يهم إذا كنت سأموت اليوم أو الغد.. المهم أني سأموت وأنت بجواري..».

هزت رأسها في عنف.. «لا.. لا أريد أن أراك تموت».

«أنا بالتأكيد سوف أموت هذا واقع لا محالة وكذلك أنت وكذلك جميع من في هذا العالم هذا هو الأمر المحتوم.. أنا أريدك أن تعلمي أنني أستطيع أن أتعايش مع هذا.. الآن وغدًا وفي كل وقت.. أميرة.. أنا سوف أعيش من الآن لأجلك فقط.. ولأجلك.. أريدك أن تلمسيني الآن».

هزت رأسها بخوف.. «لا.. لا».



هنا قام رامي بإمســاك يد أميرة في الحال بيده وهي تحاول أن تنزعها منه بعنف.. وهو يصرخ بها وهو يمسك يديها . «الآن.. أنا ألمسك ولا يهمني ماذا ترين في رأسك.. لا يهمني».

فجأة وجد أميرة توقفت عن سحب يديها وأمسكت يده بقوة وهي تنظر له بعيون فارغة.. يكاد ينطفئ ضوء الحياة بها.. ظل ينظر لها رامي مندهشًـا وهي تنظر بعيونها أمامها وهي تمسك يده ويبدو أنها انقطعت عـن هذا العـالم وعن جميـع مخلوقاته.. عـدة لحظات كانـت تطبق على يديه بقوة شـديدة.. شـعر رامي بالاندهاش هل هي بالفعل ترى شيئًا الآن أم أن الأمـر كلـه مجرد هـراء لها.. مد يده اليـسرى أمام عين أميرة وأخذ يلوح يمينًا ويسارًا أمامها.. لعدة لحظات وهو يحدثها ضاحكًا.. «أميرة.. أميرة.. أين أنت؟ أين ذهبت؟ أميرة».

ليجدهــا فجـأة تدفعه وتبعده عنها بقوة.. شـعر رامـي هنا بالخضة الشـديدة وأمسـك قلبه في خوف.. «ما هذا يا أميرة..؟ لقد أشـعرتني بالفزع الشديد».

فنظـر إليها وجدها تقـف أمامه خائفـة وهي تبتعد عنـه.. فحدثها بقلـق.. «مـاذا شـاهدت يا أمـيرة؟ هل رأيتني أموت؟ هل سـأموت بالفعل؟ هل سأموت قريبًا؟».

وظـل يحدثها بقلق وسـألها عدة أسـئلة مـن هذا القبيـل وهي تنظر لـه خائفة مرتبكـة.. اقترب منها وحاول أن يمسـك يدهـا مرةً أخرى فابتعـدت عنـه . فحدثها بقلـق.. «هل سـوف أموت موتة سـيئة لهذه الدرجة؟ هل سأموت محروقًا؟».



ابتعدت عنه أميرة وهي تمسك رأسها وأعطت له ظهرها.. فحدث رامي نفسه بقلق.

«إذًا سوف أموت محروقًا.. هذا ما كنت أخشاه طوال صغري».

نظرت إليه فجأة وحدثته بارتباك.. «لا لم أرك تموت.. بل رأيتك تقتله».

شعر رامي بالصدمة الشديدة من كلام أميرة واقترب منها سريعًا.

«مَن هو؟ من الذي سأقتله يا أميرة.. أخبريني في الحال من؟».

هزت رأسها في عنف.. «لا.. لن أخبرك.. لن أخبرك من هو.. لن أدعك تصبح قاتلًا.. لن أدعك تقتله».

فحدثها رامي.. «أخبريني ماذا رأيت بالضبط.. ماذا رأيت؟».

«لقد رأيت كل شيء.. أنا أعلم كل شيء.. يا رامي.. سوف تفشل في النهاية.. لقد رأيت كل شيء سوف تفشل».

ثم تركته وهمت بالركض.. وقف رامي يشاهدها مبتعدة فصرخ بها غاضبًا.. «أخبريني من هو يا أميرة.. أخبريني.. من هو».. تلاشت كلماته في الفضاء بعيدًا عن مسامع أميرة التي اختفت عن ناظريه» فتحدث إلى نفسه مبتسمًا.. «أقتله.. إذا هو رجل..».. ثم ابتسم بشدة وهو ينظر إلى أحد الغربان وهو ينظر له بجانب عينيه السوداء المظلمة.

* * *



ذهب الذهب

كان مازن يقف خلف سراج وهو يتابع عملية نقل كتلة الذهب لعدد لانهائي من المرات وجميعها فشلت.. وكان عصام يجلس على بعد منهما وهو يشعر بالضيق من رؤية تكرار ما يفعلانه.. وظل ينظر إلى هاتفه وهو يشعر بالضجر الشديد.. اقترب منهم كريم؛ فانسحب مازن من جانب سراج بهدوء، واقترب من كريم الذي حدثه بأمر رامي وما فعله مع المنبوذة أميرة؛ فشعر مازن بالغضب ولكنه أثنى على كريم وأخذ يربت على كتفه وهو يهمس له: «يجب أن نحافظ على جهينة وقوانينها من الجميع.. يجب ألا نخضع لرغبة أي غريب مهما كان.. لولا أن هؤلاء مبعوثون من قبل الحكومة وأصبحت يدي مغلولة من قبلهم لكان لي معهم شأن آخر».. نظر كريم إلى بعض الأشخاص وهم ينظرون إلى قطعة الذهب بفضول شديد.. فأشار برأسه إلى مازن جهتهم، وأخذ يحدثه.

«لقد رأيت ما يقارب الخمسين شخصًا يدخلون إلى المدينة منذ عدة أيام.. هؤلاء هم من يريدون التنقيب عن الذهب مثلما أبلغتني».

نظر إليهم مازن بعيون متفحصة متمحصة: «اللعنة.. جهينة أصبحت قبلة للغرباء.. هؤلاء الغرباء سوف يلوثون جهينة لتصبح



مدينة ملوثة مثل باقي المدن.. مهمتك يا كريم أن تراقب جميع الغرباء.. وأن تبلغني بأي تطورات.. حماية جهينة بين يديك يا صديقي».

«لا تقلق.. أنا والمخلصون من أهل جهينة لن ندعها مرتعًا لأي غريب.. بالفعل لقد عرفنا الشرطي الذي يدفعون له النقود ليسمح لهؤلاء الغرباء بالدخول إلى جهينة.. وكلفت البعض بمراقبتهم ومعرفة من يستضيفهم بالفعل الآن من أهل المدينة من المارقين.. ليتوجب علينا حسابهم بعد ذلك».

نظر له مازن بغضب شديد: «صدقني.. صدقني، سوف أحاسبهم حسابًا عسيرًا.. فجميعهم تحت رحمتي.. مضغة بين أضراسي.. أحطمهم في أي وقت أريده.. الأهم الآن.. أن تظل ملاصقًا للعقيد سراج ومن يتبعه، وبالذات هذا الصحفي اللعين الذي يدعى رامي إمام».

هنا نظر كريم خلف مازن وأشار له برأسه: «على ذكر الشيطان، ها قد أتى بشحمه ولحمه.. ولا تقلق فرامي بالذات سوف أعامله معاملة خاصة للغاية».

وأخذ يشير إلى جهة رامي الذي اقترب منه يلوح له بيده وهو يبتسم.. نظر له رامي بغضب وتركه وذهب في الحال إلى العقيد سراج وهو يشاهد في ضيق أحد الأوناش يفشل للمرة العاشرة هذا اليوم، وكان يشعر بضيق شديد ظاهر على ملامح وجهه.. اقترب منه رامي فجأة ووقف بجواره وهو يخرج هاتفه ويضعه أمامه هو وسراج



ويبتسم، والتقط عدة صور لهما هو وسراج.. الذي كان واقفًا بجواره ممتعضًا مما يفعله فدفعه بيده سريعًا وحدثه غاضبًا:

«ماذا تفعل أيها الأحمق.. هل أنا في وضع يسمح لي بأن أصوِّر.. ألا تراني مشغولًا؟!».

ابتسم رامي له.. ثم تركه وانصرف واتجه إلى عصام الذي كان يجلس يلعب بهاتفه في ضجر فحدثه: «هل أستطيع أن آخذ صورة لنا معًا؟». نظر له عصام قليلًا ثم وقف وأخذ صورة معه سريعًا وهو يبتسم على مضض.. ثم شكره رامي وانصرف.. وأخذ يصور جميع من كان واقفًا في تلك اللحظة.. ومازن وكريم يتابعانه باهتمام.. فلاحظهما رامي واتجه إليهما سريعًا.. وأراد أن يصور مازن ولكنه رفض وتركه وانصرف فقام رامي بتصويره عدة صور وهو ينصرف.. ثم وجد كريم يبتسم له بخبث: «أتريد أن نأخذ صورة معًا؟». «نظر له رامي غاضبًا قليلًا، ثم اقترب منه والتصق به وأخذ يتصور معه وكريم يبتسم ويصنع علامة النصر بإصبعيه.. وبعد أن انتهى تركه رامي وانصرف فنادى عليه كريم ملاحقًا.. «سيد رامي». فنظر إليه رامي سريعًا: «أريدك أن ترسل هذه الصورة لكي أضعها صورة شخصية لصفحتي على موقع التواصل الاجتماعي.. سوف تكون صورة رائعة».

ابتسم رامي له بضيق وهز رأسه وهو يحدث نفسه: «يا لك من بارد أيها الوغد الوسيم».

ثم أعطى له ظهره وأخذ يصور جميع من كان يقف ويتابع عملية نقل كتلة الذهب تلك.. وبعد محاولة أخرى فاشلة لم يتمالك عصام



نفسـه وشعر بالغضب الشديد واتجه إلى سراج مسرعًا: «ألم أخبركم أن هذا الذي تفعلونه هراء وبدون جدوى؟ لقد أخبرتكم، يجب أن نأخذ صورًا بالقمر الصناعي للمدينة».

حدثـه سراج مهدئًـا لـه: «لقـد أخـبرت قيـاداتي بالفعـل.. وهـم يتشـاورون الآن لكـي ينفذوا هـذا الأمر.. وحتى تأتي الموافقة سـوف نتابـع محاولات رفع كتلة الذهب الضخمة هـذه.. الأوامر الصادرة لي هكذا».

صـاح عصام به: «في انتظار الأوامر؟ لماذا كل ذلك؟ بمكالمة هاتف مني أستطيع أن أحضر لك جميع الصور من ناسا في عدة ساعات».

«يا سـيد عصام، الأمور لا تسير هكذا.. يجب أولًا أن تتم المشاورة لأخذ الموافقات الأمنية».

ضحـك عصام سـاخرًا: «ماذا؟ أمنيـة!! هناك قمـر صناعي يلف حـول الأرض يصورهـا كلها كل سـبع دقائـق وتقـول لي: أمنية.. تم التجسـس على المستشارة الألمانية وتسريب وثائق من وكالة المخابرات الأمريكيـة، وتقول لي: أمنية.. ههههههههه.. أنا متأكد أنه في أي مكان في العالم الآن شخص يستمع إلى محادثتنا هذه.. لا يوجد في عصرنا هذا ما يسـمى أمورًا أمنية أو شـيئًا يسـمى الخصوصية.. عقلية السـتينيات التـي تعملـون بهـا الآن أكل عليهـا الزمـان وشرب.. لا تعتقـد أني لا أعلم أنكـم من قطع «الإنترنـت» والاتصالات عن المدينـة بأكملها.. وبالفعل أنا أشعر بأني أخطأت أني أتيت إلى هنا.. أنا كنت أعلم أن هذا سيحدث ولكن فضـولي غلب منطقي.. وأنا الآن أعلن انسـحابي من



هذا المكان.. وسوف أعلم جميع ما يحدث في جهينة وخباياها ولكن للأسف من خارج مصر».

حاول سراج أن يهدئ من غضب عصام: «انتظر.. انتظر قليلًا يا سيد عصام.. سوف نفعل كل ما تريد؛ لا تقلق.. كل ما هنالك فقط أننا سوف نط..» لم يكمل سراج جملته إلا وقد وجد غرابًا يسقط بجوارهم.. نظر الجميع إلى الغراب الذي سقط وهم مندهشون، وفجأة وجد غرابًا آخر يسقط، ثم سقط واحد آخر.. نظر الجميع إلى السماء فوجدوا جميع الغربان التي كانت تحلق في السماء قد سقطت على الأرض حولهم.. شعر الجميع بالاضطراب مما يحدث وهم يحاولون أن يتفادوا تلك الغربان الساقطة.. شعر الجميع بالقلق ومنهم سراج وعصام ورامي فجأة، سقط شخص على الأرض بجوارهم.. فنظروا إليه بقلق وحاول بعضهم أن يقترب منه لإغاثته ولكنهم سقطوا أيضًا.. بدأ الجميع يشعر بالهلع ويركض مبتعدًا عن هذا المكان، ولكنهم كانوا يسقطون فجأة كأسراب الذباب.. شعر عصام بالخوف الشديد وهو يصرخ في سراج والجنود: «اركضوا.. اركضوا من هنا جميعًا». وأخذ الجميع يركضون مرتاعين ومن بينهم الجنود المكلفون بالحراسة وجميع العمال على الأوناش وتجهيز عملية النقل.. ولكن فجأة سقطوا جميعًا على الأرض في هذه اللحظة، وفي أقل من دقيقة سقط كل من كان في المكان أرضًا.. نظر إليهم عصام مرتاعًا.. حاول أن يكتم أنفاسه.. ويحاول الهرب بسرعة وهو ينظر إلى رامي وسراج والجنود وأهل المدينة وهم ملقون على الأرض، وضع ملابسه على أنفه



وأخذ يركض مبتعدًا، ولكنه شعر بأن جسده ثقيل للغاية.. لم تتحمل قدماه وزنه فسقط على الأرض.. شعر بالخوف الشديد، لا يعلم ماذا يحدث؟ ماذا حل بجسده؟ كل ما شعر به أن جسده لم يعد يستطيع أن يتحكم به.. وبثقل شديد.. ثقل شديد للغاية جعله يريد إغلاق عينيه.. هو لديه يقين أنه إذا أغلق عينيه الآن فلن يفتحهما للأبد بعد ذلك.. يريد أن يقاوم ولا يستطيع.. ألهذه الدرجة نحن تحت رحمة القدر ورهن إشارته؟ بأمر منه في التو واللحظة نخضع لقوانينه: هناك آلاف الاحتمالات العلمية في عقل عصام.. يريد أن يعرف سبب ما حدث له الآن وكيف حدث؟ ولماذا؟ سوف يجد تفسيرًا بالتأكيد، هذا هو ما يفعله العلم؛ يقدم تفسيرًا.. ولكن القدر لم يمنحه حتى هذه الفرصه ليعلم ما ألم به.. عيونه أغلقت.. ولم يتبق إلا السواد والظلمة.. الظلمة الطويلة التي ليس لها نهاية.

* * *

بعد مرور عدة ساعات؛ غرقت المدينة في ظلام المساء.. كان المشهد غريبًا ومخيفًا للغاية؛ فأجساد الجميع ملقاة في كل مكان؛ في وسط الطرقات وفي المنازل وفي ساحات المقاهي والألعاب.. الجميع بلا استثناء؛ الطيور والحيوانات، لم يتبق غير الحجر والشجر.. سكون تام لا تشعر به إلا عند حفيف الهواء وهو يضرب الطرقات بدون حائل ولا مانع.. الغربان التي كانت تملأ المدينة صخبًا أصبحت ملقاة بجوار أجساد ساكني المدينة، كان الجميع في غياهب النسيان إلا شخصًا واحدًا فقط.. كريم الذي وقف وحيدًا وسط باقي الأجساد ينظر إليها



مندهشًا في وسط الظلام.. وهو يحدق إلى أجساد الجميع يبحث عن شخص ما.. اقترب قليلًا من أحد الأجساد فوجد ضالته.. إنه عمدة المدينة مازن، فاقترب منه بسرعة وأخذ يهز جسده برفق وهو يناديه: «سيد مازن.. سيد مازن».

بدأ مازن يتحرك مستجيبًا.. وهو ينظر إلى كريم مندهشًا.. ثم جلس معتدلًا وهو يحدثه متسائلًا: «ماذا حدث؟! لماذا أنا هنا؟!».

حدث كريم سريعًا: «لا أعلم.. لقد سقط الجميع فجأة ولا أدري لماذا! ولكن يبدو أنه مرت عدة ساعات على ذلك، فالمساء عمَّ بالفعل».

ساعد كريم مازن على الوقوف وهو ينظر إلى أهل المدينة الذين بدءوا في الاستيقاظ هم أيضًا بشكل جماعي.. وهم خائفون مذعورون لا يعلمون ما ألم بهم أو ماذا حدث لهم.. واتجهوا جميعًا إلى مازن وكريم بالسؤال وهم يطالبونهما بإخبارهم بما حدث.. وتفسير ما ألم بهم.. ولم يكن عند مازن الإجابة على ذلك السؤال.. وأكثر ما أدهشه هو نفسه أن الجميع استيقظوا في مكان آخر غير الذي سقطوا به، إنهم كانوا بجوار الميدان الذي كان به قطعة الذهب الضخمة، ولكنهم الآن في الطرف الآخر من المدينة.. كيف تم نقلهم من هناك؟ ومن الذي نقلهم من البداية؟ وهنا شعر مازن نفسه بالخوف يجتاح قلبه.. ماذا يحدث في جهينة بحق الجحيم؟! هذا سؤال كان على ألسنة الجميع في تلك اللحظة دون استثناء.

استيقظ عصام وهو خائف مندهش.. أخذ يتحسس جسده قليلًا.. وينظر حوله بخوف.. فوجد رامي والعقيد سراج والجنود حولهم



ساقطين على الأرض.. فابتسم ضاحكًا وهو غير مصدقٍ أنه لا يزال حيًّا.. كان يخشى بشدة أن تكون اللحظات الخائفة الهاربة تلك هي نهاية حياته البائسة.. لم يكن يتوقع أبدًا أنه ممكن أن تنتهي حياته هكذا بدون أي مقدمات أو أسباب.. ولكن لا يزال بالعمر بقية بالفعل.. تنهد مبتسمًا وهو لا يكاد يصدق أنه لايزال حيًّا هكذا، ولم يكن يدري قيمة الحياة، فبالفعل لا يعلم المرء قيمة أي شيء إلا بعد أن يفقده.. سمع سراج يتحدث إليه: «ماذا حدث؟».

وقف عصام سريعًا وهو سعيد، وساعده على الوقوف أيضًا.. ثم تحدث إليه فرحًا: «ما زلنا أحياء.. لم نمت بعد.. ما زلنا أحياء.. الحمد لله».

ثم اعتدل بعض الجنود وقاموا بإيقاظ الباقين منهم ورامي أيضًا الذي وقف مندهشًا للحظات، ولم يتحدث إلى أحد.. فأخذ سراج يتحدث إلى عصام: «ما الذي حدث يا عصام؟ أتعرف ما حدث لنا؟».

انقبض قلب عصام خوفًا وهو يحاول أن يستجمع شجاعته لإعطاء تفسير لهم وهو نفسه لا يعلم ما سبب حدوثه: «يبدو أننا خضعنا جميعًا لشيء يشبه النوم المفاجئ أو شيء من هذا القبيل».

«وكيف يحدث ذلك بسرعة هكذا ولعدد كبير من الناس؟!».

«يبدو أنه شيء غازي ألقي علينا أو أطلق في الهواء وجعلنا نشعر جميعًا بالنوم».

«كيف هذا؟ ومن يجرؤ أن يفعل ذلك؟ ولماذا؟».



هنا تحدث إليهم رامي سريعًا وهو يعطي ظهره لهم: «لا أعلم من الذي فعل ذلك.. ولكني أعلم لماذا».

ثم أشار بيده إلى الأمام.. فنظر سراج وعصام إلى المكان الذي يشير إليه.. فنظر الجميع وصدموا مما رأوه.. فلقد وجدوا أن قطعة الذهب الضخمة اختفت من مكانها، وما تبقى هناك فقط هو بعض المعدات والأحبال المطاطية التي كانت تستخدم في نقلها.. شعر الجميع بالصدمة وكان أكثرهم بالطبع سراج.. الذي شعر بأن هذا الأمر هو كارثة بالفعل.. من تجرأ وسرق كتلة الذهب تلك؟ فصرخ في جنوده سريعًا: «أيها الجنود.. انتشروا في المدينة في الحال.. اعثروا على الذهب فورًا.. نفذوا الأمر بسرعة».

تجمع الجنود قلقين ثم بدءوا في الانتشار في كل أنحاء المدينة.. وبدأت في تلك اللحظة بعض الغربان تستيقظ من نومها مثل البشر وأخذت تنعق بأصواتها وتملأ المدينة بأصوات ممتلئة بالشؤم والخوف والارتياب.. فلا يوجد شيء في العالم يشعر البشر بالخوف مثل حدوث شيء لا يعلمونه أو يعرفون كنهه.. شعر سراج بالاضطراب الشديد والقلق الحاد.. وبدون وعي منه أخرج فرشاة الأسنان ووضع عليها المعجون وأخذ يفرك أسنانه بعنف شديد.. نظر إليه رامي وعصام مستنكرين لما يفعل.. فتوجه عصام إلى رامي بالسؤال: «ماذا يفعل سراج؟ هل جُنَّ؟».



«لا أعلـم.. لقـد رأيته كثـيرًا يفعل ذلك.. يبـدو أن هذا شيء يهدئه بالفعـل.. ولكـن أين باقـي من كان معنـا؟ كان هناك الكثـير من أهل المدينة يشاهدون عملية نقل الذهب معنا.. وسقطوا نائمين مثلنا».

«لا أعلـم يـا رامـي.. هـذا شيء غريـب!! ولكن مـن الممكن أنهم استيقظوا قبلنا وذهبوا إلى منازلهم خائفين، هذا أقرب تفسير منطقي».

ابتسم رامي له: «منطق!وأين المنطق فيما يحدث هنا؟».

«هـذا أكـبر لغـز أراه أمامي يـا رامـي.. شيء غريب كظهـور كتلة الذهـب الضخمة تلـك في المدينة.. ثـم اختفائها فجـأة.. وعلى الرغم من فشـلنا في نقلها لكبر حجمهـا وثقلها.. لا أخفي عنك سرًّا.. وعلى الرغـم من أني رجل علم ولا أقتنع بأي شيء غير علمي.. فإنني بدأت أشعر بالخوف من وجودي في هذه المدينة.. ولن أمكث بها بعد الآن.. وأنت ماذا ستفعل؟ هل ستتركها مثلي؟».

ابتسـم رامـي: «لا.. لا يزال هناك أمر لم أنته منـه في جهينة.. ولقد علمت معلومات مهمة بشأنه اليوم.. لن أترك المدينة بالطبع وأظن أن سراج يشاركني نفس الأمر».

فنظـروا إلى سراج إلى أن أخذ يعض على أصابعه بغيظ شـديد وهو ينظر إلى مكان كتلة الذهب الضخمة بعد أن اختفت ولم يتبق إلا آثارها فقط مرسـومة عـلى الأرض بجواره.. مـرت عدة دقائق ثـم قدم أحد الجنـود سريعًـا وهو يحمل هاتـف القمر الصناعي ويتجـه به إلى سراج



وهـو يعطـي له التحية العسكرية: «تفضل يا باشـا.. هـذا اتصال من أجلك».

نظر له سراج بتوتر شديد وأخذ من يده الهاتف بتردد واتجه إلى جهة بعيدة قليلًا عن الجميع وتحدث بالهاتف ليسـمع صوت مأمون يحدثه: «يا سراج.. لماذا لم تقم بالاتصال بي من ساعتين في ميعادنا المعتاد؟».

اضطرب سراج وهو لا يعلم بم يخبره وكيف سيشرح له سرقة كتلة الذهب وكيف أصبح أهل المدينة نائمين لعدة سـاعات: «لقد.. لقد.. لقد حدثت عدة أمور منعتني من ذلك يا سيد مأمون».

أجابـه مأمـون: «ماذا حدث؟ لمـاذا أخرجت كتلة الذهب بسـيارة خـارج المدينـة دون أن يكـون معهـا حـرس أو تخبرنـا بـأي شيء عـن قدومها.. هل جننت يا «سراج؟».

شعر سراج بالصدمة: «ماذا؟.. هل تم نقل كتلة الذهب إلى خارج المدينـة؟ هل هي في عهدتكم الآن؟ هل هـي معكم؟». صمت مأمون قليـلًا لعـدة لحظـات أسـقطت قلـب سراج في قدمـه.. ثم أتـاه صوته سريعًا: «ماذا تعني بكلامك يا سراج؟ أنا لم أفهم ما ترمي إليه».

«أرجـوك يا مأمون باشـا.. أخبرني في الحال.. هل تـم نقل الذهب خارج المدينة وأصبح في عهدتكم الآن؟ أرجوك طمئني أرجوك».

«نعم إنه معنا ويتم نقله الآن إلى مكان غير معلوم وشديد الحراسة. ولكـن مـاذا تعنـي بكلامـك؟ هـل هنـاك شيء لم تخـبرني بـه؟ أخبرني



في الحـال.. لـو حدث هناك شيء فسـوف أسـاعدك بكل تأكيـد، ماذا حدث؟».

هنا أخـذ سراج يتنهد بقوة: «الحمدلله.. الحمدلله.. سـوف أخبرك الآن بما حدث».

ثـم سرد سراج سريعًـا ما حدث لـه في ذلك اليوم ومـا صحبته من أمـور غريبة.. وعندمـا انتهى من حديثه شعر بالاضطراب في صوت مأمـون الذي حدثه ببضع جمل صغيرة: «اللعنة.. ما الذي يحدث هناك بحق الجحيم.. اسـمعني جيدًا يا سراج.. الآن بعد أن نقل الذهب من تحت عهدتك بأمان.. أصبحـت حرًّا.. هلم عائـدًا إلى القاهرة الآن.. وسـوف أكلف أحدًا غـيرك بتولي هذه القضية ومتابعـة ما يحدث.. أنا لم أكـن أعلـم عندما كلفتك بالتحقيق هناك أني قمت بزجك في وسـط كل ذلـك الجنون.. عـد الآن.. لزوجتك وأولادك.. وأنا سـوف أقوم بتجهيز كل الأمور».

شـعر سراج بالارتيـاح من حديـث مأمون، وأنه سـوف ينتهي من هذا الكابوس الآن فشـكره بشدة: «أشكرك يا سيادة اللواء.. أشكرك للغاية.. ولن أنسى صنيعك هذا».

ثم أغلق الهاتف وقد بدا على وجهه الفرح ولسان حاله: «فلتحترق جهينـة بسـاكنيها للأبـد». وتحـدث سراج إلى أحـد الجنـود بالقـرب منـه وأخبره بـأن يجمع الجنود في الحـال ويكفوا عن عمليـة البحث في المدينة.. فامتثل الجندي لأوامره ثم ذهب مسرعًا لجلب زملائه.. واتجه سراج وهـو فرح إلى جهة رامي وعصام وهمـا يتحدثان فتحدث إليهما



وأخبرهما بأنهم وجدوا الذهب خارج المدينة في سيارة بدون حرس أو أي شخص».

فنظر عصام إليه مندهشًا وهو يحدثه: «لماذا إذًا تكلَّفَ السارق عناء أن يجعل أهل المدينة كلها يغطون في النوم إذا كان يريد أن يسلم الذهب إلى الشرطة؟ لماذا؟! وكيف استطاع أن ينقل هذا الذهب ولم نستطع نحن أن نزيحه من مكانه؟ هناك أمر غريب يحدث».

ابتسم سراج حسنًا، هذا الأمر لم يعد يخصني بعد الآن.. فلقد تم نقلي إلى القاهرة وسوف يتم تكليف شخص آخر بالعمل على هذه القضية».

فتحدث إليه عصام: «أنا أيضًا لن أمكث في تلك المدينة بعد الآن.. فسوف أعود إلى عملي مرةً أخرى.. وسوف أحاول أن أحل غموض جهينة هذه في مكان أكثر علمية».

«حسنًا.. سوف أعود اليوم إلى القاهرة.. سوف أصطحبك معي في رحلتي».

حدثه رامي بقلق واضطراب: «ماذا عني يا سراج باشا؟».

«لا تقلق، سوف تعود معنا أنت أيضًا».

«لا.. لا.. لا أريد أن أترك جهينة.. فهذا سبق صحفي مهم لي، أنت تعلم ذلك».

«أتريد أن تمكث في تلك المدينة اللعينة بعد كل ما حدث.. إن أمرك غريب للغاية».



«ماذا سيحدث إذا تركت المدينة.. لن أجد شخصًا يسهل لي أموري كما يحدث معي الآن.. أنت تعلم بالاتفاق الذي بيننا يا سيد سراج.. لن أجد تجاوبًا أو مساعدة من الشرطة مثل الآن».

ابتسم سراج في الحال: «هذا ما يقلقك؟ لا تشغل بالك، سوف أطلب من أي شخص يحل مكاني أن يقوم بتسهيل كل الأمور لك.. لا تقلق.. ولكن بشرط ألا تنشر أي شيء خاص بالتحقيقات إلا بعدما تنتهي مثلما اتفاقنا».

«أنا على اتفاقنا كما أخبرتك من قبل يا سراج باشا.. لا تقلق أبدًا».

نظر سراج إلى المدينة وهو يتجه إلى إحدى سيارات الشرطة وبجواره عصام: «إلى اللقاء يا جهينة.. لقد مكثت بكِ بضعة أيام قليلة، ولكني لن أستطيع أن أمحوها من حياتي أبدًا».

اتجه إلى سيارة الشرطة وقادها وبجواره عصام وأخذا يتحدثان وهما متجهان إلى مخرج المدينة.. وهنا نظر عصام إلى عدد من السيارات تتجه إلى خارج المدينة مثلهما.. فتحدث إلى سراج: «يبدو أن الكثير من أهالي المدينة قرروا ألا يمكثوا هنا مثلنا». «بالطبع أي شخص طبيعي سوف يرحل بعد حدوث تلك الأمور المجنونة في تلك المدينة».

ابتسم عصام: «أتعتقد أن رامي مجنون؟».

نظر له سراج مبتسمًا: «على العكس.. رامي ذكي للغاية.. ولكنه يخفي شيئًا عنا جميعًا.. أنا أكاد أجزم بأنه هو الوحيد الذي يعلم ما يحدث في تلك المدينة اللعينة».



«إذًا لماذا لم تحاول أن تضغط عليه لتكتشف ما يخفيه في جعبته؟».

«بالتأكيد أنا كنت أمارس ذلك بطريقة غير ملموسة، ولكن الآن بعد أن أترك القضية، فإن الأمر لن يعنيني بعد ذلك.. فرامي وجهينة سيكونان مشكلة شخص آخر».

توقفت بعض السيارات فجأة أمامهما وأصبح هناك زحام.. حاول سراج أن يتفادى بعض السيارات التي توقفت أمامه ونجح بعد لحظات ..ليجد أن السيارات كانت تتوقف لوجود ضباب أبيض كبير يغطي مدخل المدينة.. شعر سراج بالاندهاش من كثافة وحجم الضباب الذي يغطي هذه المنطقة.. فتحدث إلى عصام: «ما هذا الضباب الكثيف؟ هل انقلب الجو هكذا في غمضة عين؟».

«هذا شيء غريب للغاية؛ لأن درجة الحرارة ليست منخفضة ونحن لسنا بالقرب من أي مصدر مائي.. صعب تكون الضباب في ظل هذه الظروف!!».

شعر سراج بالضيق: «لا يهم ماذا يحدث هنا بعد الآن .. فسوف أغادر من هنا.. سوف أغادر.. هيا ترجل من السيارة واتبعني، سوف نذهب إلى خارج المدينة على أقدامنا.. فمخرج المدينة على بعد عدة أمتار».

ترجل سراج من السيارة وبجواره عصام وبعض أهل المدينة المصممين على الخروج، ودلفوا وسط الضباب الذي كان مثل الدخان الأبيض الكثيف.. لا تستطيع أن ترى أصابع يديك من خلاله.



فحدثـه عصام: «الآن في وسـط هـذا الضباب يجـب أن نقوم بعدة إجـراءات.. أولًا يجـب أن نمشي بجوار الرصيـف دائمًا وأن نضيء أي إضـاءات في أيدينا ونرفع أيدينا عاليًا.. حتى يرانا أي شـخص إذا كان يركب سيارة أو ما شابه.. ويجب أن نتحرك بجوار بعضنا دائمًا حتى لا نضل من بعض».

قـام سراج بتنفيذ حديث عصام وأشـعل مصبـاح هاتفه، ثم صرخ عصـام في أهـل المدينـة خلفه بـأن يفعلوا مثلـما يقـول، وأخبرهم بهذه التعليـمات.. مـرت عشر دقائـق، وهنا بـدأ الضباب ينقشـع وظهرت المنـازل ومعالم الطريـق مرةً أخـرى.. وأخذ سراج يبحـث عن الجنود الذيـن يحوطون المدينة من مداخلها فلم يجد شـيئًا.. فاندهش بشـدة.. فحدثـه أحد أهل المدينـة من الذين اصطحبوه كيف هـذا؟ أين نحن؟ فحدثه شـخص آخر: «هذا مستحيل». فسـألهم عصام بفضول: «ماذا تعنون بذلك؟ ما هو المستحيل؟». فأخذ الرجل يحدثه: «لقد عدنا مرةً أخرى إلى وسط المدينة!!».

فتحدث إليه سراج «ماذا؟! ماذا تقول؟! يجب أن نكون الآن خارج المدينة، فكيف سـنعود إلى وسـط المدينة مرةً أخرى؟!». ثم عاد سراج مـرةً أخـرى إلى جهـة الضبـاب.. ليجد نفسـه هو وعصـام في منتصف المدينـة مرةً أخرى.. شـعر الجميع بالدهشـة والخـوف، ولكنهم قرروا جميعًـا الخـروج مرةً أخرى، وسـلكوا الطريـق من منتصـف المدينة إلى مخرج آخر من مخارج المدينة وجدوه مغطًّى بالضباب أيضًا.. فاخترقوه سريعًا غير عابئين بسلامتهم هذه المرة لعدة دقائق، وخرجوا منه ليجدوا



أنفسهم في منتصف المدينة مرةً أخرى.. هنا شعر سراج وعصام بأنهما في درب من دروب المستحيل.. فهبَّا إلى المخرج الثالث والرابع من المدينة فوجداهما ممتلئين بالضباب أيضًا.. ولكنهما أوصلاهما إلى أماكن أخرى من أطراف المدينة.. كررا الأمر عدة مرات ولساعات عديدة.. ليجدا أنفسهما يعودان إلى داخل المدينة عندما يهمان بالخروج منها.. هنا صرخ سراج بيأس وهو يركع على قدميه: «إن تلك المدينة اللعينة لن تخرجنا من هنا.. سوف نحبس هنا إلى الأبد.. إلى الأبد».

شعر الجميع بالاضطراب والخوف من كلمات سراج اليائسة.. ونظرات الاندهاش والصدمة تعلو وجه عصام.. وهو يفكر.. هل سيظلون محبوسين داخل جهينة إلى الأبد بالفعل؟».

* * *



تحت الحصار

مرت ثلاثة أيام كاملة وأتم سراج وعصام ورامي أسبوعًا كاملًا بداخل جهينة.. ولم يستطع أحد أبدًا الخروج من مدينة جهينة.. جميع من يذهب إلى مخارج المدينة يجد الضباب، وحينما يخترقه يجد نفسه في أماكن مختلفة من أنحاء المدينة.. ولم تنجح بعض اقتراحات العالم عصام بأن يخترقوا الضباب بالسيارات وبقوة وسرعة حيث نتج عن ذلك عدة حوادث حيث كانت تخرج السيارة مسرعة فجأة فتظهر بأي مكان من المدينة فتصطدم بالمارة أو بأحد المنازل أو الأرصفة.. حاول سراج الاتصال كثيرًا بأي شخص خارج مدينة جهينة ولكن انقطعت جميع الاتصالات بالعالم الخارجي حتى عن طريق الاتصال بالأقمار الصناعية لم تفلح.. وأصبح الجميع حبيس أسوار جهينة غير المرئية.. يتواجد سراج بالمدينة ومعه 20 جنديًا فقط مسلحًا بالأسلحة الخفيفة، وعصام الذي شعر باليأس والندم لاشتراكه في أحداث هذه المدينة، ورامي الذي كان لا يعير جميع ما يحدث أي اهتمام ولكنه كان يتردد على منزل أميرة كثيرًا ويتمنى أن يراها وأن يتحدث معها، ولكنها كانت مختفية عن الأنظار هي أيضًا ولم تكن تنزل من المنزل وكانت عمتها فقط هي التي تتردد على الأسواق وتشتري احتياجات البيت.. أما بالنسبة لكريم ومازن عمدة المدينة فقد استطاعا أن يحافظا على



الروتين اليومي لمدينة جهينة بمساعدة كبار عائلات المدينة ومضت الأمور على نصابها.. أو هكذا يظنون.. حيث في مساء اليوم الثالث بعد حصار الجميع داخل جهينة.. حدثت عدة أمور كان لها تأثير كبير على المدينة.

❋ ❋ ❋

في الساعة السابعة من مساء هذا اليوم كانت زوجة سرور بكري المنبوذ تحاول أن تصنع العشاء في مطبخها ولكنها لم تجد طعامًا يكفي لذلك.. فخرجت لزوجها وهو يشاهد أحد أفلام الكارتون مع ابنته الصغيرة وحدثته في الحال: «سرور لقد نفدت جميع مكونات الطعام التي ابتعناها من قريب ولا يوجد شيء نقتات عليه للعشاء؛ ماذا ستفعل الآن؟ أنت كنت تحضر لنا احتياجاتنا من خارج المدينة ؛ ولكن الآن لا يستطيع أحد أن يخرج من تلك المدينة الملعونة.. لقد حوصرنا بها جميعًا».

أشار إليها سرور بإصبعه أن تصمت.. فحدثته ابنته بسؤال في الحال: «أبي ألن نستطيع أن نخرج خارج المدينة؟ هل سنموت جميعًا؟»..نظر إليها سرور، مندهشًا: «ماذا، من أخبرك هذا الهراء ياصغيرتي؟».. فأجابته سريعًا: «لقد سمعت أمي تتحدث معك عن هذا بالأمس».. فنظر سرور غاضبًا إلى زوجته: «أرأيت.. ماذا فعلت بحديثك؟!».

فابتسم لابنته وهو يطمئنها ويقبلها: «لا تخافي يا دبتي الصغيرة.. لن نموت هنا أبدًا.. والدك لن يجعل أي شخص يقترب منك أنت أو أمك ويؤذيكما.. والدك أقوى رجل في العالم كما تعلمين».



ثـم احتضنهـا: «هيًّا يا دبتـي الصغيرة اذهبـي إلى غرفتك الصغيرة الآن لأني أريـد التحـدث مع أمـك في كلام خاص بالكبـار فقط.. هيًّا اذهبي إلى غرفتـك الآن وسـوف نكمل مشـاهدة فيلـم الكارتون فيما بعد».

أومأت الطفلة برأسـها بالإيجاب ثم انصرفـت سريعًا إلى غرفتها.. وعنـد اختفائهـا عـن عيـون والديهـا انفجـرت في الحـال زوجتـه غاضبة: «أرأيت؟! آخر عنادك اللعين هذا أوصلنا إلى أن نظل محبوسين في هـذه المدينـة الملعونـة للأبد.. مـع أهلهـا المجانين الذيـن لا يحبوننا ولا يريدون التعامل معنا».

حدثهـا سرور برفق: «يا هاجر.. لا تقلقي.. أنا متأكد أن الأمر كله ما هو إلا خدعة قامت بها الحكومة حتى يستطيعوا أن يخرجوا الذهب إلى خارج جهينة دون أن يطالب أحد بهذا الذهب أنت تعلمين أن هذا هو الحديث الشائع الذي يتردد على ألسنة الجميع حاليًّا.. الموضوع لن يأخذ كثيرًا وسـوف تسـمح الحكومة للجميع أن يخرجوا ويعودوا من المدينة كما يشاءون».

وهـل الحكومـة تستطيع أن تصنـع ضبابًا حـول المدينة؟ هـذا أمر ليس من فعل البشر.. أنا أشعر بأننا في الأيام الأخيرة من نهاية العالم.. ينتابني القلق من أن نموت جميعًا هنا».

وبـدأت تبكـي هاجـر بشـدة.. فشـعر سرور بالشـفقة عـلى زوجتـه فقـام سريعًـا باحتضانهـا في صـدره.. وأخـذ يربـت عـلى رأسـها وهـو يطمئنها: «لا تخافي يا زوجتي الحبيبة نحن الآن كما تعلمين في ظروف صعبة



ولقد مرت أسرتنا الصغيرة بالكثير من المحن والمتاعب بسببي وبسبب أنانيتي.. أعدك أن جميع الأمور ستكون على ما يرام لو ظللنا بجوار بعضنا كما نفعل دائمًا.. وأعدك بأني سوف أفعل ما تريدين بعد ذلك».

مسحت هاجر دموعها بملابسها ونظرت إلى سرور: «أريد أن نذهب إلى خارج تلك المدينة الملعونة إلى الأبد.. لا أريد أن أعيش في جهينة بعد الآن.. لقد تحملت أنا وابنتي الكثير من الإهانات والضغوط ولا أريد أن أستمر في ذلك بعد الآن.. عدني يا سرور.. عدني بعد انتهاء تلك الأمور وإذا استطعنا الخروج من هنا مرةً أخرى، فعدني أنك لن تطأ بقدمك تلك المدينة الملعونة مرةً أخرى.. عدني يا سرور».

أخذ سرور ينظر إلى وجه زوجته وهي تنظر إليه بعيون دامعة وأنفها ووجهها مصبوغان باحمرار دماء الخوف والقلق.. فاستسلم سريعًا لمخاوف زوجته وهي في أحضانه فتنهد وهو يضم رأسها مرةً أخرى إلى صدره ويحتضنها.. سوف أنفذ جميع ما تريدينه يا هاجر.. لن أجد زوجة مخلصة مثلك في هذا العالم أجمع.. سوف أفعل أي شيء لسعادتك أنت وابنتي.. حتى ولو كان هذا ثمنه أن أدهس بقدمي كرامتي وأنفذ طلب أهل المدينة في إبعادنا».

هنا خرجت الطفلة الصغيرة من حجرتها فوجدت والدها يحتضن والدتها فنظرت إليهما مبتسمة: «وأنا أيضًا.. أريد حضنًا كبيرًا» وذهبت مسرعة وقامت باحتضانهما من أسفل أقدامهما.. فابتسما وقام سرور بحملها سريعًا بيده وقام باحتضانها مع أمها.

* * *



وقفت سعاد عمة أميرة خلف إحدى الضلف الخشبية للنافذة وهي تلمح رامي واقفًا أمام المنزل مترقبًا ظهور أميرة.. فاتجهت مبتسـمة إلى أميرة بغرفتها وأخذت تحدثها: «يبدو على رامي الغريب الذي حدثتني عنـه أنـه معجب بكِ كثـيرًا.. إنه يقف كل يوم أمام بـاب المنزل يترقب ظهوركِ باشتياق شديد».

أخذت أميرة تنظر لها مسـتنكرة وهي تقرأ في كتاب بيديها «أرجوكِ يا عمتي كُفِّي عن الحديث في هذا الشـأن.. كل سـاعتين تتحدثين عن هذا الأمر».

«إني أتمنـى أن أراكِ عروسًـا مثـل قريناتك ومن هن بمثل سـنك.. أنـتِ آيـة في الجمال.. ولولا هؤلاء الحمقى الموجـودون في المدينة لكان لكِ شأن آخر..».

«يـا عمتي أرجوكِ كُفِّـي عن هذا الأمر.. لمـاذا تعيدين الحديث فيه دائمًا؟».

«أنا لا أعلم ما الذي ألم بكِ.. لقد أخبرتني أنه ساعدك في الحصول على أدوية لي.. ولولا ذلك لمتُّ.. وأيضًا سـاعدك وهو يعلم ما يقول أهـل المدينـة عليـكِ.. لمـاذا إذن أصبحـتِ هكـذا عندما قابلتـه للمرة الثانية؟ هل أخلاقه سيئة؟ هل طلب منكِ أمرًا منافيًا للآداب؟ حاول أن يفرض نفسه عليكِ؟».

وضعت أميرة الكتاب الذي بيدها جانبًا: لا يا عمتي.. إنه شخص مهـذب للغاية.. ولكـن.. ولكن هناك أمور يخفيها عـن الجميع.. وإذا



علم ماذا شاهدت في مستقبله فسوف ينقلب حاله لشيء سيئ.. سيئ للغاية.. ولهذا يجب ألا يراني مرةً أخرى.. أبدًا».

اقتربت منها سعاد وهي قلقة وجلست على السرير بجوارها وهي تضع يدها على كتفها: «ماذا رأيتِ يا أميرة.. هل رأيته يموت.. لماذا فعلت هذا يا بنيتي؟».

«لا.. لم أره يموت.. ولكني شاهدت أمرًا لا يصح أن أراه.. إن رامي هذا.. لا.. لا أستطيع أن أخبرك أنت أيضًا يا عمتي.. لا أستطيع أن أخبر أي شخص عما شاهدته.. أبدًا».

«حتى أنا.. حتى أنا.. أنا أعتبر نفسي أمك.. هل ستخفين الأمر عن أمك؟».

«لو أستطيع أن أخفيه عن نفسي لفعلت.. يجب أن أفعل ذلك حتى أنقذه من نفسه».

* * *

في تلك الأثناء كان متولي مساعد مازن يبتاع إحدى حاجياته من متجر عزام مترجلًا عائدًا إلى منزله.. وهنا لاحظ رجلًا يجلس على أحد أرصفة الشارع أسفل أحد أعمدة الإنارة وبجواره بعض الغربان مجتمعة حوله وتقف على جسده وعلى ملابسه.. والرجل لا يدفعها ولا يفعل أي شيء ليصدها.. شعر متولي بالاندهاش مما رآه.. فاتجه إليه سريعًا وقام بإبعاد الغربان عنه ونظر إليه نظرة متفحصة فوجده شخصًا أشعث الرأس وله لحية كبيرة غير مهذبة وملابسه متسخة ويبدو من



الوهلة الأولى أنه من المشردين، ولكن ما أثار دهشة متولي أنه لا يوجد أي مشردين في جهينة أبدًا.. فنظام التكاتف الذي يستخدمه أهل المدينة لا يجعل من أحد فقيرًا فما بالك بأنه مشرد؟! هنا لم يجد متولي أي تفسير بأن هذا الغريب المشرد من خارج جهينة.. هل حدث أن أتى من خارج المدينة؟ هل يعني هذا أن الحصار على المدينة من ذلك الضباب الغامض قد انفض؟ هنا شعر متولي بالارتياح الشديد.. إذا كان هذا الخبر حقيقيًّا وانتهى الحصار عن مدينة جهينة وهو كان خلف هذا الخبر فسوف يرفع من أسهمه أمام أهل المدينة، أمام مازن الذي أرغمه على الابتعاد عن أي شيء يخص شئون المدينة وأضاع حلمه في أن يتقلد منصب العمدة ذلك المنصب الذي كان تحت عينيه من سنوات كثيرة وحرمه منه بقاء مازن في منصبه طوال تلك الفترة.. وعلى الرغم من أن رائحة المشرد كريهة وملابسه مقززة فقد كانت تجتاح متولي رغبة عارمة في أن يقبل هذا المشرد الذي أصبح رسول الأمل لأهل المدينة ولمتولي في نفس الوقت.. أخرج متولي قطعة فاكهة من مشترياته وأخذها بيده وقدمها للمشرد فرحًا وهو يسأله «خذ.. خذ هذا الطعام. وأخبرني، هل أنت من خارج المدينة؟ هل استطعت أن تدخل المدينة بسهولة؟ أخبرني عن كل شيء سريعًا».

ولكن المشرد لم يمد يده للطعام أو ينبس ببنت شفة أو يحرك ساكنًا.. أخذ متولي ينظر إليه مندهشًا وأخذ يدفعه برفق: «أنت! أيها الغريب.. أنت.. فلتجبني».



ولكن المشرد لم يحرك ساكنًا.. شعر متولي بالخوف أن يكون هذا المشرد قد مات أو شيء من هذا القبيل.. فاقترب منه قليلًا برأسه.. والرائحة الكريهة أزكمت أنفه.. فوضع يده على أنفه وهو يقترب من صدر المشرد وانتظر للحظات سمع خلالها نبضات قلبه الخافتة تعمل بانتظام.. فشعر بالارتياح فتحدث إليه مرةً أخرى: «أنت.. أيها الرجل، من أنت؟».

نظر إليه المشرد فجأة وظل يردد بعض كلمات بصوت خافت فلم يسمعها متولي جيدًا.. فاقترب منه مرةً أخرى مرغمًا وهو يتأفف ويضع يده على أنفه ويقترب منه ليسمع صوته.. فسمعه ينطق بكلمتين فقط ويكررهما دائمًا.

«أخي.. يوسف، أخي.. يوسف».

وظل يكرر ذلك.. فنظر إليه متولي مندهشًا.. وأخذ يحدثه: «يوسف من؟ هل هو أخوك؟ هل أخوك هذا من أهل جهينة؟ أخبرني».

ولكن المشرد ظل يردد: «أخي.. يوسف». فقط ولم يتحدث بشيء آخر غير ذلك.. فشعر متولي بالضيق فحدثه مرةً أخرى: «أخبرني.. من أين أتيت؟ هل أتيت من خارج جهينة؟ هل هناك شخص يعلم من أنت هنا؟».

المشرد لم ينفك عن قول :أخي يوسف.. أخي يوسف.. البحر.. هنا ذكر شيئًا جديدًا وهو البحر فظل متولي ينظر له مستغربًا وهو يهرش في رأسه: «البحر.. أخوك يوسف والبحر.. ماذا تعني بذلك؟» ظل متولي



يحدق بالمشرد مفكرًا وهو يحاول أن يتذكر أي شيء من أقوال المشرد.. «إممم.. أخوك اسمه يوسف.. وبحر.. يوسف من؟ وبحر ماذا؟ ما هذا الهراء؟».

وهنا ومضت فكرة في رأس متولي فجأة جعلته ينظر إلى المشرد بذهول وهو يحدثه مصدومًا: «أيمكن.. أيمكن أنك أخو يوسف فهمي؟ هل يعقل هذا؟».

ظل يتردد إلى رأس متولي أن هذا المشرد بالفعل هو أخو يوسف فهمي.. ولكنه ظل يفكر بأن هذا شيء مستحيل.. وظل يفكر: هل هذا الشخص هو بالفعل؟ بلع ريقه بقلق واقترب منه وحدثه: «هل أنت.. الأخ الأكبر ليوسف فهمي؟ هل أنت عزت؟».

نظر إليه المشرد للحظات ثم أومأ برأسه بالإيجاب.. هنا شعر متولي بالصدمة ولم تقو قدماه على حمله فسقط على الأرض وهو ينظر إلى المشرد خائفًا مبتعدًا عنه وهو يزحف على يديه مندهشًا: «أنت.. عزت فهمي؟ هذا مستحيل.. مستحيل».. استند المشرد إلى الحائط خلفه بصعوبة ووقف أمام متولي وحدثه بصوت خافت: «أخي.. خذني إلى أخي».

* * *

ظل رامي واقفًا أمام باب منزل أميرة وهو ينظر إلى الإضاءة الظاهرة من خلف نافذة غرفتها وهو يضع يده اليمنى في ملابسه يتحسس شيئًا بداخلها وهو ينظر إلى الأضواء بشغف.. إلى أن وجد



الإضـاءات أغلقـت فجـأة.. دليـل على خلود أهـل المنـزل إلى النوم.. هنا شـعر رامـي بالضجر وفقد الأمـل أن يرى أمـيرة.. أراد أن يصعد إليهـا ليتحدث معها ولكنه كان يعلم أنهم لن يفتحوا له باب المنزل كما حـدث معه من قبـل مرتين.. هنا تحرك من مكانه غاضبًا . وهو يسـب أمـيرة واللحظـة التي رآها بهـا، وظل هائـمًا مارًّا بالشـوارع إلى أن وجد كريم يقف بسـيارته الحمراء بجـواره ويصدر له عدة أصوات من بوق سـيارته.. فالتفت إليه رامي سريعًا.. فوجد كريم يشـير إليه ويلوح له بيده: «إلى أين أنت ذاهب يا سـيد رامي؟ أنا سوف أذهب إلى المنزل لو تريد أن أوصلك في طريقي».

نظر إليه رامي مندهشًا من رؤيته.. وتردد للحظات.. وظل ينظر إلى كريم ويفكر لمدة دقيقة فحدثه كريم.. «ماذا هناك؟ ألاترغب بالذهاب معي».. شـعر رامـي بالاضطراب والعرق يغـزو جبهته.. فجأة أخرج هاتفـه وأخذ ينظـر إلى بعض الصور بـه للحظات ثم ابتسـم.. فوضع الهاتف في جيبه سريعًا ونظر إلى كريم وحدثه مبتسمًا :«حسنًا أيها الوغد الوسيم فلتأخذنا إلى المنزل».

واتجـه إلى سـيارة كريم الـذي فتح له بابها وأخذ يبتسـم لـه بعد أن صعد إليها.. «هل كنت في انتظار النداهة مرةً أخرى؟».

شـعر رامي بالغضب من حديثه.. فرفع كريم يده سريعًا:«آسف.. آسف.. لن أتدخل في خصوصياتك مرةً أخرى.. أنا آسف».



تنهد رامي غاضبًا ونظر إلى الأمام وانطلق كريم بالسيارة عائدًا إلى منزله.

***

توقف سرور بسيارته بالقرب من متجر عزام ليحضر احتياجاته؛ نظرًا لعدم استطاعته الخروج خارج جهينة.. وكان بجواره ابنته الصغيرة تنظر من نافذة السيارة وهي تلوح للغربان بيديها مبتسمة، فتحدث إليها سرور: «انتظري هنا يا دبتي الصغيرة سوف أذهب إلى داخل المتجر لأحضر الطعام ومستلزمات البيت سريعًا وسوف أعود».

فتحدثت إليه: «لا يا أبي.. خذني معك إلى الداخل».

«لقد أخبرتك من قبل أني لن آخذك إلى الداخل قبل أن نغادر المنزل وأنت تعلقت بي وقلت لي: إنك سوف تنتظرين بالسيارة».

حدثته بترجٍّ: «.. أرجوك يا أبي.. خذني معك.. أنا أخاف أن أكون بمفردي بالسيارة».

نهرها سرور بغضب: «ألم أقل لكِ أنا وأمك ألا تذهبي معي؟ أنا أعلم أنكِ سوف تفعلين ذلك».

«حدثته بترجٍّ: «أرجوك يا أبي.. إني لم أخرج من المنزل منذ فترة طويلة.. أريد أن أذهب معك.. أنا لا أخرج معك كثيرًا». تنهد سرور بقوة.. وأخذ ينظر إليها بقلق.. وهو يشعر بعدم الارتياح من رد فعل



أهل جهينة عندما يرونها.. ولكنه فكر بأنهم سوف يلتمسون له العذر؛ لأنه لا يستطيع أن يخرج خارج المدينة مثلما كان يفعل من قبل.

«حسنًا سوف آخذك معي ولكن بشرط واحد فقط؛ ألا تتحدثي مع أحد إطلاقًا.. وأن تمسكي يدي جيدًا ولا تتركيها أبدًا» ابتسمت فرحة: «حسنًا يا أبي.. سوف أفعل.. سوف أفعل كل ما تريد».

هبط سرور من السيارة وأمسك بيد ابنته بقوة وهو يبتلع ريقه وينتفض قلبه بشدة وهو يتقدم جهة متجر عزام الذي لم يدخله منذ فترة طويلة للغاية.. دلف سريعًا من بوابة المتجر وهو يخفي نفسه من أعين الجميع ويتمسك بيد ابنته بقوته التي كانت تعطيه المقدرة على المواصلة، فهو كان يخشى مواجهة أهل جهينة منذ أن جعلوه منبوذًا وهذا هو أول احتكاك حقيقي معهم منذ خروجه من السجن.. أخذ يتقدم داخل المتجر المكتظ برواده المنشغلين والمنهمكين في أخذ حصصهم من بضاعته وهو يتلصص بنظراته على الجميع هل لاحظوه أم لا؟ وبالفعل وجدهم منشغلين عنه ولم يلحظوه.. فأخذ سلة سريعًا وأخذ يدس بها ما يحتاجه في خلسة.. وابنته تراقبه في توتر وتشاهد ماذا يفعل.. في عشر دقائق فقط استطاع سرور أن يملأ سلته بأكملها.. فشعر بالفرح لأنه استطاع أن يأتي بحاجياته دون أن يلتفت أحد من أهل جهينة إليه.. ولكن اضطرب قلبه عندما شاهد الصف الطويل أمام «الكاشير» وهم يدفعون ثمن حاجياتهم، وخلف «الكاشير» كان يجلس عزام في مقعده كالمعتاد أمام «الكاميرات».. تشجع سرور وهو يقف بآخر الصف يمني نفسه أنهم لن يتعرفوا عليه أيضًا؛ نظرًا

لاختفائه فترة كبيرة عن أعينهم.. وظل ينظر إلى الأرض أمامه وهو يحاول أن يخفي ملامحه عن الجميع ويمسك بيده اليمنى ابنته وباليسرى يمسك به سلة مشترياته.. مرت عشر دقائق تقريبًا وجميع الأمور على ما يرام.. واقترب سرور من «الكاشير» ولم يكن أمامه إلا بضعة أشخاص فقط.. وتنفس سرور الصعداء وهو يعلم أن مهمة ابتياعه من المتجر تكاد تمر بسلام.. في تلك الأثناء رأت ابنته إحدى الفتيات تحمل قطعة شيكولاتة بيدها تأكلها.. أثار ذلك المشهد شهية الفتاة الصغيرة وأخذت تشير إلى أبيها: «أبي.. أبي أريد قطعة شيكولاتة مثل تلك». وأشارت إلى الفتاة التي كانت تأكل الشيكولاتة وهي تمسك بيد والدها.. شعر سرور بالاضطراب من حديث ابنته وربت على يديها مبتسمًا قلقًا وهو يحاول ألا يلفت إليه الأنظار: «حسنًا.. حسنًا».

وهنا نظر بعض الفضوليين إليه بتمعن.. فشعر بالقلق وغزا العرق جبهته فطأطأ برأسه للأسفل حتى يتحاشى عيون الفضوليين.. فجأة وجد صوتًا يأتي من جانبه: «أليس هذا هو سرور؟ أليس هو ذلك المنبوذ؟».

شعر سرور بالخوف يجتاح قلبه.. وبالغضب أيضًا من سماعه نعته بالمنبوذ.. لكنه تصنع عدم سماعه حديثه.. هنا أخذت العيون المتفحصة المتمحصة تنظر إليه بنظرات جائعة فضولية ويحدقون إليه وبدأت الهمهمة تتزايد: «يبدو أنه هو.. نعم إنه هو.. يمكن أن يكون هو.. أنا لم أره من قبل هنا». وبدأت تتحول الهمهمة إلى ثرثرة.. والثرثرة تحولت إلى امتعاض واعتراض على حضور سرور: «ما الذي



أتـى بالمنبوذ هنا؟ أخرجـوه من بينكم.. اخرج من هنـا». وبدأ الجميع بالصيـاح عليـه والصراخ بـه.. وبعضهم قـام بدفعه في جسـده بقوة.. فتراجع سرور بجسـده وهو يمسـك يـد ابنته فتعثـرت الفتاة الصغيرة وسـقطت على الأرض.. فشـعر سرور بالخوف الشـديد على ابنته فقام برفعهـا من عـلى الأرض وهـو يتفحصها بقلـق والفتاة تبكي وتشـعر بالخـوف من صراخ الناس على أبيها.. هنا لم يسـتطع سرور أن يتحمل فصرخ بهم غاضبًا: «ماذا تريدون أيها الملاعين؟ اتركوني وشـأني.. لقد أخفتم الفتاة الصغيرة».

فحدثـه بعـض الغاضبـين: «أنت الـذي فعلت ذلـك.. أنت تعلم بـأن المنبوذين ممنوعون من التعامـل أو الوجود مع أهل جهينة.. فلماذا حضرت وأنت تعلم أنه ممنوع؟».

فـصرخ بهم غاضبًا وسـط بكاء ابنته: «ليـس ذلك بإرادتي.. لو أني أستطيع الخروج من المدينة مع هذا الضباب اللعين لما رغبت بوجودي بينكم».

ظل أهل المدينة يصرخون به غاضبين وتجمعوا عليه وكادوا يفتكون بـه ولم يمنعهـم وجود الفتـاة الصغيرة الباكيـة بين يـدي والدها.. هنا صرخ عزام صاحب المتجر بالجميع: «أيها الأوغاد.. اصمتوا جميعًا».

فصمـت الجميـع احترامًـا لعـزام ولمكانتـه في وسـط المدينـة؛ فهو صاحب سلسـلة «الماركات» في المدينـة بأكملها، ومن العائلات العشر الكبـيرة التي تنظم شـئون المدينة، وله نفوذ وسـطوة كبـيرة في جهينة، ولم يرغـب أحـد في إغضابه.. اسـتغل عزام صمتهم مـن رهبته وتقدم



بينهم إلى أن وقف أمام سرور فاقترب منه ونزع من يده سلة المشتريات بعنف وهو يحدثه: «تفضل إلى خارج المتجر إذا سمحت.. أنا لا أريد اضطرابات في داخل متجري».

حدثه سرور بترجٍّ: «أرجوك يا سيد عزام.. من أجل ابنتي الصغيرة.. لا يوجد في منزلنا ما نأكله.. ولا أستطيع أن أذهب إلى أي مكان آخر.. سوف أعطيك جميع ما تريد.. سوف أبتاع احتياجاتي بخمسة أضعاف ما تباع به.. بل عشرة أضعاف». نظر عزام بشفقة إلى سرور وهو يترجاه وإلى ابنته الصغيرة التي كانت تبكي خائفة وهي تتعلق برقبة والدها بشدة.. فلم يحتمل هذا المشهد.. فأدار وجهه مبتعدًا وهو يحدثه ويحمل سلة المشتريات بيده: «القوانين هي القوانين يا سرور.. اخرج من فضلك الآن».

نظر سرور إلى عزام مبتعدًا.. وإلى العيون الغاضبة المسلطة عليه.. وإلى ابنته المتعلقة في رقبته خائفة تحتضنه بقوة.. شعر بشعور مقيت للغاية.. شعور لايحتمله الرجال في أي مكان أو زمان أبدًا.. شعور العجز والضعف.. شعور بأنك لاتستطيع أن تحمي عائلتك من الآخرين.. لم تحتمل دموعه هذا الشعور المحمل بإهانات المعترضين حوله.. انسابت من عينيه محترقة ملتهبة.. بسبب احتراق مشاعر الإنسانية والرحمة التي انعدمت من قلوب البشر حوله.. لم يحتمل وجوده في هذا المكان البغيض، فخرج مسرعًا وهو يبكي بحرقة وهو يحتضن ابنته الصغيرة.. يحاول ألا يجعلها تراه وهو في أشد لحظات ضعفه وعجزه.. دلف إلى سيارته حزينًا ووضع ابنته إلى جواره.. لكنه لم يستطع القيادة.. فأخذ



يبكـي بحرقة وحرارة مثل النسـاء.. لم يتوقع في يـوم من الأيام أن هناك رجـلًا في مثـل سِـنِّه يبكـي هكذا.. أخفـى عينيـه بيديه وهو يسـتند إلى مقود السـيارة.. وأخذ يجهش بالبـكاء.. اقتربت منه ابنته في حنان وهي تحتضنه: «آسفة يا أبي.. لن أطلب منك شيكولاتة مرةً أخرى.. أرجوك لا تبكِ.. لن أفعل ذلك مرةً أخرى.. سامحني يا أبي».

كلمات ابنته الصغيرة تلك جعلته يبكي أكثر وبشـدة؛ فكيف سمح لنفسه بأن يجعل ابنته الصغيرة تشعر بالذنب وهي تعتقد أنها التي تسببت في كل هذه الأمور؟ فابتسـم على الرغم منه وعيناه تفيضان بالعبرات: «لا يا دبتي الصغيرة.. لسـت أنتِ من جعلني أبكي.. أنتِ من تجعلين والـدك سـعيدًا.. أنظـري إليَّ.. أنا أبتسـم وأضحك عندمـا أراك مثل الآن.. ولا تخافي يا دبتي الصغيرة.. سوف أحضر لك الشيكولاتة التي تريدينها.. سـوف أحضر لك المئات منها.. بل الآلاف.. والدك يحبك كثيرًا.. وسوف أفعل أي شيء في العالم من أجلك يا دبتي الصغيرة».

فشـعرت الصغـيرة بالفرح مـن حديث أبيهـا، فاحتضنته بشـدة.. وحضنهـا هـو بقـوة وكاد يعتصرها حبًّـا.. لم يكن يتصـور في يوم من الأيام أنه سـوف يحب أي شـخص مثل هذا الحب الذي يشـعر به تجاه ابنتـه.. وأخـذ يفكر بأنه سـوف يفعل أي شيء.. أي شيء لكي يشـعر زوجتـه وابنته بالأمان.. حتى ولو كان هـذا الأمر عن طريق التحالف مع الشيطان نفسه.

* * *



عـاد سرور إلى منزله حزينًا مهمومًا.. زوجته لم تعاتبه على فشـله في إحضار الطعام لهم ولكنه أدرك من معالمها أنها كانت تتوقع خيبة الأمل تلك.. جلس على مقعده في غرفة المعيشة بمفرده يتابع التلفاز بدون أي اهتمام، بينما كانت زوجته تحمم ابنتها.. أخذ سرور يفكر مهمومًا: ماذا سيفعل إذا استمر أهل جهينـة في عنادهم هذا في ظل الأمور الغريبة التي تحدث في المدينة، هل سيستسـلم لهـم ويظل هو وأسرته جائعين؟ ظلـت تتردد على عقله أسـاليب وحشـية للانتقـام من أهـل القرية إذا أصاب أسرته أي ضرر بسـببهم.. أسـاليب لم يكن يتصـور في يوم من الأيـام أن تجـول عـلى باله أو خاطـره.. قطع حبـل أفكاره السـوداوية تلـك.. صـوت زوجته وابنتـه وهما تلهـوان بعد خروجهـما من الحمام والأم تحاول أن تلبس الفتاة الصغيرة ملابسها والفتاة تهرب منها وهي تركض وتلعب معها.. ابتسـم سرور لابتسـامة زوجتـه وابنته أمامه.. فجأة سـمعوا صوت جرس الباب يرن.. وهذا حـدث غريب للغاية، لم يقم أحد بفعل ذلك قط إلا عندما زارهم العقيد سراج مع رامي من قبل.. شـعر الجميع بالخـوف من ذلك الطارق الغامـض.. قامت الأم بإخفاء ابنتها خلفها من دون وعي.. وأشار سرور إليها بيده أن تدخل إلى غرفتها.. لكن فضولها منعها على الرغم من خوفها وظلت في غرفة المعيشـة وعيناها على زوجها الذي تحرك مبتعدًا ليرى من خلف الباب من خلال العين السـحرية.. نظر طويلًا لمـن خلف الباب متعجبًا.. ثم سمع صوتًا يحدثه من خلف الباب بقلق.

«افتح يا سرور بسرعة.. أنا عزام.. افتح قبل أن يراني أحد».



شعر سرور بالاضطراب والحيرة، ولكنه امتثل لأمره وفتح الباب بسرعة.. فدلف عزام سريعًا وهو يحمل بعض الحقائب البلاستيكية مكتوبًا عليها اسم متجره.. وأمر سرور بإغلاق الباب سريعًا فأغلقه سرور هو مندهش من وجود عزام في منزله بعد أن طرده منذ بضع ساعات.. تحرك عزام إلى منتصف غرفة المعيشة وترك الحقيبة والحاجيات على الأريكة القريبة منه وتحدث إلى سرور: «لقد أحضرت لك جميع المشتريات التي تركتها في المتجر».

نظر إليه سرور غير مصدق وعلى وجهه علامات الفرح والسعادة الشديدة.. وهو يتجه إلى الحقائب ويفتحها: «ماذا؟! هل أحضرت الحاجيات؟هل فعلت هذا؟». أخذ يقلب في المشتريات فرحًا وشعرت زوجته بالفرح أيضًا وتوجهت إلى الحقائب لتتفحصها.. بينما نظر سرور إلى عزام متهللًا: «لقد أحضرتها بنفسك يا سيد عزام.. أنا لا أعلم ماذا أقول لك.. إني عاجز عن شكرك بالفعل».

تحدث إليه عزام بحدة: «أنا لم أفعل ذلك من أجلك.. أنت ما زلت بالنسبه لي منبوذًا، ولكني أفعل ذلك من أجلها». وأشار إلى الفتاة الصغيرة التي كانت تنظر إليه مبتسمة مثل والديها، فأخرج عزام بعض قطع الشيكولاتة من جيبه وقدمها إلى الفتاة: «خذي أيتها الصغيرة.. لقد أحضرت لك الشيكولاتة التي تحبينها».

ومد يده إليها بالشيكولاتة وأخذت الفتاة تنظر إليه مترددة، فابتسم لها أبوها: «خذيها.. خذيها أيتها الدبة الصغيرة». امتثلت الصغيرة



لأمره في الحال وأخذت قطع الشيكولاتة بفرح شديد وهي تجاوبه «شكرًا».

ضحك عزام فرحًا وهو يسمع الفتاة الصغيرة تشكره: «يا ألله.. ما هذا الجمال؟!».

تحدث إليه سرور شاكرًا.. «سيد عزام.. أنا بالفعل عاجز عن شكرك.. جميلك هذا لن أنساه لك ما حييت».

حدثه عزام بجدية: «أنا أفعل ذلك كما أخبرتك من أجل أسرتك، ما ذنبهم أن يدفعوا ثمن أخطائك؟ سوف أقوم بإمدادكم بطلباتكم حتى انتهاء هذا الضباب الغامض حول جهينة.. وحتى ذلك الوقت.. لا أريدك أن تحضر إلى متجري أبدًا.. سوف أقوم بإحضار طلباتك بنفسي كل أسبوع.. فلتكتبوا إلي ما تريدونه في كل مرة آتي إليك.. و يجب ألا يعلم أي مخلوق عن هذا.. أنت تعلم جزاء من يساعد المنبوذين في جهينة».

«بالطبع بالطبع.. أنا لن أنسى لك صنيعك هذا أبدًا يا سيد عزام.. انتظر ثواني سوف أحضر لك النقود في الحال».

أوقفه عزام سريعًا: «لا.. اعتبر أن هذه المرة هدية مني لك لزيارتك أول مرة.. وفي المرة القادمة سوف نتحاسب.. لكن كما أخبرتك يجب ألا يعلم أي شخص عن هذا الأمر.. سوف أنصرف الآن لكي أعود إلى متجري».

«فلتنتظر قليلًا.. سوف أصنع لك شيئًا تشربه».

شكره عزام في الحال وتركه وانصرف إلى خارج المنزل وسرور يرافقه حتى اختفى عن عينيه تمامًا.. فأغلق سرور الباب خلفه سريعًا.. ونظر إلى زوجته بفرح وزوجته وابنته أخذتا ترفعان أيديهما بفرح شديد؛ وعم السرور والفرح المنزل بعد أن كان يركض في أنحائه الحزن والضجر.

* * *





ما الذي يجعل البشر.. بشرًا؟

ظل كريم يقود السيارة وبجواره رامي وهما يتوجهان إلى جهة منزلهما.. أخذ رامي ينظر إلى كريم نظرات متخطفة كل عدة ثوانٍ.. فشعر كريم بالارتباك.. «لماذا تنظر إليَّ هكذا يا سيد رامي؟ أصدقك القول أشعر بعدم الارتياح هكذا».

حدثه رامي بحدة.. «وأصدقك القول أيضًا أشعر بعدم الارتياح لك أيضًا».

نظر إليه كريم مندهشًا.. «لماذا يا سيد رامي.. أنا علاقتي جيدة مع جميع من يعرفونني.. لماذا تشعر بالانزعاج مني على الرغم من أني أريد أن نكون أصدقاء جيدين».

رامي نظر أمامه بلا مبالاة.. «لا أعلم.. أشعر بالضيق كلما أنظر إلى وجهك الوسيم هذا».

ابتسم كريم في الحال.. «أراك غريبًا بالفعل يا سيد رامي.. تمدحني وتذمني في ذات الوقت.. أنا بالفعل أرغب في صداقتك وأعلم بأنك لا تشعر بالارتياح معي نظرًا لعلاقتك بالمنبوذة أميرة».



نظر له رامي غاضبًا.. «فحاول كريم أن يهدئ من روعه.. «آسف.. آسف.. اعذرني، هو لقب اعتدت أن أقوله.. أنا آسف لك سوف أحاول أن لا أقول ذلك مرةً أخرى».

تنهد رامي بقوة ونظر أمامه مرةً أخرى إلى الطريق وهو يحاول أن يمتص غضبه.. فحدثه كريم مرةً أخرى.. «ما رأيك يا سيد كريم أن نتوقف في مكان هادئ نجلس به أنا وأنت لنتحدث في هذا الأمر.. يمكن ألا تصدقني إن رغبت.. ولكني بالفعل أرغب في صداقتك».

نظر إليه رامي مستنكرًا وابتسم ساخرًا.. «ولماذا ترغب في صداقتي إلى هذا الحد؟».

«لا أعلم.. أشعر بأنه يجب ألا يكون بيننا أي مشاعر سلبية؛ ولهذا أرغب في أن نجلس سويًّا لنحل جميع خلافاتنا معًا مرة واحدة ونهائيًّا».

نظر رامي إلى كريم مستنكرًا لعدة لحظات، ثم أومأ برأسه بالموافقة.. «حسنًا أنا موافق.. أنا أعلم مكانًا هادئًا في جهينة كنت أجلس به دائمًا».

«هذا رائع..يبدو أنك ترجلت في المدينة كثيرًا».

«نعم بالفعل أصبحت أحفظ مدينة جهينة وطرقاتها عن ظهر قلب».

«لكن يا سيد رامي الغريب أعمى ولو كان بصيرًا.. أخشى أن لا تتذكر هذا المكان جيدًا».

«لا تقلق، أنا أحفظ الأماكن هنا جيدًا، ولكنني لا أعلم أسماءها.. سوف أدلك وأنطلق إلى هناك».



«حسنًا كما ترغب».

«فلتعد مرةً أخرى إلى الميدان السابق الذي مررنا منه».

أومأ كريم برأسه وحرك مقود السيارة جهة اليسار فالتفت السيارة عائدة.. أخذ رامي يشير إلى الطرقات وعدة شوارع وكريم يتبعه حتى وصلوا أخيرًا إلى المكان الهادئ المقفر الممتلئ بالأشجار والغربان الذي جلس به رامي وأميرة منذ عدة أيام.. ترجل رامي من السيارة فترجل خلفه كريم إلى جهة هذه المنطقة التي كانت مظلمة إلا من إضاءة عمود إنارة واحد فقط هو الذي ألقى بالضوء الخفيف على ظلال الأشجار والغربان النائمة فأعطى للمشهد منظرًا مقفرًا مخيفًا.. أخذ كريم ينظر إلى المكان متعجبًا.. «هنا؟! أتريد أن نجلس هنا في هذا المكان المقفر؟!».

«لا تقلق إنه مكان هادئ وقلما مر به أحد من سكان جهينة».

«نعم أنا أعلم هذا.. لأن هذا المكان حدثت به عدة حوادث كبيرة من قبل.. فتم تحويله إلى حديقة ولكن تطير أهل جهينة من المكان، تشاءموا منه وأصبح المكان شبه مهجور».

جلس رامي على المقعد الخشبي الكبير المتواجد بالحديقة وهو يبتسم.. «جيد.. صحيح مصائب قوم عند قوم فوائد.. هيا اجلس وأخبرني ماذا يدور في رأسك».

جلس كريم بجواره وهو يبتسم له ويحدثه.. «أريد أن أعلم رأيك بصراحة شديدة.. هل أنت تنزعج مني لأني أعامل السيدة أميرة كمنبوذة مثل باقي أهل جهينة».

«لا بالطبع.. أنا أبغضك منذ أن رأيتك أول مرة.. وحديثك عن أميرة جعلني أبغضك أكثر بكثير».

ضحك كريم بشدة.. «هههههه.. لم أعتقد أبدًا أن يكون هناك أشخاص بمثل صراحتك تلك يا سيد رامي».

«وأنا أيضًا لم أر شخصًا في برود أعصابك يستمع إلى إهانته ويضحك».

ضحك كريم مرةً أخرى.. «هههههه.. صراحتك تلك يا سيد رامي تجعلني أرغب في صداقتك أكثر وأكثر».

نظر رامي إلى كريم متفرسًا «ألا تلاحظ شيئًا غريبًا؟».

كريم باهتمام شديد.. «ماذا؟! ما هو ذلك الشيء الغريب؟».

«هذا.. الذي تفعله الآن.. المدينة تعج بالغربان.. وظهور سفينة ومحاربي فايكنج.. السماء تمطر أزرة.. ظهور كتلة ضخمة من الذهب واختفاؤها.. حصار المدينة من ضباب غامض وعدم استطاعة أحد أن يغادرها.. وأنت غير عابئ بكل ذلك وترغب في صداقتي.. ألا ترى هذا شيئًا غريبًا».

أخذ كريم يبتسم لرامي وهو يشير إليه بإصبعه.. «لا يا سيد رامي.. هذا ليس غريبًا.. ما يحدث معي الآن اسمه التكيف.. إن هذا ما أفعله أنا وأنت وجميع البشر في مواجهة شيء ضخم وقوي يبطش بنا.. ماذا نفعل..؟ جميعًا نخضع لسيطرته ونتكيف للعيش معه.. ليس بأيدينا أن نستطيع تغيير القدر.. فماذا نفعل؟ نتكيف ونتعايش معه.. ولكن

أتـدري ما هو الـشيء الغريب.. إنـه شيء آخر غير ذلـك.. شيء لفت انتباهـي عندمـا كنت أقرأ في كتاب عن الفلسـفة بالأمس.. إنه سـؤال أطلقه أحد الفلاسفة المتفكرين الحالمين».

شـعر رامي بالفضول «ما هو هذا السؤال؟».. أجابه كريم سريعًا.. «السـؤال هـو كالآتي: ما الذي يجعـل البشر.. بـشرًا..؟».. عبس وجه رامي.. «ما الذي يجعل البشر بشرًا؟!».

أجابـه كريـم سريعًا.. «نعم.. ما الذي يجعـل البشر بشرًا؟ يبدو من الوهلة الأولى أنه سهل.. ولكنه بالفعل سؤال صعب للغاية.. ما الذي يجعلـك أنت كرامـي مختلفًا عن هذا المقعد الـذي نجلس عليه.. مختلفًا عن أوراق الشـجر تحت أقدامنا.. مختلفًا عن تلك الغربان التي فوقنا.. ما الذي يجعلك مختلفًا عن أي شيء.. ما الذي يجعلك بشرًا؟!».

ابتسم رامي سريعًا.. «أشياء كثيرة جدًّا».

كريم بجدية «اذكر لي شيئًا منها».

شـعر رامي بالاضطراب الذي يشعر به أي شخص يسأل عن شيء فجأة.. فيشعر أنه فقد جميع معلوماته وثقافته في لحظة.. حاول أن يفكر كثـيرًا ولكن لم يهتد إلى شيء.. ابتسـم كريم وهو يحدثه.. «ماذا؟ ألم تجد شيئًا؟».

قاطعـه رامي بسرعـة.. «لا بالطبـع.. هنـاك.. هنـاك.. آه.. هناك العقـل.. الـذي يميز البشر عـن باقـي الكائنات الأخـرى، إنه يمتلك عقلًا».



مبتسمًا.. «الحيوانات أيضًا والطيور تمتلك عقلًا».

نعم يمتلكون عقولًا ولكن ليس مثل البشر.. إن البشر بعقله يستطيع أن يصنع وينتج ويعلم الفرق بين الصواب والخطأ.. ابتسم كريم ساخرًا.. «ما هو الفرق بين الصواب والخطأ؟ كيف تعلم بأن هذا الأمر الذي تفعله صوابًا والذي يفعله غيرك هو الخطأ؟».

شعر رامي بالحيرة للحظات، ولكنه عاد وأجابه.. «بالطبع الصواب والخطأ معلوم لدى الجميع».

«لا بالطبع.. هناك الأديان مثلًا.. كل معتنق دين يرى نفسه هو الصواب والباقي هو الخطأ؟».

«نعم أنا معك.. ولكن هناك أمور مسلم بها.. تظهر ما هو صواب وما هو خطأ.. الصواب أنك تصنع الخير مثلًا.. والخطأ أن تقتل».

ابتسم كريم مرةً أخرى.. «أنت ما تتحدث عنه هنا الآن ليس ناتجًا عن العقل بل عن القناعات التي بداخل ذلك العقل.. أنت تخبرني الآن بأن القتل خاطئ أليس كذلك؟».

«نعم القتل خاطئ بالتأكيد».

«حسنًا سوف أسلم بكلامك بأن القتل خاطئ.. وأن القتل نفسه محرم.. إذًا لماذا نقتل الحيوانات والطيور والنباتات؟!».

«لا.. هنا الأمر يختلف نحن لا نقتلها من أجل القتل ولكن لاستفادة البشر منها».

قاطعه كريم سريعًا.. «إذًا.. أنت لا ترى أن قتل الكائنات الأخرى خاطئًا.. ولكن قتل البشر هو الخطأ.. حسنًا.. إذًا لماذا الجنود يقتل بعضهم البعض ويسمون بعد ذلك أبطالًا؟».

لا بالطبع أنا معك بأن القتل باسم أي شيء سامٍ هو خاطئ بلا نقاش».

«إذًا أنت ترى أن القتل خاطئ.. حسنًا.. أخبرني إذا كان الفقر رجلًا هل ستقتله في سبيل تخلص العالم منه؟».

استمع رامي إلى حديثه وهو يفكر بكلامه بعمق.. فتابع رامي حديثه مرةً أخرى.

«أخبرني إذا كان بإمكانك قتل جنكيزخان الذي دمر إمبراطوريات كثيرة وإنقاذ ضحاياه.. إذا كان بإمكانك أن تقتل هتلر وتنقذ 21 مليون إنسان فهل كنت ستفعل؟».

اقترب كريم قليلًا من وجه رامي «هل إذا كنت تستطيع أن تقتل الشيطان.. هل كنت ستقتله لتخلص العالم من جميع الشرور إلى الأبد؟ أجبني».

نظر له رامي قليلًا وأومأ برأسه «بالطبع كنت سأفعل».

فابتسم كريم في الحال.. «إذًا هنا القتل في حد ذاته ليس خطأً إذا كان في صالح خير أكبر.. هل رأيت كيف تراجعت سريعًا عن معتقدك بأن القتل خاطئ..؟ إذًا جميع ما نتعلمه يمكن أن يكون خاطئًا.. قناعتك ليست ثابتة.. ميولك تتحكم في تصرفاتك.. ومن حولك يتحكمون في



ميولك.. وحكامك يتحكمون في من يتحكم بك.. وهناك من يتحكم بحكامك.. البشر في النهاية ما هم إلا ألعوبة.. ضحكة تتناقلها شفاه الآخرين.. تثاءب على وجه الكون.. أرأيت أنك لم تعلم ما الذي يجعل البشر بشرًا.. لأن البشر بالفعل شيء تافه.. ليس له قيمة».

وقف رامي من مكانه سريعًا وحدثه بحدة.. «فلتكف عن هذا الهراء الآن.. أخبرني ماذا تريد مني؟»

ابتسم كريم ووقف أمام رامي الذي نظر له بحنق.. «هذا هو سؤالي لك.. ماذا تريد أنت مني؟ «.. أنت كنت تحاول أن تتصنع أنك تعبث دائمًا في أرجاء المدينة لكن في الحقيقة أنت كنت تراقبني عن كثب.. لماذا؟ أخبرني لماذا؟ لماذا تشعر هكذا جهتي؟ أنا لم أقابلك من قبل في أي مكان خارج جهينة».

«نعم بالفعل نحن لم نتقابل خارج جهينة من قبل.. ولكني أعلم عنك كل شيء».

نظر له كريم مندهشًا.. «تعلم عني كل شيء.. كيف هذا؟».

هنا شعر رامي بالخوف الشديد وانقبض قلبه بشدة وتردد في الحديث ونظر إليه عن كثب يراقبه.. فتحدث رامي سريعًا وهو يستجمع شجاعته.. «أنا أعلم كل شيء عنك كما قلت لك.. هل يذكرك اسم مدحت فراج بشيء؟».

أخذ كريم ينظر له مندهشًا.. «من؟».



شعر كريم هنا بالصدمة، فلم يكن يتوقع أن كريم لا يعلم هذا الاسم وتبدلت كل حساباته للحظات ولكن فجأة وجد وجه كريم قد تغير وأخذ يرسم على ملامحه ابتسامة كبيرة وهو يحدثه ببطء: «مدحت فراج.. هل تعرفه؟ هل أخذت الصخرة منه؟ هل لاتزال معك؟ هل تحملها الآن؟».

اعتلت وجه رامي صدمه شديدة.. «إذن.. إنه أنت بالفعل.. أنت غايتي التي كنت أبحث عنها كثيرًا».

انحنى كريم في سرعة وهو يحييه.. «نعم.. إنه أنا.. كريم ماهر رهن أمرك يا سيدي».

وظل ينحني له للحظات ثم استقام ببطء وهو يبتسم في وجه رامي.. الذي بدا عليه الارتباك الشديد.. وأخذ يضع يده في ملابسه وهو يرتعش عدة مرات ويتراجع ويراقبه كريم مبتسمًا ساخرًا: «لماذا ترتعش يدك هكذا؟ أين القوة التي كنت تتصنعها هنا طوال وجودك داخل جهينة؟».

شعر رامي بالتوتر الشديد يجتاحه.. فأغلق عينيه للحظات ثم تنفس بقوة وفتح عينيه وأخرج من ملابسه سكينًا متوسط الحجم وتقدم به بسرعة شديدة وبدون تردد غرسه بعنف في قلب كريم الذي شعر بالطعنة تخترق قلبه لتمتص الحياة منه.. حاول أن يفهم ما حدث.. ولكن سرعة الموقف وغرابته جعلته يشعر بالبلاهة.. جسده هو الذي تحرك بمفرده.. يداه أطبقتا على يد رامي التي تحمل السكين تحاول أن تمنعه من النفاذ في جسده أكثر وأكثر.. وهو يصرخ غير مصدق:



«ماذا فعلت أيها اللعين؟ ماذا فعلت؟».

ظل رامي يغرس السكين أكثر في قلبه وهو يحدثه بحنق: «إني أفعل ما أخبرتني به.. أقتل الشيطان لكي أخلص العالم من شروره».

ثم دفعه رامي بكل قوة، فسقط كريم على الأرض وهو مخضب بدمائه ينظر له غير مصدق ورامي يقف أمامه يحمل السكين بيده اليمنى وهو يرتعش بشدة.. وظل يراقب في سكون كريم للحظات وهو يتحرك على الأرض متألمًا.. يحاول أن يمنع بيده الدماء وهي تندفع من قلبه كالبركان.. ظل ينظر إلى رامي مصدومًا.. يتلوى في الأرض متألما لعدة دقائق، ينتفض بها جسده في كل مكان حوله ثم سكن للأبد.. هنا أيقن رامي أنه مات ورحل.. أخذ يمسح السكين في ملابس كريم وأخذ يمسح الدماء من على يديه بحرص شديد وهو ينظر إلى أنحاء جسده وهو يتأكد من عدم ملامسة الدم لملابسه.. أخذ ينظر إلى جسد كريم وهو يتلفت حوله خوفًا من أن يراه أحد.. ثم شعر بالاضطراب والقلق يغزوان قلبه.. فأطلق ساقيه للريح بعد أن وضع السكين في ملابسه مرةً أخرى وركض مبتعدًا.. مشاعر الرهبة والخوف والقوة تعتصر رأسه وجسده.. ظل يركض ويركض، لا يدري يمينه من يساره نهائيًّا.. ظل يركض لفترة من الزمن حتى وصل إلى مسكنه وهنا وجد شيئًا غريبًا للغاية.. وجد الجنود يقفون على سدة المنزل على غير المعتاد.. شعر رامي بالخوف الشديد وهو يفكر هل افتضح أمره بكل هذه السرعة؟ هل شاهده أحد؟ هنا استقبله أحد الجنود سريعًا..



فسقط قلب رامي في قدميه.. فأمسك به الجندي سريعًا: «الحمدلله لقد وجدناك».

سـحب رامـي يده مـن الجندي بخـوف شـديد: «ماذا؟ مـاذا تريد مني؟».

أجابه الجندي «الباشا سراج كان يريدك وظل يبحث عنك منذ فترة طويلة، وهناك الكثير من الجنود يبحثون عنك الآن».

شـعر رامي بالخوف الشـديد: «ولماذا يريديني؟ ألا تعلم لماذا؟ هل هناك شيء حدث؟».

أمسكه الجندي من يده: «لا أعلم ولكن يجب أن تأتي معي الآن».

سـحب رامي يده منه بعنف وصرخ به: «لا تمسكني هكذا.. سوف آتي معك.. فدعني».

نظر إليه الجندي بفضول ولم يعلق عليه وتقدم معه إلى داخل البناية.. هنا شـعر رامي بأنه لا يذهب إلى منزله كالمعتاد بل شعر بأنه يذهب إلى حبـل المشـنقة الذي كان في انتظـاره في نهاية هذا الـدرج.. صعد رامي الدرج مع الجندي في بطء وهو يشعر بالخوف والحيرة وجسده يرتجف بشدة وكل بضع ثوانٍ يضع يده اليسرى لا إراديًا على مكان السكين في ملابسـه.. صعد للطابق الثاني فوجد باب الشقة التي يمكث بها سراج مفتوحًـا وبعض الجنود يقفون أمامها وهناك جلبة وبعض أهالي جهينة بالداخل.. هذا المشـهد أشـعر رامي بالاضطراب أكثر فأكثر.. فدلف إلى باب الشـقة ليجد سراج يجلس على المنضدة وبجواره عصام ويقف

بالقرب منهما متولي، ويجلس على مقعد بجواره المشرد عزت الذي وجده متولي من قبل.. نظر سراج إلى رامي الذي وقف أمامه فحدثه سريعًا: «أين كنت يا رامي؟ لقد كنت أبحث عنك منذ أمس».

«شعر رامي بالقلق من حديثه: «ها.. كنت موجودًا.. ولكن سمعت أنك كنت تبحث عني. هل هناك شيء؟ هل حدث شيء ما؟»».

أجابه سراج.. «نعم.. يبدو أن مدينة جهينة لا تنفك عن إدهاشنا دائمًا».

فحدثه رامي مستفسرًا.. «ماذا حدث؟ أخبرني ماذا حدث؟»».

فأجاب عصام عليه في الحال: «لقد وجد السيد متولي.. هذا الرجل داخل جهينة اليوم».

فنظر رامي إلى متولي وحياه: «أهلًا بك».فنظر إليه متولي سريعًا: «أهلًا بك».. ثم أشار إلى يديه: «هل جرحت؟ على يديك توجد دماء».

نظر سراج وعصام إلى رامي سريعًا.. فسقط قلب رامي في قدميه في الحال.. وهو ينظر إلى أصابعه فوجد ما بين إصبعي الخنصر والوسطى بقعة دماء غفل عن مسحها فأخفى يديه في الحال.. فتحدث إليه سراج بفضول: «دماء؟ هل حدث لك شيء يا رامي؟»».

شعر رامي بالخوف الشديد وارتعش جسده في الحال: «لا.. لا.. لم يحدث شيء.. كل ما هنالك أنني كنت آكل شطيرة مربى.. ويبدو أن بعضها التصق بيدي».

ثـم قـام بوضـع أصابعـه التي بهـا الدماء في فمـه بالحـال فتذكر أنه يمتص دماء كريم الآن.. فكاد أن يفرغ ما في معدته، ولكنه تحامل على نفسـه وهو يتصنع الجلد ويبتسـم.. تلقفت عينا سراج الخبيرتان الحالة التي عليها رامي في الحال.. فحدثه بسؤال سريع: «أين كريم يا رامي؟ لقد أخبرني بأنه ذهب للبحث عنك في المدينة عندما لم نجدك».

شـعر رامـي بأن العالم يـدور بـه وكاد ألا تتحمله قدماه من سـؤال سراج المفاجئ.. فابتلع رامي ريقه وتحامل على نفسه مرةً أخرى وأخذ يحاول ألا ينظر في وجه سراج: «لا.. لا لم أر كريم.. لم أره اليوم نهائيًّا».

أخـذ ينظر بطرف عينه جهة سراج فوجـده ينظر له كالذئب منتظرًا شرود الحمـل عن قطيعه.. فتطرق بنظراته جهة المشرد الذي جلس ولم يحرك ساكنًا: «لم تخبراني ما شأن هذا الرجل الذي وجدتماه؟».

أجابـه متولي سريعًا: «أنا الذي وجدتـه في المدينة اليوم.. وهو ليس من سـكان جهينة.. لا.. هو من سـكانها ولكـن لم يعد يمكث بها الآن وهـذا يعنـي أنه أتى من خـارج المدينة.. أي أن الحصـار على المدينة قد انتهى».

قاطعـه عصـام في الحال: «لا.. لم ينتـه.. لقد حاولت أنـا وأكثر من شـخص الخروج منها هذا اليوم ولم نستطع.. ولكن ظهور هذا الرجل يعني أن هناك مكانًا معينًا يستطيع أن يذهب به أو يعود من وإلى خارج المدينة».

هنا تصنع رامي ابتسامة: «حسنًا هذه أخبار جيدة.. يجب علينا أن نرحل من هنا في أقرب وقت ممكن».

حدثه سراج سريعًا: «أترغب في مغادرة جهينة الآن؟ يبدو أنك قد أنهيت مهمتك هنا يا صديقي».

نظر له رامي بطرف عينيه وهو يكاد يبوح بما حدث لسراج.. لم يكن يتوقع أبدًا أن سراج الذي كان يتخذه حماية له سوف يكون سببًا في القبض عليه هكذا.. هنا قاطع أفكاره ظهور مازن وهو يدلف مسرعًا إلى الغرفة ويتحدث إلى سراج: «سيد سراج، لاتصدق هراء متولي ذلك.. عزت فهمي مستحيل أن يكون هذا الرجل».

فصرخ به متولي غاضبًا: «يا سيد مازن أنا لا أكذب.. عزت فهمي أمامك هنا جالسًا انظر إليه».

اقترب مازن من المشرد وهو يتفحصه وأخذ متولي يحدثه: «بالطبع ملابسه متسخة ولحيته قد طالت.. ولكني أستطيع أن أخرجه وسط ألف شخص.. إنه كان يسكن بجوار منزلي».

ظل مازن ينظر إليه متشككًا وسراج وعصام يتابعانهما بفضول.. ولكنه نظر في النهاية إلى متولي معترضًا: «مستحيل يا متولي أن يكون هذا عزت.. هذا بالتأكيد ملعوب جديد من ألاعيبك القذرة».

نظر إليه متولي بحدة وكاد أن يسبه، ولكنه ابتلع سبابه، فصرخ به: «إذا كنت لا تصدقني فلتحضر أخاه ليشهد عليه بنفسه.. أنت تعلم بأنهما كانا يحبان بعضهما بشدة.. فلتأت بأخيه.. يوسف فهمي، هو الذي



سيبت في ذلك الأمر بكل تأكيد» فقاطعه مازن بحزم: «مستحيل.. أي شخص ستأتي به سيقول نفس الأمر».

شعر رامي بالفضول فتحدث إلى مازن: «ولماذا مستحيل يا سيد مازن؟ أليس عزت هذا من سكان المدينة؟».

أجابه مازن بامتعاض: «بالطبع من سكان المدينة، ولكن عزت فهمي مات غريقًا منذ خمس سنوات».

شعر رامي بالصدمة: «ماذا.. مات منذ خمس سنوات؟!».

فجأة سمع صوتًا خلفه يتحدث بقوة: «سفينة بها محاربون.. ذهب يظهر ويختفي.. السماء تمطر أزرَّة.. الغربان تغزو المدينة.. ضباب يحاصر جهينة ويمنع الجميع من المغادرة».

سقط قلب رامي في قدميه من سماعه هذا الصوت.. هذا صوت يألفه وكان يسمعه منذ قليل.. نظر خلفه بسرعة مصدومًا ليجد كريم يقف أمامه سليمًا معافًى وملابسه نظيفة لا يوجد عليها أي دماء ويضحك بشدة وهو ينظر إليه ويتابع حديثه.

«كل تلك الغرائب تحدث في المدينة.. ثم تخبرني أن الموتى يعودون للحياة؟».

أخذ ينظر إلى رامي ويضحك: «أتصدق هذا الهراء يا سيدي رامي.. هل يستطيع الموتى أن يعودوا إلى الحياة؟».

وقف رامي مصدومًا مشدوهًا وهو يرى كريم يقف بشحمه ولحمه أمامه سليمًا معافى يضحك.. لم يصدق نفسه.. مد يده إلى ملابسه

يتحسس سكينه فوجده.. إذن لم يكن حلمًا.. نظر إلى بقعة الدماء التي ما زالت بين أصابعه فوجدها.. إذن لم يكن يتخيل.. وقف مصدومًا مشدوهًا وهو يشاهد كريم يقترب منه، ويربت على كتفه ويهمس في أذنه.

«لا تقلق.. الأمور لا تزال في بدايتها».

ثم تركه واقفًا غير مصدق ودلف إلى الداخل يتحدث مع الجميع.

***

النيران مشتعلة في عدة مبانٍ.. وبعض أهالي جهينة يركضون مضطربين في كل مكان، الجميع يحاول أن يطفئها.. الكثير منهم يحمل الأواني المعدنية بها المياه ويلقونها على المنازل يحاولون إخماد تلك الزهرة الصفراء المتمردة.. إحدى السيدات خرجت من المبنى المشتعل فجأة وجسدها كتلة من النيران، تصرخ في فزع وتركض بلا هدى طلبًا للنجاة.. تجمع بعض الأهالي صوبها وهم يصيحون مذعورين محاولين إنقاذها وإلقاء المياه عليها، وهي تركض أمامهم هربًا بدون وعي، تحاول الخلاص من النيران المشتعلة بها.. سقطت على الأرض فجأة وأخذت تتلوى من الألم، فتجمع أهالي المدينة حولها.. وأخذوا يهرقون عليها الماء ويحاولون إنقاذها.. الجميع كان يحاول إنقاذ السيدة وإطفاء تلك المنازل المشتعلة.. جميع الحاضرين باستثناء شخص واحد فقط.. مازن عمدة المدينة.. ظل واقفًا يشاهد البنايات والمرأة تحترقان وهو يضحك بشدة وبسعادة كبيرة.

***



سراج يركض هو ورامي وعصام وهم يلهثون والعرق يغزو أجسادهم.. يركضون خائفين بشدة وسط أحد الشوارع الأسفلتية بمدينة جهينة.. ورامي يصرخ بهم مرتاعًا: «إلى متى سنظل نركض هكذا؟ لا أستطيع الصمود أكثر من ذلك».

أخذ عصام يصرخ به بأنفاس لاهثة..«.. اركض.. اركض.. إذا لم ترغب في أن تموت».

بينما سراج يركض في وسطهم وهو لا يقوى على الحديث ولا على التنفس.. فتركهم يركضون خلفه وأخذ يستريح قليلًا فصرخ به عصام ورامي وهم يركضون مذعورين.. «اركض.. اركض أيها المجنون.. سوف تسحقك.. إنها تقترب منك».

أخذ سراج يلتقط أنفاسه قليلًا.. ثم نظر خلفه نظرة سريعة ليطالعه منظر صخرة ضخمة للغاية كروية الشكل تندفع باتجاهه هو ورامي وعصام.. عندما رأى سراج ذلك، هب راكضًا كالظليم.. ركض بسرعة شديدة جعلته يسبق رامي وعصام اللذين عقدت ألسنتهما سرعة هرب سراج أمامهما.. فنظرا خلفهما سريعًا ليجدا الصخرة الضخمة تتدحرج بقوة جهتهم.

وتقترب.

* * *

في مساء أحد الأيام جلس سرور بأريحية شديدة على مقعد في منتصف الشارع أمام متجر عزام وحوله بعض الرجال يخدمونه.. ويقوم متولي بإحضار كوب من العصير له.. فينظر له سرور شذرًا

لحظات ويأخذ منه كوب العصير ويرتشف منه باستمتاع شديد.. ثم أشار بيده إلى متولي وهو يصرخ به: «هيا اذهب وقم بعملك المكلف به.. هيا».

نظر إليه متولي خائفًا وأومأ برأسه في الحال وذهب إلى عدد من أهل جهينة من الرجال والسيدات.. عدد كبير من الشباب وكبار السن.. وقف أمامهم متولي.. ووقف الجميع خلفه في أماكن منظمة.. ثم قام متولي بالسجود على الأرض على يديه وقدميه أمامهم.. فتبعه أهل جهينة خلفه وسجدوا مثله بالضبط أمام سرور.. ثم نظر متولي تجاهه، وأخذ ينبح مثل الكلاب.. والجميع من أهل جهينة خلفه ينبحون مثله.

ظل سرور يشاهدهم وهم ينبحون أمامه وهو يضحك بشدة ويشرب العصير بيده مستمتعًا.

* * *

عشرة من مقاتلي الفايكنج بملابسهم الكاملة وأسلحتهم ودروعهم يمشون في أنحاء المدينة وهم يضربون بسيوفهم السيارات وواجهات المحلات بعنف ويصرخون جوتا فالاهالا.. جوتا فالاهلا».

وبعض جنود الأمن المركزي يكمنون لهم في إحدى بنايات المدينة.. وعلى أهبة الاستعداد للاشتباك معهم.

* * *

رامي يقف ويصرخ في الجميع حوله ولا أحد يعيره أي اهتمام.

يصرخ خائفًا: «أنا موجود.. أنا هنا.. أنا موجود.. أنا هنا» ولا أحد يعيره اهتمامًا، ولا يكادون يرونه.

❋ ❋ ❋

ظِل أسود، طوله يتعدى المترين يقف في وسط المدينة دون أن يلحظه أحد، ولكن أميرة كانت تقف وتراه من بعيد.

يشعر بها الظل، وتضحى عيناه في ظهره.. يراها فيصرخ ويهجم عليها في الحال.

تحاول أن تركض خائفة، ولكنه يرفع يده الضخمة بقوة ويهوي بها على رأسها.

❋ ❋ ❋

تصرخ أميرة فجأة وتنهض من على سريرها مذعورة.

فقد شاهدت للتو بعض الأحداث التي ستحدث لجهينة في المستقبل.

تمت بحمد الله

مع تحياتي / إسلام عبدالله



الفهرس



للتواصل مع المؤلف :

البريد الإلكتروني: eslamthefighter@gmail.com

الصفحة الرسمية: https://www.facebook.com/eslamthefighter









ماذا ستفعل حينما ترى جثتك أمامك؟

نعم كما قرأت جثتك أنت أمامك.. مسجاة على الأرض مقتولة..

وأنت لست شبحًا.. بل أنت حي ترزق..

إلا أنك تقف بجوار جثتك المقتولة..

ماذا ستفعل؟.. هل ستخبر الشرطة مثلما فعلت أنا؟

لا أنصحك بذلك.. فسوف تحدث معك أمور أشد تعقيدًا وأكثر غرابة من هذا بكثير ..

فلتقرأ قصتي وتستمتع برحلتي في « جهينة »

تلك المدينة الصغيرة..

التي استحقت وبجدارة لقب « مدينة الغرائب ».



- اسلام عبد الله كاتب روائي وسيناريست من مواليد القاهرة.
- حاصل على بكالوريوس التجارة جامعة القاهرة.
- صدر له رواية « الشماس الجزء الأول والجزء الثاني » ورواية « العابث سجين لاسبانيتا » ورواية « عائلة حتحور ».

تصميم الغلاف: اسلام مجاهد





